الحياة قاسية

قصة عضو مهتد في فرقة (الأوتلو)

رواها مطاع بيل

كتبها

سليمان جنكيز

أشرف على نقلها إلى العربية

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات



العبيكان
Obeikan

Original Title**Life is ЯAW**

Author: Sulaiman Jenkins Narrations By Mutah Beale

ISBN Hardback: 978-1645041078 ISBN Paperback: 978-1645041061

شركة العبيكان للتعليم، 1443 هـ **فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر**

الحياة قاسية./ مطاع بيل، - الرياض، 1443هـ

ردمك: 978-603-509-413-9

1 – المذكرات أ. العنوان ديوي 13 ,818 1588 /1443

حقوق الطباعة محفوظة للناشر الطبعة الأولى 1443 هـ/ 2022 م

نشر وتوزيع العبيكان Obeikan

المملكة العربية السعودية – الرياض طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: 4808654 11 966+ فاكس: 4808095 11 96+ ص.ب: 67622 الرياض 11517

الإهداء

أهدي هذا الكتاب إلى الغاليَيْن:

أمي وأبي، سالك وعقيلة بيل،

وأسألُ الله أن يتغمدَكما بواسع رحمته..

وإلى زوجتي وأبنائي

سيليك، ومحمد، وخالد،

وعائشة، وسلمان..

نبذةٌ عن الكتاب

يهدفُ هذا الكتاب إلى تقديم لمحة موجزة، لكنها متعمقة، عن حياة مطاع شباز واسين (نابليون) بيل، بتحوله من حياة مليئة بالتحديات منذُ مراحل طفولته الأولى، إلى حياة راشدة مستنيرة، وحياتُه غنية بقصص وأحداث، كثيرٌ منها غيرُ ملائم - يتسم بالعنف، أو بالجنس، أو غير ذلك، ولم يُضمَّن في الكتاب نزولًا على رغبة مطاع في الالتزام بمبادئ العقيدة الإسلامية فيما يتعلق بالتحلي بالحياء، وتجنُّب الفُحش واللغة البذيئة. ومع ذلك، فإن القصصَ الواردةَ هنا هي تصويرٌ دقيق لظروف كانت - في بعض الأحيان - شديدةَ الصعوبة، ومليئةً بالتحديات التي هي - بلا شك - التجاربُ التي يعيشها، ويشاركها ملايين الأشخاص العاديين، ومن الجدير بالذكر أيضًا هنا أن روايات مطاع الشخصية وذكرياته (مكتوبة بخط مائل في جميع فصول الكتاب) وهي تُمثِّلُ أقربَ سرد للمواقف التي حدثَت في حياته، ولا يُقصَد بها دائمًا أن تُؤخَذ حرفيًّا، ولا سيما بالنسبة إلى الأحداث التي مرَّت عليه، وهو لا يزال طفلًا. وأخيرًا، أُشير إلى أن المحادثات بين الشخصيات أُعيدَت صياغتها بدقة؛ لإضفاء الطابع الأدبي، ويجبُ ألَّا تُفَسَّرَ على أنها سردٌ حرفي لما قيل بالفعل خلالَ أحداث معينة، وآمل أن يجد أولئك الذي يعانون في حياتهم في هذا الكتاب علاجًا، وأن يُقدِّمَ لهم مثالًا واقعيًّا لكيفية التغلب على عقبات الحياة الهائلة، على الرغم من الصعاب التي لا حصر لها.

شكرٌ وتقديرٌ

باديَ ذي بَدء، أحمدُ اللهَ تعالى على نِعَمه التي تُعدّ ولا تُحصى، وأسأله أن يجعل هذا الكتابَ مصدرًا دائمًا للشفاء والإرشاد والإلهام، وأتوجَّهُ بالشكر إلى أمي؛ لؤلؤتي التي جعلها الله سببًا لوجودي؛ فلولا تضحياتُها ونكرانُها لذاتها الذي لا ينقطع، لما وصلْتُ إلى ما وصلتُ إليه اليومَ، وستظل إلى الأبد ملهمتي، والشكرُ موصول كذلك لقبيلتي الجميلة؛ ولكل شخص من عائلتَيْ جنكيز وطومسون، فما كان لي أن أنجِزَ هذا لولا دعمُكم، وأشكرُ أصدقائي المقربين الذين لطالما كانوا صادقين معي؛ فأنتم تعرفون منزلتكم عندي، وسوف تستمتعون بهذه الرحلة معي بالتأكيد كما وعدتُكم، وجزيلُ الشكر لجميع المُحرِّرين الذين شاركوا في إعداد الكتاب، ولا سيما نورا واشنطن؛ فأسألُ الله تعالى أن يُباركَ فيكِ، ويغفرَ لكِ، ويجعلَ جهدكِ في ميزان حسناتك.

وأقولُ لصديقي العزيز مطاع: لم يَدُر بخلدي قطُّ، وأنا أستمع إلى موسيقاكم في الكلية، وحين كنْتُ أقود السيارةَ وأنا أستمع إلى توباك في بروكلين، أننا سنصبحُ صديقَيْن حميمين، وأشكرُك على أن كلفتَني بإنجاز هذا المشروع المهم. مؤمنُ، لقد كان من دواعي سروري التعرُّفُ إليك طوالَ الوقت أيضًا؛ فلقد كنتَ نعم الصديق، وتحية حارة ليَنْغ نوبل؛ لاهتمامه الحقيقي بهذا المشروع؛ فإن بصيرتك وواقعيتك قد أضافَت الكثيرَ إلى أصالته، وأتقدم بوافر الشكر لكلٍّ من ستورم، وتيري لين، وواك ديوس، وهاساتشي، وغونزو، على مقابلاتهم وعلى إضافة مستوى آخر من البصيرة والواقعية، والشكرُ موصول لميكال كامل على حديثه المُتعمِّق معي حولَ تحوُّل مطاع المُذهِل، وأشكر ستيف لوبيل على ما بذله من جهد ووقت.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر لمُدرِّسي برنامج بريب 9، بمدرسة سانت أندرو (خاصةً بوبي رو، وتاد روتش، ودارسي وبيتر كالدويل، وآل أوبراين)، ولمعلمَيَّ بجامعة نيويورك (مدرسة ستاينهاردت)، أوستن سارات، وباري أوكونيل، على ما زوَّداني به من مهاراتٍ أكاديمية، - وإيمان بالنفس لأُنتجَ هذا المشروع، فهذا غرسُ أيديكما قبلَ أن يكونَ غرسَ يديَّ، وأُهدي هذا العملَ إهداءً خاصًّا لآل ويلسون وآل داون، وأعتقد أن كريس سيكون فخورًا بهذا العمل، وأقول لصديقي بي. دي. جيه.: حتى أنجح سلكتُ الدربَ غيرَ المطروق.

وأخيرًا، تحية كبرى لبروكلين، الولايات المتحدة الأمريكية! فأنا صنيعتُك، بروكلين تجري في عروقي، وعندما تُطلِقُ لها العنانَ، لا يمكنُ احتواؤها! أحب بروكلين إلى الأبد.

سليمان جنكيز

المنطوق هو المسموع

تقديم بقلم: عوض إبراهيم

هناك خيطٌ رفيع يفصل بين المنطوق والمسموع؛ ومع ذلك يذوبُ ذلك الخيطُ في كتابنا هذا، فيصبح المنطوقُ هو نفسه المسموع، وتُصبح ترجمةُ المرء لنفسه هي عينها ترجمة غيره له، وتصطبغُ الأمورُ الشخصية بالصِّبغة السياسية، وتأخذنا اللغة إلى مستوى آخر تمامًا، يلتقي فيه العالمي والمحلي في فضاء من الاندماج، ويعالَج فيه المألوفُ، فيُصبح غيرَ مألوف، وفي هذا الكتاب، تتحولُ السيرة الذاتية إلى نوع من المِنَح الدراسية الأهلية، وإلى أرض خصبة للتنظير الأكاديمي.

وقد جاءت عباراتُ الكتاب شاعريةَ اللغة، وسياسيةَ المفهوم، وجريئةَ التصوُّر، وعلى الرغم من أن غيرَ واحد قد شارك في تأليفه، فإننا عندَ مرحلةٍ ما، لا نستطيع أن نميز المُتحدِّثَ مِن الكاتب، وقد قُصد ذلك قصدًا؛ فلم يعُد الرواةُ هم بؤرة الاهتمام، بل القصة التي يروُونها.

وكتب دولوز (1993م): «لكي تُحرِّرَ الموسيقا نفسَها، يجبُ أن تنتقلَ إلى الجانب الآخر».

وهذا الكتابُ هو الجانبُ الآخر: «حيث ترتجفُ الأراضي، وحيث تنهارُ الهياكلُ، وحيث تتمازجُ الأرواح، وحيث تُطلِقُ الأرضُ أغنيتَها الفَتِيّةَ؛ ذلك المقطعَ اللحنيَّ العظيم الذي ينقل كلَّ الهواء بعيدًا، ويُعيده» (ص 104).

وقد صُمِّمَت مستوياتُ هذا الكتاب وفقَ تصور شعري: أولًا، كانت قصةُ مطاع (القاسية)، ثم ها هو ذا سليمان الذي يدخل في محادثة مع مطاع، الذي بدوره يكافح مع أخلاقيات الكتابة وحدود اللغة في كيفية سرد تلك القصة تامةً، أو قريبةً من التمام، والشعراءُ العاديون يروون القصصَ فحسب، وأما الشعراءُ الفحول فيجعلون المألوفَ غريبًا، ولديهم الرؤية ليقولوا لنا شيئًا جديدًا، أو يُعبِّرُوا عن المألوف بلغةٍ غيرِ مألوفةٍ، ولديهم الشجاعة والجرأة للانخراط والبحث والتفكير فيما لا يريد الآخرون سماعه كـ (العنصرية، أو التمييز الجنسي، أو كراهية الأجانب، أو التمييز العرقي، أو العنف). وفي مواجهة تلك الضغوطات الهائلة، سيختارُ الشعراء الأقوياءُ خوضَ غمار هذه (المشكلات)، إذا جاز التعبير، والتعاملَ معها على المستوى الفردي والوطني والعالمي.

وهذا هو ما سنواجهُه في هذا الكتاب، وإني لفخورٌ أيَّما فخر بانضمام هذا الكتاب الرائع إلى سلسلة (الهيب هوب، والثقافة، والتعليم) وإذا أخذنا الحياةَ على أنها مُعلِّمَتُنا، والمساحةُ التي نسطرُ فيها قصةَ حياتنا كلَّ يوم، إذن فالكتابُ تعليميٌّ بعمق؛ لذا ضع أذنَيْك على الأرض، واستمع إلى فضاء

الاندماج هذا بين الصوتيِّ والشعريِّ، بين الشفهيِّ والسمعيِّ؛ فإذا فعلتَ ذلك حقًّا، فإني أعدُك بأنك ستجدُ نفسَك تُطقطق أصابعَك فرحًا مرات عدة، وأنك ستجد هذا الكتاب مُتنفَّسًا لروحك.

البروفيسور عوض إبراهيم

كلية التربية، جامعة أوتاوا

كلمتا

ناز، و إي. 40

كان باك قوة... كان دائمًا على استعداد لفعل أي شيء من أجل قومه، وقد أثَّرَت موسيقاه في الناس، وسلطت الضوءَ على نضالهم! ثم قدم فرقة (الأوتلو)، شباب القوافي من جيرسي. لروحك السلام يا أخي.

ناصر جونز (ناز)

عندما التقيتُ مطاعًا (نابليون) وفرقة (الأوتلو) لأول مرة، كانوا صغارًا، ويمكنك أن تلمحَ الرغبةَ الملحةَ والتصميم في عيون هؤلاء الرجال الموهوبين، وكنتُ أعلم أنهم ماضون في طريقهم للنجاح، وأنا أحبُّ ولاءَهم لتوباك!

إيرل ستيفنز (إي. 40)

قصيدة افتتاحية
حياة عضو في (فرقة الأوتلو)

حياةُ عضو في (فرقة الأوتلو)

الحياة التي نعيشها لا يحتملها الجميع

وسطَ المدينة نسبح مع أجساد الموتى

وهناك القليل من سترات النجاة التي لا تكفي لإنقاذ الجميع

نجري مع البلطجية الصغار الذين يوزعون القتل العشوائي

أحتاج إلى بعض التوجيه

أنا ابن الحي الشعبي

أنا من المدينة التي لا غنى لأحد فيها عن الكوكايين

أشعر بالشفقة؛ لأن الشخص عليه أن يستخدم سلاحه طيلة الوقت

أحتاج إلى بعض التوجيه

الدنيا تُضَيِّقُ الخناقَ عليَّ

أحاولُ العثور عليه

ويبدو أنه يهرب مني

حتى صادفت كتابًا لا عِوَجَ فيه

ذا رسالة، ويُطَهِّرُ آثامَ الصدور

حياةُ عضو في (فرقة الأوتلو)

الحياة التي نعيشها لا يحتملها الجميع

مطاع بيل

الجزء الأول
من المهد

الفصل الأول
يوم توقف العالم

«أنت لست في مأمن...»

مطاع بيل

يتذكر أخي مؤمن ما حدث أكثرَ مني؛ لذلك اعتمدتُ عليه في جمع الكثير من الأجزاء المفقودة، لكنني أتذكرُ بعضَ ما وقع من الحوادث في ذلك اليوم على الرغم من أنني لم أكن قد تجاوزتُ عاميَ الثالثَ يومَها.

دينغ دونغ

في ذلك اليوم، رنَّ جرسُ بابنا الساعةَ السابعة والنصف صباحَ يوم السبت، وكانت أمي في الغرفة الخلفية مع كامل؛ أخينا الرضيع البالغ من العمر أربعةَ أشهر، وكانت تتجاذبُ أطرافَ الحديث على الهاتف مع زوجة أبي الروحي داود، الذي كنا ننتظر قدومَه في أي دقيقة، وكنتُ أحب مجيء العم داود؛ لأنه كان دائمًا يضاحكني، وكان شديدَ المرح.

أتذكر في ذلك اليوم جلوسَ أخي مؤمن جانبَ الأريكة المواجهة للباب مباشرةً، وكان في عامه الرابع، وربما كان أبي يطلب منه الهدوءَ وهو يتحدث في الهاتف؛ لأنه كان يضرب لُعَبَه بعضَها ببعضٍ، ويصرخ كالمجنون، ما يُنتِجُ الكثيرَ من الضوضاء مع مطلع ذلك الصباح المشؤوم. كان هذا - وما زال - هو حال مؤمن دائمًا: مجنونًا مشاكسًا، ولا أحد يستطيع إسكاته؛ ولا أحدَ يجرُؤُ على إسكاته حتى الآن.

دينغ دونغ

تحرك أبي الآن؛ لينظُرَ من يدُقُّ الجرسَ، وكان قبلَها مستلقيًا على الأرض يُجري مكالمةَ عمل مهمة، لكنه كان يتوقعُ وصول شريكَيْه الرئيسَيْن؛ لذا أراد السماحَ لهما بالدخول؛ ليلتقطا أنفاسَهما ريثما يُنهي محادثته الهاتفية، وأتذكر أيضًا أن مصطفى كان موجودًا، وهو حارسُ أبي الشخصي، وكان شخصًا ضخمَ الجثة قويَّ البنية، وكان جالسًا على طاولة الطعام خلفَ أريكةٍ كانت بعيدةً في الخلف داخلَ المنزل، وكان عليه أن يبقى هادئًا، رابطَ الجأش، متماسكًا، يُراقبُ المشهدَ عن كَثَب؛ ليتأكدَ أن كل شيء على ما يرام، متأهبًا دائمًا لأي شيء قد يحدث.

ثم نظر أبي من النافذة، وقال: «إنهما جوني وداود».

فردّ مصطفى مستغربًا: «جوني وداود بالخارج؟! ما الذي أتى بهما في الصباح الباكر؟».

فردّ أبي: «إنهما يريدان فقط الدردشة حولَ بعض الأعمال، هذا كلُّ ما في الأمر، وسأسمحُ لهما بالدخول ريثما أنتهي من حديثي».

فتح أبي الباب: «مرحبًا! كيف الحال؟».

- «مرحبًا سالك، حسنًا، اسمح لنا بالدخول؛ فالجو باردٌ نوعًا ما هنا!».

- «من دون شك، وعلى الرحب والسعة، وأنت أيها الرجل، هل ستبقى جالسًا في السيارة؟ ألا تتفضلُ بالدخول؟».

- «لا تشغل بالك به يا سالك، فلن نستغرقَ وقتًا طويلًا». ودلف جون والعم داود إلى الداخل، وكالعادة، ركضْتُ أنا ومؤمن إليهما؛ ليحملانا ويُعانقانا كما يفعلُ الأعمام، فحملني أبي الروحي، ثمَّ أجلسني على حجره، بينما بدأ يتحدث، وفعل جون الشيءَ نفسه مع أخي، وكانا يتبادلان الحديثَ، بينما كان أبي لا يزال مستقليًا على الأرض يُكمل محادثتَه الهاتفية.

كان كلُّ شيء طبيعيًّا، ولكن فجأةً ودونَ سابق إنذار أصبح الأمر جنونيًّا.

كلُّ ما أذكرُه ممّا حدث في ذلك الوقت هو أن عمي داود دفعني بعيدًا عن حضنه بقوة مجنونة، وألقى بي على الأرض، وأُلقِيَ بمؤمن على الأرض كذلك، ووجَّه داود شيئًا في يده نحو أبي، وعليك أن تتخيل أنني طفل صغير، ولا أدري ما الذي يجري، فكل ما أعرفه هو أن هذا عمي داود، وأني أراه الآن يوجه مسدسًا نحوَ أبي، وصوب مسدسه تجاه صدر أبي، وضغط على الزناد، فكل هذا حدث على مرأى ومسمعٍ منا، وأبي مُستلقٍ على الأرض لم يكن حتى واقفًا، - وبدم بارد أُردِيَ أبي قتيلًا أمام عيني، وما زال صوت الرصاص الذي يصمُّ الآذانَ يتردد في مسامعي، وكأنه حدث بالأمس، وكان الصوتُ أشبهَ بذلك الصوت العالي الذي يصدر عن الألعاب النارية، فلقدقتل أبي للتو، ولم يُسعف الوقتُ مصطفى؛ حارسَه الشخصي، للتصرُّف؛ لأن الرجل الآخرَ باغته، وأطلق عليه النارَ مباشرةً بعد أن أطلق داودُ النارَ على أبي.

عمَّت الفوضى، وخرجَت أمي من الخلف صارخةً؛ لأنها سمعَت ما قد حدث للتو؛ فرأت الآثارَ، ولم يكن أمامها الآن إلّا أن تحاولَ النجاة بحياتها؛ لتُبقِيَ على حياة أطفالها، وقد كان كامل في مأمن؛ لأنها دسَّت جسدَه الصغيرَ في درج خزانة في الخلف مباشرةً قبلَ خروجها، وأصبحْتُ أنا ومؤمن الآن شغلَها الشاغلَ، فراحت تصرخ في هلع، فسوف يديران دفة القتل الآنَ نحوَها ونحو أطفالها، وأتذكرُ أنها انتشلَتْني من الأرض، وكنت أبكي بكاءً شديدًا؛ ليس بسبب كلِّ هذا الجنون وتلك الطلقات التي تصمُّ الآذانَ فحسب، ولا شك أني كنتُ غارقًا في الفوضى من حولي، لكن كان سبب صراخي أيضًا

أن إحدى الرصاصات التي أصابت مصطفى ارتدَّت عن الأرض، وخدشَت قدمي؛ لذلك كنتُ على الأرجح أشعرُ بألم شديد، وكانت أمي تحملني بيد، وتجري حاملةً مؤمنًا في يدها الأخرى، وهي في حالة هذيان، تتقاذفها الجدران والغُرَف؛ بحثًا عن ملجأ تُخبِّئُنا فيه؛ ولم يمنعهما مشهد امرأة تفعل كلَّ ما في وُسعها لحماية أطفالها، ولم يُثنِهما حالُها وهي تحمل طفلَيْها بين ذراعَيْها مذعورةً، بل مَضَيَا فيما عَقَدَا عليه العزمَ، وأطلقا عليها النارَ مرات عدة، لا مرة ولا اثنتَيْن ولا ثلاثًا، بل أربعَ مرات، وهي لا تزال صامدةً تقاوم، وحاولَت فتحَ باب غرفة جانبية، لكنه كان مُقفلًا، وأَطلقا الرصاصةَ الخامسةَ، فالسادسةً، فالسابعةَ، وبدأ الدم ينهمر على ذراعها، مُخضِّبًا الجدرانَ، وهي تقفزُ هنا وهناك محاولةً البحثَ عن ملجأ، حتى بدت الجدرانُ وكأن طلاءً أحمرَ اللون سُكِبَ عليها في كل مكان، وأطلقا الرصاصةَ الثامنةَ، فالتاسعة، فالعاشرة، وهي تحاولُ فتحَ غرفة أخرى لكن حدث الشيءُ نفسُه، ووجدَتها مقفلةً، فبدأَت تتهاوى، فقد تلقَّت عددًا كبيرًا من الطلقات، وها هي ذي تتلقى الطلقةَ الحاديةَ عشرةَ، فالثانية عشرة، فالثالثة عشرة، ثم وصلَت أخيرًا إلى الغرفة الخلفية، حيث كانت في وقت سابق، لكنها بحلول ذلك الوقت كانت قد تلقَّت بالفعل الكثيرَ من الرصاص، وخارَت قواها، فلم تعد تستطيع الفرار، وتراجعَت إلى الحائط وهي تحملني أنا ومؤمنًا على صدرها، فتقدم الرجلان نحوَنا، وصوَّبا مسدسيهما نحوَنا.. كليك.. كليك.. كليك.. كليك..

لقد قَتَلا أمي؛ وكما علمتُ بعدها لولا أن مسدسيهما فرغا من الطلقات لأردياني أنا وأخي مؤمنًا قتيلَيْن كذلك.

يُفتتحُ الكتابُ بفصل استهلالي يُشبه تمامًا الفصلَ الاستهلالي من حياة مطاع... صادمًا، فوضويًّا، باردًا، قاسيًا، فيشهد ذلك الحدثَ المؤلم وهو ما زال في عامه الثالث، في ذلك اليوم المشؤوم في مارس وقع ذلك الحدثُ الذي قلب مستقبلَ مطاع شباز واسين بيل، وأخَويه مؤمن (موني) ماسي، وكامل بيل رأسًا على عقب، واصطبغَت بداية حياتهم بالفقد المفاجئ لثلاثة أشخاص: لورنزو بيل (سالك)، وإليشا بيل (عقيلة)، وجيس ريديك (مصطفى). وهكذا بدأت الرحلة، محفوفةً بالأخطار في بعض الأحيان، خلالَ حياة مطاع (نابليون) بيل، العضو السابق في فرقة الراب الشهيرة؛ فرقة توباك شاكور (الأوتلو) وقد بدأ حياتَه طفلًا صغيرًا يخطو أولى خطواته في عالم مليء بالتحديات، حيث فقدَ إلى الأبد الشخصَيْن الوحيدَيْن اللَّذَين كان بمقدورهما أن يجعلا لهذا العالم معنى.

لقد كان صباحَ يوم سبت كساه الحزن في فصل الربيع، في إيرفينغتون بولاية نيوجيرسي، وكانت أجزاء من البلاد لا تزال تُضَمِّدُ جُرحَ الفاجعة الوطنية لمايكل دونالد؛ فقبلَ يوم واحد فقط في موبايل، ألاباما، اختَطف هنري هايز وجيمس نولز، عُضوا جماعة (كو كلوكس كلان) مايكل، وانهالا عليه ضربًا بلا رحمة، وذبحاه، وعلَّقاه في النهاية على شجرة، وقد مثَّلَت تلك البربريةُ، وعمليةُ الإعدام الحديثةُ تلك التي وقعَت عام 1981م، صدمةً وطنية، ولكنها في الوقت نفسِه كانت بمنزلة دقٍّ لأجراس الخطر بأن العنصرية لا تزال متفشيةً في المجتمع، ولم يكن لورنزو (سالك) بيل يعلم - في خضم هذه المأساة الوطنية - أن هناك مأساةً أخرى تلُوحُ له في الأفق بعدَ ساعات عدة.

فقد كان سالك شابًّا أسودَ طموحًا مركّزًا على أهدافه، يبلغ من العمر 27 عامًا، لكنه كان مُنكبًّا على عمله، وانخرط في تجارة الماس في أوائل العشرينيات من عمره، وسرعانَ ما تمكن من جمع ثروة كبيرة بما يكفي لأن يشتري لأبيه وأمه منزلَيْن في إيرفينغتون، بنيوجيرسي، التي كانت في ذلك الوقت يقطنها في الغالب عائلاتٌ بيضاء عاملة من الطبقة الوسطى، وقد أطلق كذلك سلسلة من المشاريع العقارية المربحة، التي مَكَّنَته من توليد مصادر دخل متعددة في سن مبكرة نسبيًّا، وبحلول الثمانينيات، لم يكن من الغريب رؤية رجال سود ناجحين، لكنه كان يمثّل الأقلية؛ فقد كان السود ما زالوا يكافحون لتحقيق خطوات كبيرة في المجتمع، وكانت موجة الغضب الوطني التي أثارها مقتل مايكل دونالد دليلًا على حقيقة أن أمريكا لا يزال أمامها طريق طويل لتقطعَه فيما يتعلق بالعلاقات بين الأعراق، ولكن سالك كان ناجحًا بكل المقاييس، وكان يعيش حياة رغدةً في إيرفينغتون، وربما يعتقد المرء أن هذا كان مدعاة للابتهاج في أمريكا في الثمانينيات، ولكن في مجتمع السود، حيث كان الكفاحُ هو السمةَ الغالبة في كثير من الأحيان[1]، كان النجاح أحيانًا سلاحًا ذا حدَّيْن، فمن ناحية، يشعر الناس بطبيعة الحال بالسعادة لرؤية الآخرين يحققون النجاح، ويتقدمون في حياتهم؛ ومن ناحية أخرى، فإن رؤية المرء شخصًا ما يتفوق تفوقًا كبيرًا عليه قد يُولِّدُ الحسدَ.

وكان سالك سفيرًا للنجاح في بيئة لم يكن فيها النجاحُ سهلَ المنال للجميع، وهو ما سيجعله دائمًا هدفًا لأسوأ السمات الشخصية في الآخرين: الغيرة والكراهية؛ وذلك لأن حياته ازدهرَت، ولم يكن خائفًا من إظهار أمارات ذلك الازدهار، ففي الحي، كان سالك يقود سيارات كاديلاك وردية جديدة، ويرتدي ملابس براقة ومعاطف من الفرو، ويمتلك الجواهر الفاخرة؛ وقد عنى كلُّ ذلك أن سالك قد نجح، وكان الكثيرون سُعداء لرؤية شخص من بينهم ينجح، غير أن آخرين رأَوْا أن التباهِيَ بنجاحه هو الواقع البارد لحلم لم يكن في متناولهم، ولم يرغبوا في أن يرَوْا ما يُذَكرهم بذلك كلَّ يوم.

وكان سالك يتسلَّق سُلَّم الحياة سريعًا، وحتى يكتملَ هذا النجاحُ، أدرك سالك أهميةَ الاستقرار والبحث عن امرأة صالحة تشاركه الحياة.

وأصبح سالك مؤمنًا بأهمية الأسرة، وبدلًا من أن يقضيَ بدايات ريعان شبابه في مطاردة النساء، استقر، وتزوج حبيبتَه في المدرسة الثانوية إليشا (عقيلة) ماسي، فقد كانت من أصولٍ بورتوريكية وكوبية، ولم تكن الزيجاتُ بين الأعراق المختلفة مقبولةً على نطاق واسع في أمريكا في الثمانينيات (في ذلك الوقت لم يتقبَّل هذا الأمرَ من الأمريكيين إلّا 30٪ فقط[2])، ولكن الحب الذي جمعهما كان لا يمكن إنكارُه، وكان حبًّا حقيقيًّا، وعندما يكون الحب حقيقيًّا يكون نقيًّا وإنسانيًّا، ولا يمكن أبدًا تقييده أو اختزاله بلون البشرة أو العرق، وكان هذا شيئًا لن يكون أمام أمريكا من خيار سوى أن تتقبله على مدار العقود القليلة القادمة؛ فقد بدأت المواقف المجتمعية تجاهَ العرق والزواج تتغير.

وقد رُزقا بثلاثة من الأبناء اللطفاء: مؤمن، ومطاع، وكامل، وكان لسالك أيضًا طفلان من زواج سابق، وهما: سيكي وشارود، وعلى الرغم من أن أطفالَه من الزيجتَيْن لم يُظلَّهم سقفٌ واحد يعيشون

تحتَه، فإنهم كانوا كيانًا واحدًا، ينعمون بالمحبة الأخوية، وبالبيئة التي وفَّرَها لهم والدهم، ولا شك أن الحب والرعاية والأمن أمورٌ ضرورية لصحة أي عائلة وبقائها؛ ولكن نظرًا إلى المعاملة المؤسفة التي عُومِلَت بها أمريكا السوداءُ تاريخيًّا، فقد كانت تلك الأمورُ ذاتَ أهمية خاصة للعائلات السوداء التي شهِدَت قدرًا كبيرًا من عدم المساواة، ولم يدرك سالك وعقيلة الدورَ المحوري للأسرة فحسب، بل كانا يتمتعان أيضًا بإيمان راسخ؛ فقد شعرا شعورًا عميقًا بأن الإيمان بالله هو حجرُ الزاوية، والأساسُ لتحقيق أهدافهم ونجاحهم في الحياة، والحفاظ على ترابُط الأسرة، وشأنهما شأن كثير من الشباب السود في ذلك الوقت، اعتنقا عقيدة منظمة (أمة الإسلام)، وحاولا عيشَ حياتهما وفقًا لتعاليم إيليا محمد، وعلى الرغم من أنهما ظلّا عضوَيْن نشيطَيْن في مجتمع (الأمة) بضع سنوات، فإن الأسبابَ نفسَها التي دفعَت مالكوم إكس إلى الانفصال عن المنظمة ستدفعُهما كذلك إلى تركها، فقد عقدا العزمَ على تبني ممارسة أكثرَ شموليةً وتقليديةً في حياتهما، وكانت الحياة في ذلك الوقت تُعَدُّ جيدةً لسالك وعقيلة الشابَّيْن؛ فقد كانت الثروة والحب والأسرة والإيمان هي المفردات التي تُشَكِّلُ الحلمَ الأمريكي في أفضل صوره، وكان سالك وعقيلة يعيشانه بالفعل، ولكن في صباح يوم السبت 21 مارس 1981م، تحطَّم ذلك الحلمُ إلى الأبد.

وقد تمكن سالك طوالَ حياته ومعاملاته التجارية من تكوين عدد من المعارف المقربين، ولم يكن أيٌّ منهم أقربَ ولا أكثرَ أهميةً من داود محمد وجيس ريديك (مصطفى) وربط داودَ وسالكَ صداقةٌ حميمةٌ منذ الطفولة، وحاز كلٌّ منهما على ثقة الآخر واحترامه على مر السنين؛ ولمواجهة الصعوبات الموجودة في الأحياء الفقيرة، فإن الثقة والاحترام هما الأُسُس المقدسة لأي علاقة ذات معنى، ويُعَدُّ انتهاك أيٍّ منهما انتهاكًا حقيقيًّا لقانون البقاء غير المُدَوَّن، وسافرا معًا، وكان منزل أيٍّ منهما منزلًا للآخر ينامُ فيه، ويتناول كلٌّ منهما الطعامَ الذي تُعِدُّه أمُّ الآخر، وقد عد سالكٌ داودَ صديقًا حقيقيًّا، وشريكًا رئيسًا، ولم يَدُرْ بخَلَده قطُّ أنه أو عائلته قد يتعرضون لأي نوع من الأذى على يد داود، وأما مصطفى، الأخُ الأكبر الوفي قوي البنية، فقد جعله سالك حارسَه الشخصيَّ، وكان على أتم استعداد ليفديَه بروحه، يذهب معه أينما ذهب؛ ليضمنَ أنه وعائلته بأمان في كل وقتٍ وآنٍ، لكنه لقي المصيرَ المحتوم في 21 مارس، ولم يكن بمقدوره حتى أن يحمِيَ نفسه.

وفي وقتٍ ما، بدأت مشاعر داود تجاهَ سالك تتغير، وهناك قاعدة ذهبية في الحياة تقضي بأن المالَ لا يفرق أبدًا بين الأحبة؛ ولكن لسوء الحظ في الأوقات التي يقع فيها البشر ضحايا لرذائلهم، وفي الأوقات التي تطغى فيها العواطفُ على الحكم العقلاني والفطرة الإنسانية، وفي الأوقات التي يقع فيها الناس أُسارى المتاعب، ولا يجدون مفرًّا منها يُمكن للابن أن يقتُلَ أمَّه، وليس داود من هؤلاء ببعيد، فقد حدثَت بعضُ الخلافات المالية بين الاثنين، ولكن بدلًا من أن يجلس الأخ مع أخيه، ويُسَوِّي ما بينهما من خلافات، طَوَّعَت لداود نفسُه قتلَ أخيه، وأن ذلك سيكونُ الحلَّ الأفضلَ للشؤون المالية: اقتُلْه هو وزوجتَه وأولادَه، وأَنْهِ الأمرَ، وعلى الرغم من أن ضميرَه كان يُؤنِّبُه حولَ فكرة قتل أفضل أصدقائه، فقد كان ضميره أولَ من أُمِيت، وشرعَ داود يضع خطته الأثيمة مع جون موس، وهو أحد معارفه، بأن يزورَ الرجلان سالك بحجة الحديث حولَ الشؤون التجارية، وفورَ وصولهما إلى هناك،

يطلقان النارَ على كلِّ من كان حاضرًا، ورتبا كذلك لإيقاف سيارة خارجَ المنزل؛ للهروب بها في حالة احتياجهما لمغادرة المنطقة على الفور، وكان موعد التنفيذ هو صباح السبت، 21 مارس.

كان سالك يُجري محادثةَ عمل على الهاتف صباحَ يوم السبت، وكان داود قد أخبره في اليوم السابق أنه يود أن يأتيَ إليه، ويتحدث معه في نهاية ذلك الأسبوع؛ لذلك كان سالك يتوقعُ حضورَه، وكانت الأمور طبيعيةً، ولم يكن سالك يشك في أي شيء؛ فسمح لداود وجون بالدخول بعد أن قرعا الجرسَ، وعاد إلى محادثته الهاتفية، مستلقيًا بكل أريحية على أرضية غرفة المعيشة، وكان سالك قد لاحظ وجودَ شخص ثالث جالس في السيارة ينتظر، لكنه لم يُعِر ذلك اهتمامًا، وانخرط داود وجون في محادثة قصيرة، بل لاطفَا أطفال سالك بعضَ الملاطفة، هذَيْن الطفلَيْن الصغيرين الجميلين؛ الواقفين على أعتاب مستقبل أمريكا السوداء، ولم تكن براءتُهما الطفولية كافيةً لمنع تلك المذبحة التي كانت على وشك الحدوث، وشعر داود أن الأوان قد آن لبدء التنفيذ، وقطع حديثَه القصير، ملقيًا بمطاع على الأرض بقوة، وأمسك مسدسه، وصوَّبَه نحوَ الأرض، وضغط على الزناد، محدثًا فجوةً في صدر سالك بيل، ليُردِيَه من فوره قتيلًا، إذ قال مؤمن: إنه حتى يومنا هذا، لن ينسى أبدًا منظر والده مُمدَّدًا، وقد خلَّفَت الرصاصةُ في جسده فجوةً يَظهرُ منها لحمُ جسده، وبعد ذلك مباشرةً، حذا جون حذوَه، ودفع بمؤمن من على حجره بعيدًا، مُطلِقًا النار على مصطفى ليُباغِته قبلَ أن يتخذ أيَّ ردة فعل، فأَسقَطا قتيلَيْن، وحان الآن دورُ الزوجة والأطفال.

ولم يكن لعقيلةَ أن تتخيل أنها ستسمع دويَّ طلقات نارية في منزلها، ولا أن ترى زوجَها ممددًا في بركة من الدماء التي تتدفق من فجوة في صدره، ومع ذلك، لم يكن لديها وقتٌ للتفكير، ولا وقت للشعور، فقد كان عليها أن تتصرفَ بسرعة؛ فتحركَت فيها غريزة الأمومة، وانطلقت من الخلف إلى حيث كان مطاع ومؤمن وانتشلَتهما، حاملةً بذراعٍ مطاعًا، وبالأخرى مؤمنًا، وقبل أن تتحرَّك من الغرفة الخلفية، كانت قد دسَّت كاملًا بالفعل في أحدِ الأدراج، مبتهلةً إلى الله ألَّا يعثُرَ عليه من أطلق النار: اللهم، نجِّ أطفالي من القتل، ولم يكن مشهدُ امرأةٍ عاجزة تركض حاملةً طفلَيْها هربًا من الموت الوشيك كافيًا لإيقاف المهاجمَيْن؛ لا براءة الطفلَيْن، ولا عجز الأم، ولا يأسها، فقد كانا عازمَيْن على إنهاء مهمتهما، فصوبا مسدسيهما نحوها، وبدأا في إطلاق النار عليها، الطلقة الأولى، فالثانية، فالثالثة، فالرابعة، ثم الخامسة، فالسادسة، ثم السابعة، فالثامنة، فالتاسعة، ثم الثالثة عشرةَ. نعم، أطلقا عليها النارَ ثلاث عشرة مرةً، حتى نفِدَت طلقاتُهما عليها، وهنا وصلَت إلى حيثُ لا مفر، وأسلمَت ظهرها للحائط، وانهارت حاملةً طفليها على صدرها، فتوجه داود وجون نحوَ الطفلَيْن، وصوبا مسدسيهما نحوهما؛ فلم تثنِهما تلك الوجوه البريئة المرتبكة المرتاعة، فقد كان أمامهما مهمة يجب عليهما إنهاؤها، فضغطا على الزناد، ولكن الرصاص كان قد نفِد.

ولما علم داود وجون باقتراب وصول الشرطة، هُرعا إلى خارج المنزل، وانطلقا إلى السيارة التي كانت تنتظرهما في الخارج، وبعد مغادرتهما، أمضى مطاع ومؤمن الساعات الأربع والعشرين التالية بجوار جثتَيْ والدَيْهما الغارقتَيْن في دمائهما محاولَيْن فَهمَ ما يجري، وببراءة الأطفال اعتقد

مطاع ومؤمن أن والدَيْهما كانا نائمَيْن فحسب، ويتذكر مطاع جيدًا أنه عَضَّ والدته، وقرصها لإيقاظها، ولكن لما أعيتهما المحاولة دون أن يجدا أي استجابة استسلما للنوم حتى صباح اليوم التالي، عندما وصلت الشرطة أخيرًا، وكان قسم الشرطة قد تلقى في ساعة مبكرة من صباح الأحد رسالة استغاثة من أمير؛ الصديق الذي كان على الهاتف مع سالك وقتَ إطلاق النار، وبمساعدة أمير، تمكنَت الشرطةُ من تحديد مكان المنزل، وسرعانَ ما عثروا على مطاع ومؤمن، وهُرعت الشرطة بهما إلى الأمان في قسم الشرطة.

إنه لأمر صعبٌ من دون شك أن تجُولَ تلك الذكرى بخاطري من حين لآخر؛ أعني أنه من الطبيعي بالنسبة إلى معظم الناس أن يكونَ لديهم أمٌّ وأبٌ، وإذا لم يجتمع عندك كلاهما، فعادةً ما تعيش على الأقل مع أحدهما، وأما أنا، فلن أعرفَ أبدًا كيف يبدو ذلك الشعور، لكن هذا هو حالُ الحياة؛ كلُّ شيء يحدث لسببٍ ما، فقد كان للحادثة أكبرُ الأثر على أخي؛ لأنه يتذكرُ كلَّ شيء بوضوح، وبعد ذلك بمدة كبيرة سنحت الفرصة للانتقام من داود؛ فقد أخبرني أحدُهم أن أحدَ الأصدقاء المُقرَّبين قد حُبِسَ، وانتهى به الأمرُ إلى الزنزانة نفسِها التي حُبِسَ بها داود، وكان واضحًا أن داود قد ندِمَ على ما فعل، لكن صديقي لم يأْبَهْ لذلك؛ بل كان على استعدادٍ لقتل داود في السجن، وكان فقط ينتظر إشارة مؤمن، ولكني رفضتُ ذلك، وكنتُ أعرف أحدَ ضباط السجن، وسألته عما إذا كان بإمكانه نقل داود إلى زنزانة أخرى؛ لأن حياته كانت في خطر، وهو ما فعله، وقد سامحْتُه، لكن أخي لم يفعل، وما زال يكتوي بنار الذكرى حتى يومنا هذا.

الفصل الثاني
العائلة هي كل شيء

«يا أخي، الدم لا يستحيل ماءً أبدًا».

مطاع بيل

في كثيرٍ من الأحيان تقسو علينا الحياةُ، وأحيانًا تكونُ شديدةَ القسوة، ثم لا تتركُ لك أيَّ خيار سوى المُضي قُدُمًا لتُدرِكَ لاحقًا حقيقةَ الأمور، وبعد وفاة سالك وعقيلة بيل، واجهَت أطفالَهما حياةٌ ملؤُها عدمُ اليقين، وأيًّا كان القرارُ الذي كان يجبُ اتخاذُه كان يجب أن يُتَّخذَ سريعًا في أعقاب إطلاق النار، فقد كانت الأجواءُ مشحونةً بالخطورة في كل مكان، وكان الحيُّ بأكمله على حافة الهاوية، وفي حالة من الرعب الشديد؛ فما من أحدٍ يعرِفُ من هم القتلةُ، ولم يعرِفْ أحدٌ ما إذا كانوا سيعودون ليقضوا على الأطفال؛ بل قد يحدُث ما هو أسوأ من ذلك، وفي هذه المرحلة، اعتقدَت عائلتا سالك وعقيلة أنه من الأفضل للأطفال البقاءُ مع جدتهم والدة سالك، ومع عمتهم سميرة، التي كانت تعيشُ أيضًا في منزل والدتها، وكانت مسلمةً ملتزمةً، فقرَّرَت الأسرةُ أنه تكريمًا لنمط الحياة والسلوك الديني اللَّذَيْن مارسَهما سالك وعقيلة، كان من الأفضل للأطفال أن يكبروا بالقرب من عمتهم سميرة، ويقيموا في منزل الجدة ماري.

وعلى الفور عرضَت ماري كلارك - جدةُ مطاع، المسيحيةُ المتدينة التي جاهدت للاضطلاع بدورها لتجلبَ الحب والسلام إلى العالم - أن تضمَّ الأطفالَ إليها، وكان منزلها يقع في شارع نادين، ليس ببعيدٍ عن المكان الذي كان يعيش فيه سالك، فقد أحبَّ سالك والدتَه حبًّا جمًّا، ولهذا اشترى لها منزلًا في حيٍّ راقٍ في البلدة نفسِها التي كان يعيش فيها؛ فقد أراد رؤيتَها كلَّ يوم، وأراد أن يراها أحفادُها، وأراد لها أن تنعم براحة البال، وكانت إيرفينغتون في سبعينيات القرن الماضي مكانًا آمنًا نسبيًّا للعيش فيه: فلا شكَّ أنها كانت أكثرَ أمانًا من مدينة نيوآرك المجاورة، التي كانت بؤرةً لأعمال شغب عرقية قاتلة منذ سنوات مضَت، في صيف عام 1967م[3]، وقد اندلعت أعمال الشغب تلك عندما تعرض جون سميث، وهو سائقُ تاكسي أسودُ، للضرب المُبرِّح على يد أعضاء من قسم شرطة نيوجيرسي، وقد شاع أنه تُوُفِّيَ متأثرًا بجراحه؛ ونتيجةً لذلك اندلع الغضبُ في المجتمع الأسود، وعلى الرغم من تبيُّن أنه ما زال على قيد الحياة، فإن السُّكّانَ السود كانوا لا يزالون غاضبين من حالة أخرى استخدَمَت فيها الشرطةُ القوةَ المفرطة ضدَّ السود؛ وللتنفيس عن هذا الإحباط نظموا مسيرةً؛ احتجاجًا على وحشية الشرطة، وبدأ الاحتجاجُ سلميًّا في 13 يوليو 1967م، لكنه سرعانَ ما تحول إلى أعمال عنف مميتة، عندما بدأ المتظاهرون في تحطيم نوافذ المنطقة

بالحجارة، وقد قُتل في تلك الأحداث ستة وعشرون شخصًا، وقُدِّرَت خسائرُ الممتلكات بملايين الدولارات، ويمكنُنا القولُ: إن نيوآرك بعد تلك الأحداث لم تعُد يومًا كسابق عهدها.

وبعد أعمال الشغب التي وقعَت في نيوآرك، أصبحَت إيرفينغتون مقصَدًا لكثير من عائلات الطبقة العاملة البيضاء وعَدُّوها ملاذَهم الآمنَ، وفي وقت مقتل سالك كان 40٪ من سكانها من السود و60٪ من البِيض[4]، وقد تغيَّرَت هذه التركيبةُ السكانيةُ تغيُّرًا جذريًّا بعدَ ظهور الكوكايين الصخري (الكراك) في أوائل الثمانينيات، لكنها لم تكُن قد ابتُلِيَت به في ذلك التوقيت، وقد مثَّل مقتلُ والدَيْ مطاع صدمةً حقيقية للمدينة بأكملها؛ إذ لم يتوقع أحد وقوع مثل هذا القتل بأسلوب الإعدام في إيرفينغتون، ولا أحدَ يمكنه توقُّعُ ما الذي يمكن أن يحدثَ بعد ذلك، وعندما استقبلَت الجدةُ ماري أحفادَها، أصبح شغلها الشاغل هو الحفاظ على سلامتهم بأي ثمن، وعلى الرغم من كونها لطيفةً حتى النخاع، فقد اضْطُرَّت الآن إلى فعل ما كان على الكثير من النساء السوداوات فعلُه تاريخيًّا، أن تتحلى بالقوة والشجاعة لضمان البقاء الجماعي للقبيلة.

فقد كانت جدتي امرأةً سوداء قوية من الجنوب، وبعدَ مقتل والديَّ، ارتبكَت الأمورُ في الحي؛ فقد كان الرجال المرتبطون بالقتلة يأتُون من وقت لآخر للبحث عنا، مُنذِرين بارتكاب شيءٍ ما، وكانوا مُسلَّحين بالمسدسات، وكانوا يُشهرونها من نوافذ السيارة، وعلى الرغم من صغر سني وقتها، أتذكَّرُ ذات مرة على وجه الخصوص عندما كانت مجموعةٌ من الأشخاص في سيارة يتجولون في الحي الذي كنا نعيشُ فيه، ويتحرَّكُون ببطء، أنت تعلم أنه عندما تتحرك سيارة ببطء في الحي، يكونُ هذا نذيرَ سوء! وكانوا يقودون ببطء، بينما كنت أنا وأخوَاي في الشرفة مع جدتي وعمتي سميرة؛ لقد كانوا يُحدِّقُون فينا محاولين ترهيبنا أو أيًّا كان، ولقد كان وقتًا عصيبًا، وكانت جدتي لا تُجازف أبدًا، فهُرِعَت بنا إلى المنزل سريعًا، ولم تسمح لنا بالعودة للخارج مدة طويلة، وكان هذا ديدننا كلما رأينا سيارة مشبوهة... نركض مثل المجانين إلى المنزل، ولقد كان وقتًا مليئًا بالجنون، وكان يراودنا الشعور بأن آجالنا قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى.

وبعد مرور بعض الوقت بدأَت الأمور تحتدمُ شيئًا فشيئًا في الحي، وبعد تحقيقات مكثفة، تمكن المحققون من القبض على خمسةٍ مُشتبَهٍ فيهم، مع تحديد داود محمد (ديفيد لامبرت) على أنه المرتكب الرئيس للجريمة، ولتأكيد هوية القاتل، استَدعى الادعاء مؤمنًا في أثناء المحاكمة إلى منصة الشهود، وكان لا يزال في الرابعة من عمره، وقد قدَّم وليد كلارك، عمُّ مؤمن، سردًا لما حدث في قاعة المحكمة في الفيلم الوثائقي "*Napoleon: Life of an Outlaw*" (نابليون: حياة عضو في فرقة الأوتلو)[5] قائلًا: «(طرح الادعاء) سؤالًا واحدًا: هل ترى قاتلَ والدَيْك هنا؟ فأشار إليه قائلًا: (هذا هو من قتل أمي وأبي)، فأخرجوه عن المنصة، وكان هذا هو السؤال الوحيد، ثم أشار قائلًا: (هذا هو من قتل أمي وأبي). وتمكن مؤمن -بعقله الصغير الذي ما زال مطبوعًا فيه صورةُ تلك المأساة التي وقعَت حديثًا- من تحديد هوية داود بنجاح بوصفه القاتلَ الرئيس في المحاكمة، وبعد تداول هيئة المحلفين، حُكِمَ على داود بالسَّجْن مدى الحياة.

وبعد إدانة القَتَلة، عادَت الحياة في إيرفينغتون إلى طبيعتها إلى حدٍّ ما بالنسبة إلى مطاع ومؤمن وكامل، وأصبحوا يعيشون الآن معًا في منزل الجدة ماري مع عصبة من أبناء عمومتهم، وأبرزهم رودي وريف ابنا سميرة، وسيتولى رودي وريف حمايةَ مطاع ومؤمن لاحقًا، عندما يخوضان لُجَّةَ حياة الشوارع، لكن ريف على وجه التحديد هو الذي قدَّم مطاعًا لعالم قبعات كانغول، وبيغ دادي كان.

وكانت الجدةُ ماري صاحبةَ قلب عطوف، لا يُقصي أيَّ أحد، وكانت تمتلك منزلًا قديمًا صغيرًا، عامرًا بالناس على الدوام، وغالبًا ما كانت تسمح لأي شخص بالبقاء معها، فكان عددهم يصل أحيانًا إلى 20 شخصًا أيًّا كان الوقت، وكانت العمةُ وأطفالُها يعيشون في العلية، ومطاعٌ وأخواه في غرفة نومٍ، وفي غرفة نوم أخرى ستةٌ من أبناء العمومة، وفي الطابق السفلي يعيش عمٌّ مع أطفاله، ومع وجود هذا العدد الكبير من الأشخاص، كانت الحياة في منزل الجدة في بعض الأحيان متوترةً، ولكن بقوتها الهادئة استطاعَت المحافظةَ على النظام، وقد بذَلت قصارى جهدها لتُحْسِنَ تربية أحفادها كثيري العدد؛ فلن يعبأَ أحدٌ بشأن أحفادها السود، ولكونها آتيةً من الجنوب، حيث كانت العلاقاتُ العرقيةُ في ذلك الوقت لا تزال شديدةَ التوتُّر، فقد أدركَت أن العائلاتِ السوداءَ ستخوض كفاحًا ونضالًا؛ إذ كان عليهم أن يُؤَدُّوا ضعفَ ما يُؤديه غيرُهم؛ حتى يُمكنَ اعتبارُهم متساوين في المجتمع؛ لذلك كانت مدركةً وهي تُنَشِّئُ أحفادَها، أن الأمرَ يجب أن يتمحورَ دائمًا حول الأسرة والمدرسة والله؛ فقد كان عليهم أن يبقوا معًا، وأن ينالوا حظَّهم من التعليم، وأن يكونوا أعضاءً منتجين في المجتمع؛ ولن يتحقَّق أيٌّ من هذا دونَ استحضار الله في حياتهم.

وكانت الجدةُ ماري تذهبُ إلى الكنيسة أسبوعيًّا، وكانت تعرف الكثيرَ من نصوص الكتاب المقدس، ودائمًا ما تدمج الدينَ في حياتها: الله لا يحِبُّ القبيحَ، صلِّ إذا كنتَ تريدُ ذلك بشدة، باركَ الله روحَك الصغيرةَ، لا تَعْملوا أعمالَ الشيطان، فهذه هي العباراتُ التي كانت تتردد على مسامع مطاع في المنزل يوميًّا؛ حتى أصبحَت الروحانيةُ جزءًا لا يتجزأُ من بيئة طفولته المبكرة، ففي كلِّ ليلة قبلَ أن يأووا إلى فراشهم، كانت تطلب منهم الصلاةَ دائمًا؛ وكانت تصلي ليسوع، وأخبرَت العمةُ سميرةُ مطاعًا وأخوَيْه أنهم يصلون لله، وكان مطاع في تلك الأيام غالبًا ما يدعو بعودة أمه وأبيه، وكانت الجدةُ تخبره بأنهما عادا إلى الله إلى الأبد، حيث سنذهبُ جميعًا يومًا ما، ولم يُحِبَّ مطاعٌ هذا الردَّ قطُّ، وغالبًا ما كان يغضبُ بسبب فكرة أنه لن يتمكن من مقابلة أمه وأبيه إلَّا بعدَ وفاته.

وكنتُ طفلًا صغيرًا غاضبًا مكتئبًا، وأحيانًا شديدَ الحساسية، وكنتُ أقول لجدتي: «أريد أمي، أريد أمي!»، وكان هذا هو كل ما أدعو به حين كنا نصلي، وكانت تبذل قصارى جهدها لتُعَزِّيَني، وتقول لي: إنهما لن يعودا؛ لأنهما عادا إلى الله، وإن الله توفاهما، ولم أكن أشعر بذلك حقًّا، ولم أستطع فهم ما يعنيه ذلك في ذلك الوقت؛ لذلك كان ينتابني غضبٌ شديدٌ بالليل، وأصرخ بلا سبب: «أريد أبي! أين أبي؟! أريد أمي!»، وظلت تخبرني بأنهما عادا إلى الله، وأن هذا هو المكان الذي سنذهب إليه جميعًا؛ لذلك كنت أقول: «حسنًا! أريد أن أموتَ إذن! أريد أن أقتلَ نفسي! أريد أن أموتَ!»،

فسمعني جدي ذات مرة، فقال: «حسنًا يا مطاع! أتريد أن تقتلَ نفسك؟!»، ثم ذهب، وأحضر كرسيًّا، وعلّاقةَ ملابس، وحبلًا، وقال: «هيا! هل تريد أن تقتلَ نفسك؟! هيا افعل ذلك! أَنْهِ الأمر سريعًا، عليَّ أن أذهبَ إلى العمل في غضون نصف ساعة!». لدى العائلات السوداء أحيانًا طريقةٌ طريفة جدًّا للتعامل مع المشكلات النفسية (يضحك) ومنذ ذلك الحين توقفْتُ بالتأكيد عن قول ذلك!

كانت جدةُ مطاع، المتدينةُ الصبور، تُغدِقُ على الجميع الحب والمودة، وكانت تحب أحفادَها حبًّا جمًّا، وكذلك كانوا يحبونها، ولكنها في نهاية الأمر، كانَت امرأةً رقيقةً تُرَبِّي أشبالَ أسد في عرينها، وكانت مسألة وقتٍ فقط حتى يكبروا، وتبدوَ شراستُهم، ويُدركوا مقدار القوة والشدة التي يتمتعون بها حقًّا، وشأنُهم شأنُ الصبية الآخرين، كان مطاعٌ وأخواه وأبناء عمومته يتشاجر بعضُهم مع بعضٍ باستمرار، ويتشاكسون حولَ أي شيء، من ألعاب الفيديو، إلى اللُّعَب، إلى الجلوس على الطاولة.

ولأن مطاعًا ومؤمنًا كانا يتيمَيْن، فقد طورا أسلوبهما الخاص من الثورة والعنف، وفي بعض الأحيان كان كلٌّ منهما يُوَجِّهُ للآخر أشدَّ صور العنف ضراوةً.

كنا أطفالًا متوحشين! وكان هذا قبلَ أن نختلطَ بحياة الشارع، عندما كبرنا قليلًا، واعتدتُ أنا ومؤمن على التشاجُر كثيرًا، وأحيانًا كان كامل يدخل في الشِّجار، ولكن ليس كثيرًا؛ لأنه كان أصغرَنا، كنا جميعًا نتشاجر، لكن حدث ذلك كثيرًا بيني وبين مؤمن على وجه الخصوص؛ ربما لأن عُمرَيْنا كانا شديدَي التقارب، ولا أريدُ أن تفهموني خطًا، فقد كنا يُحِبُّ بعضُنا بعضًا في نهاية الأمر، لكننا كنا نتمادى في الشجار! كنا مجانين، ولما بلغنا الثامنةَ أو التاسعة من العمر كان مؤمن قويًّا نوعًا ما بالنسبة إلى عمره، وكان يلفُّ ذراعَه حولَ العُنق بطريقة قاتلة! فقد فعل ذلك ذات مرة معي، وأصاب أذني؛ فاستشطتُ غضبًا، وأمسكتُ بأقرب شيء طالته يدي في ذلك الوقت، وهو مفك البراغي، وحاولت أن أضربَه به، ولحسن الحظ لم تُصِبه الضربةُ! ومرةً أخرى سخِرَ مني أمامَ ريف، فغضبتُ غضبًا شديدًا، وقلتُ في نفسي: حسنًا، انتظر حتى ينامَ، وكان لدينا أسرّة بطابقَيْن، وكان ينامُ في السرير السفلي، وكان هناك مَزقٌ أسفلَ سريري يمكنُك إخفاء الأشياء فيه، فقلتُ في نفسي: سيموت الليلةَ، فلن أسمحَ له بأن يسخرَ مني هكذا! لذلك وضعتُ هذه الخطة المجنونة، بأن أضع ثُقلًا يزن خمسةَ أرطال في ذلك الجزء المُمزَّق أسفلَ سريري، وعندما نخلد إلى النوم، أقفز على سريري لأعلى ولأسفل حتى يسقط الثُّقل على رأسه! أعرفُ أن هذا يبدو جنونيًّا! واعتقدتُ حقًّا أن خطتي ستنجحُ، وكان هذا هو الجزء المجنون! كنتُ متحمسًا؛ لذلك أخبرتُ ريف بخطتي الرئيسة، فذهب ريف مباشرةً، وأخبر مؤمنًا بالخطة، وعندما صعدتُ إلى الطابق العلوي في تلك الليلة، كان مؤمن في الغرفة بالفعل ينتظرني، فقال: «هاه ؟! أتريد أن تقتلَني؟!»، وهُرِع نحوي، وبدأنا الشجارَ، وريف لا يزيد على الضحك، ومن الطريفِ تذكُّر ذلك التنافُسَ الذي كان بيننا في ذلك الوقت؛ لأننا قريبون جدًّا الآن، ولكن في ذلك الوقت، ساد بيننا الكثيرُ من الغضب والعداوة، وأحيانًا كان بعضُنا يُنَفِّثُ عن ذلك الغضب في بعضٍ.

وقد كانت المشاجراتُ بين مطاع وأخوَيْه وأبناء عمومته بمنزلة مناورات تدريبية للمرحلة التالية من حياتهم؛ ففي المنزل، تعلموا دروس الحرب الأساسية: ولاءَ بعضهم لبعضٍ؛ واحترامَ الذات واحترام الآخرين؛ واليقظةَ وإبقاءَ العينَيْن مفتوحتَيْن دائمًا؛ والشجاعة، ولكن بعد أن أصبحوا أكبرَ بسنوات قليلة وأكثرَ نضجًا، بدؤوا في قضاء المزيد من الوقت خارجَ المنزل في الشوارع، وقد استوعبوا الدروسَ التي تعلموها معًا في المنزل؛ وكان لا بُدَّ لهم من تطبيقها في الحي، وربما كان منزلُ الجدة ماري أحيانًا أشبهَ بحديقة حيوانات، لكن الحالَ في الخارج كان أشبهَ بالغابة طوالَ الوقت، وكانَت الأمورُ تتغيرُ سريعًا بين عشية وضحاها في إيرفينغتون، وأصبحَت النفسُ الثائرةُ ضروريّةً للبقاء على قيد الحياة، وكان على مطاع ومؤمن، في فترةٍ تكوينية من حياتهما، أن يتعلما مجموعةً جديدة كاملة من القواعد، للعيش في إيرفينغتون التي كانت على وشك التغيُّر تغيُّرًا كبيرًا، وكان ذلك حين دخل الكوكايين الصخري نيوجيرسي، ولم يتجاوزا عامَيْهما الثامنَ والتاسعَ بعدُ.

الفصلُ الثالثُ
الحياة في الحي وفي شارع تشانسلر أفينيو

حياة الحي ليسَت مواتيةً لأي شخص.

توباك شاكور

ما زلتُ أذكر كيف انقلبَت الأمور من حولنا بينَ عشية وضحاها.

وقد اعتدنا على وجود هذه السيدة البيضاء العجوز اللطيفة التي تعيش على مقربة في شارعنا، وكانت تُدعى السيدة بيتسي، ولم نكن نمر عليها إلا وترحب بنا، وتعطينا بضعةَ دولارات لنشتريَ بعض الحلوى أو الآيس كريم من متجر الزاوية، وكنا في العادة نتصرفُ بحماقةٍ، لكنا توقفنا عن تلك الحماقات عندما عرفنا السيدة بيتسي، فقد كانت سيدة شديدةَ اللطف، ومر بعضُ الوقت ولم نعُد نراها في الجوار، فسألتُ جدتي عنها؟ فقالت: إنها انتقلَت إلى مكان آخر، وقد بدا أن الكثير من الأشخاص البِيض قد غادروا المكانَ الذي كنا نعيش فيه، ولم تعُد عيني تقعُ إلا على الكثير من السود، ولم نعتدْ في السابق على رؤية الكتابة والرسوم على الجدران، ولكن الآن بدأ الناسُ يرسمون في كل مكان، فتراهم يرسمون، ويكتبون شعارات العصابات، وشتائم عشوائية، وسبابًا للشرطة، وشاعت رؤية المباني المهجورة التي سُمِّرَت مداخلها، وأُغلقت بالألواح الخشبية، وزادت دوريات رجال الشرطة في الحي أكثر من ـ قبلُ، فكان دوي صافرات الإنذار ينطلق كلَّ يوم تقريبًا، وشعرتُ كأن الحي أصبحَ ساحة حرب، ولا يمكنك تخيل كيف ينشأ طفلٌ صغيرٌ في تلك البيئة، فأنَّى اتجهت بناظريك رأيت الأسلحة والمخدرات، وفي تلك المرحلة لم نكن نهتم كثيرًا بالمدرسة، وعندما كنا نعود إلى المنزل من المدرسة، كان لسانُ حالنا: دع الواجب المدرسي الآن، وهلُمَّ إلى الشارع، وكنا نقضي الكثير من الوقت في الخارج، ولم يكن أمامك خيارٌ سوى تعلم سبل البقاء على قيد الحياة في حياة الشارع بأقصى سرعة، وفي الحي، إن لم تكن الطالبَ فستكون المطلوبَ، وفي هذا المعترك لم أكن أنا، ولا إخوتي، ولا أبناء عمي بالأغرار.

وكانت إيرفينغتون تشهد تغيرًا ديموغرافيًّا بطيئًا، وكانت (هجرة بيضاء) كبرى على وشك الحدوث، وبدأ المجتمعُ الذي كان مزدهرًا يتحولُ الآن إلى أحياء فقيرة، ما أثر بدوره في قيمة الممتلكات، وجعلها تنخفضُ، وفي الوقت نفسه كانت ظروف الحياة تتغيرُ، وبدأَت العصاباتُ تتشكَّلُ، وسرعانَ ما بدأ نشاط العصابات المنظمة في الازدياد بوتيرة كبيرة، ومن ثم ارتفع معدل الجريمة، وقد أثار هذا الأمرُ قلقَ كثير من العائلات البيضاء، وبدأَت ترى أن إيرفينغتون لم تعُد مكانًا صالحًا للعيش،

فسابقًا كانت الجدرانُ نظيفةً وخاليةً من الكتابات والرسومات، ولكن الآن أصبحَت تلك الكتابات والرسومات تلطخ حوائط الممتلكات العامة، والمنازلُ العائليةُ التي كانت محاطةً بالأسوار الجميلة، أضحَت مداخلها مغلقةً بالألواح الخشبية، وأصبحَت ممتلكات مهجورة، ويصعب الجزم بأن سالك كان سيظلُّ يعيشُ هناك بمجرد أن بدأَت الأمور تتغير، ولكن يمكن للمرء أن يفترض أنه لو كان على قيد الحياة لجعل مصالحَ عائلته دائمًا نُصْبَ عينيه، وكانت إيرفينغتون تشهدُ انحطاطًا واضحًا، ولم تَعُدْ على حالها الذي كانت عليه منذ بضع سنوات، وإن كان من شيءٍ أغرقَ المدينةَ في أعماق قدرِها، وأسرعَ بزوالها، فهو ظهورُ كوكايين الكراك.

ويمكننا القول: إنه، في تاريخ أمريكا، ليس ثمة مخدرٌ دمَّرَ صحة الناس على نحوٍ أسرعَ، وفكك الأسر بصورة أكبر، وحطم المجتمعات على نطاق أوسع، وأوجد وباءً وطنيًّا أكثرَ تدميرًا من الكراك؛ ذلك المخدر المشتق من الكوكايين، سهل الصنع، وزهيد الثمن، وشديدُ الإدمان، وقد غمر المدنَ الكبرى في جميع أنحاء البلاد في منتصف الثمانينيات، وخلَّفَ وراءَه آثارَ الدمار أينما حلَّ، وقد كان تعاطي الكحول والماريجوانا متفشيًا بالفعل في المجتمعات السوداء، وكان تعاطي الكحول والمخدرات يُمثِّلُ للكثيرين هروبًا مؤقتًا من الواقع الأليم لصراعات الحياة اليومية (كالفقر والبطالة). لكن الكراك إن استخدم مرةً واحدةً قد يخرج من دائرة الهروب المؤقت من تلك الصراعات؛ ليُغيِّرَ تمامًا كيمياءَ الشخص، وقد تترك تجربةُ المرة الواحدة تلك آثارًا تقلِبُ الحياة رأسًا على عقب.

ومع نشأتنا في الحي، بدأنا نتسكع في الشارع، وما زلنا صغارًا، ولم تكن أعيننا تقع إلا على مدمني الكراك، أو تُجَّار المخدرات، وفي هذا الوقت بدأ أخي مؤمن وأبناء عمومتي الأكبر سنًّا يُوزِّعون المخدراتِ، وأما أنا وأخي كامل، فكنا محيطين بهم وهم يؤدون عملَهم، وكان مدمنو الكراك مخيفين؛ فقد كانوا يحكون أجسادهم في الأماكن العامة، ويتفوهون بالبذاءات، وشُعثَ الشعور، ومُكسَّري الأسنان، ومُهلهَلي الملابس، فلقد كانوا مخيفين، لكن كانت تلك النشأة بالنسبة إلي نشأةً طبيعيةً، فهذا هو كل ما تراه، وفي تلك السن المبكرة، بدا الأمرُ كما لو كان هناك جانبان فقط للحياة: إما أن تكون مدمنًا للكراك، أو تاجرًا للمخدرات، ولم أكن أعرف أيَّ جانبٍ آخر.

وهذا المخدر الجديد، الذي كان يُباع عادةً في قواريرَ صغيرة، أعطى مستخدمَه تأثيرًا سريعًا وقويًّا على نحوٍ لا يُصدَّق، ومثَّلَ سعرُه الزهيد الذي لا يتجاوز 5 دولارات للقارورة[6] إغراءً لا يُقاوَمُ لكثير من الأشخاص الذين تعرضوا للتوتر والمعاناة، ولكون الكراك قويَّ التأثير وزهيد الثمن، ارتفع الطلب عليه ارتفاعًا كبيرًا، وقد أتاحَت الأسواقُ الجديدةُ فُرَصًا للعمل، فهُرِعَ الشبابُ السود، الذين يكافحون لإطعام أسرهم، ويسعون لكسب المال السهل، إلى الشوارع للاستفادة من هذا العمل المربح الجديد في إيرفينغتون: بيع الكراك، وكان تدفقُ رأس مال تلك التجارة وسلاسل توريدها، في قبضة العصابات.

وقد عُهِدَ بالتوزيع ومسؤولية التسويق إلى بلطجية الشوارع، فكانت النتيجة ارتفاعًا هائلًا في تجارة مخدر الكراك في جميع أنحاء البلاد، وكانت مدينتنا نيوآرك، ونيوجيرسي[7] من بين المدن الأكثر تضررًا، ولم تعُد شوارع إيرفينغتون تصطبغ بسمات شوارع الضواحي، ولم تعُد تُبشِّرُ بخير؛ بل أصبحَت أرضًا خصبة لتعاطي المخدرات، وتجارتها، وساحةً لعنف العصابات الشَّرِسَة.

وفي هذه المرحلة من حياة مطاع، لم تكن الخطط التعليمية والوظيفية التي كانت ترسمها الجدة ماري له، ولإخوته، وأبناء عمومته، على هواهم على الإطلاق؛ فقد كانوا محاطين بالمخدرات والعنف، وسرعانَ ما أصبحَ شارع تشانسلر أفينيو - منطقةُ التسكُّع المركزية - مرتعًا للأنشطة المتعلقة بالمخدرات، ونتيجةً لذلك، كان ريف من أوائل من وقعوا في براثن لعبة المخدرات؛ فقد أغراه المالُ السهلُ، ونمطُ الحياة المُبهرَج، وسرعانَ ما أصبحَت المدرسةُ في ذيل أولوياته، وقد اقتفى أثرَ خطواته رودي وكامل، ليتعلمَا حيلَ التجارة من كبيرهم، وكان مؤمن -أكثرُهم جميعًا عدوانيةً- وعلى أتم الاستعداد لتنفيذ أي عملية عدائية محلية، ولم يتجاوز سنه العاشرة؛ إذ كان بمقدوره التغلب على رجال العصابات الأكبر سنًّا في الحي، وإظهار ذكاء عجيب في حياة الشارع، ما أكسبه المكانة والاحترام في الشارع في سن مبكرة، ولم يكن أحد يجرؤ على تجاوز مؤمن، ومن يفعل يتعرض للمشكلات الخطيرة، وفي الحي «تقع الطيور على أشكالها» وكان مؤمن نسيجَ وحده، فقد تأمل مؤمن في شأن المدرسة، فعرف أن الجلوس في الفصل طوالَ اليوم، ومعرفة الأشياء التي وقعت منذ مئات السنين، لا يمكن أن يحل محل القوة والثراء المالي الذي كان يستمتع به، وأما مطاع، فلم تكن قدمه قد انزلقت إلى لعبة المخدرات بعدُ، لكنه كان متأهبًا، واستوعب قواعد الشارع، وكان جاهزًا للظهور في المشهد في أي وقت، وكانت المدرسة لا تزال جزءًا من حياته، ولكنها سرعانَ ما فشلت في تحقيق أي هدف مهم.

وفي أثناء وجوده في المدرسة، كان مطاع في كثير من الأحيان مهرجَ الفصل: دائمًا ما يلقي النكات ليثير الضحكات، ولكن كان دائمًا يحترمُ المعلم، وكان الأمرُ كما لو أن الآثار الباقية من براءة طفولته كانت تنعكس في قدرته على أن يكون مهذبًا وقتَما شاءَ، وبدا أن تنشئة جدته له تؤتي ثمارَها: لكن في بعض الأحيان، بطرق غير متوقعة، وفي أوقات غير متوقعة، ولقد تحلى بالأدب، ولم يكن يسيءُ الردَّ على معلميه، ولم يسرق من أحد، ولم يكن يحب المتنمرين.

وربما كان أكثر ما يثيره هو رؤية شخص يحاول ظلمَ شخص آخر، فلم يكن يقبلُ هذا الأمر.

وكان لنا زميل في المدرسة يُدعى مايك الضخم، وربما كان يكبرني بمرحلتين دراسيتين، وكان معظمُ الأطفال الأصغر منه سنًّا يرتعبون منه، ولم يكن بيني وبينه أيُّ شيءٍ؛ لأنه لم يتعرض لي قط، لكنني سمعتُ به، وقد كنتُ طفلًا جامحًا، غاضبًا طوالَ الوقت، ولا أخشى أحدًا، وكنت أسيرُ ذاتَ يوم في ردهة المدرسة، ورأيته ومجموعةً من رفاقه يتعرضون لطفل من صفي، ولم تكن تربطني بذلك الطفل علاقة شخصية، لكنني كنتُ أعرف أنه فتى مسالم، ولا يسبب المشكلات لأي أحد؛ لذلك

قلتُ لنفسي: ما الذي يحمل هذا الفتى على التعرض له؟ وشعرتُ أنهم يتنمرون عليه، وقد كان من شأني دائمًا الوقوف في صف المُستضعَف، ولا يمنعني من ذلك ما إذا كنتُ أقصرَ طولًا أو غير ذلك، بل دائمًا أناصر المظلوم؛ لذلك توجهتُ إلى مايك الضخم أمام الجميع، وقلت له: «ما خطبك؟ لماذا تتعرض له؟ إنه لا يؤذي أحدًا». ولا أتذكر رده عليَّ؛ لأنني لكمتُه على الفور، وطرحته أرضًا! لم يكن يتوقع أن يحدث ذلك، فيما وقف رفاقه مشدوهين، ولم أكن واثقًا من أنني سأتغلبُ عليه، لكنني كنتُ أعرفُ أن ذلك لم يكُن ليحدثَ على مرأى مني؛ لقد غمرني الشعورُ بالمسؤولية، ولم أكن أعرفُ حقًّا، وكان لسان حالهم: كيف سينالُ مطاع الضئيل من مايك الضخم؟! لكن ذلك لم يمنعني، وأعتقدُ أن حارس أمن أتى، وفضَّ الاشتباك، لكن بعد أن نلتُ منه، وبعدَها، عاملني الجميعُ باحترامٍ.

«ليس المهم هو حجم الكلب في قلب القتال، بل حجم القتال في قلب الكلب» وربما كان قلب الطفل مطاع أكبرَ من قلوب بعض الرجال الكبار، وذاع صيتُه، إلى جانب شقيقه مؤمن؛ لأنهما لم يكونا يقبلان الضيمَ من كائنٍ من كان، ولم يكن أمام تجار المخدرات الأكبر سنًّا في الحي سوى الإعجاب بهذين الشابَّيْن المِقدامَيْن؛ لقد كان لديهما الشغف اللازم للنجاة لفترة طويلة في حياة الشوارع.

ومع مرور الأيام، على الرغم من أن مطاعًا صنع لنفسه مكانةً في المدرسة، أصبح أقلَّ انجذابًا لوجوده هناك، وأكثرَ اهتمامًا بحياة الشوارع والاحتيال لكسب المال، ولم يعُد يهتم كثيرًا بأمور المدرسة، بل اختار تدوين ملاحظات أكثرَ تفصيلًا حول لعبة الاحتيال لكسب المال من شقيقه، ومن رودي وريف، وبحلول هذا الوقت، كان مؤمن قد أصبح تاجرَ مخدرات كبيرًا، ورجلَ عصابات حقيقيًّا معروفًا ومحترمًا في الحي، وأما مطاع فكان قد بدأ للتو، ولم يكن منجذبًا لبيع الكراك، لكن لم يكن هناك شيء آخر من حوله يفعله، ولم يكن يمانع في زيادة دخله، وعلاوةً على ذلك، فإن توزيع الكراك سيزيد بالتأكيد من مكانته في الشارع والحي.

وتواصل ذات يوم مع تاجر مخدرات قديم في الحي، وأبدى رغبته في الحصول على بعض (العمل) 20 قارورة من الكراك، ولم يأبه التاجر بأن ذلك الطفل الصغير قد يتعرض للأذى، ومنحه بعض (العمل) وكان الاتفاقُ أن يبيع مطاع القوارير، وأن يحصلَ التاجرُ على نسبة، عمولةً لإتاحة تلك الفرصة له، وكهذا التاجر، كان مؤمن قد اجتاز بالفعل مرحلة العمل لحساب تجار مخدرات آخرين؛ وأصبحَ الآنَ يتيحُ فُرَص العمل لغيره، ولما بلغ التاسعة من عمره، كان مطاع يبيع الكراك في المنطقة مثل كثير من أفراد عائلته ـ باستثناء أنه لم يكن يُحسِن ذلك ـ ولله في ذلك حكمة خفية؛ فلم يكد يتجول في المنطقة بحثًا عن العملاء حتى بدأ اثنان من رجال الشرطة السرية في مطاردته، وكانا قد رصدا الصفقةَ التي حدثت منذ دقائق مع تاجر المخدرات الأكبر سنًّا، فلمحهما مطاعٌ بطرف عينيه، وبدأ يشق طريقه مسرعًا إلى متجر الزاوية المحلي: يا إلهي، أتمنى ألَّا يكون هذان الرجلان يتبعاني، ولما أدرك أن خطواتهما قد بدأت تتسارع أيضًا، بدأ يزيد من سرعة سيره، ويقلب متوترًا في جيوبه؛ بحثًا عن قوارير الكراك، ويفكر أين يمكنه أن يلقيها، ويجبُ عليَّ أن أُضلِّلَ هذَيْن الشرطيَّيْن، فلن أدخلَ السجنَ، وفي أول يومٍ لي! عندما اقترب من متجر الزاوية، بدأ يركض، وبدأ

الشرطيان يركضان خلفه، وصاحا به: «توقف! لا تتحرك!». كان مطاع حينها يجري بأقصى سرعة متجهًا إلى المتجر، قائلًا لنفسه: المُجمِّد الموجود خارج المتجر، هذا هو المكان الذي سألقيها فيه، فحين يصل المرء إلى المتجر عليه أن يستديرَ يمينًا عند الزاوية للوصول إلى الباب الرئيس؛ وعلى يسار الباب كان هناك مُجمِّد تُحفَظُ فيه الأطعمة المجمدة وأكياس الثلج، وتوجه مطاع مباشرةً إلى ذلك المجمد، وفتح بابه، وألقى بقوارير الكراك داخله، ثم انطلق إلى داخل المتجر، وفي تلك اللحظة وصل الشرطيان، ولوحا بشارتَيْهما وهما يصيحان: «الشرطة! توقف! ارفع يديك!». أخذ ضابط الشرطة الأقرب إليه بتلابيبه بقسوةٍ، وأداره، وصفعه، وقال: «اسمع أيها الصبيُّ! أين المخدرات؟». فأجابه مطاع: «لا أعرف أين هي، اذهب وجِدْها». ولم يرُق لهما ذلك الردُّ. «حسنًا، لدينا حقير آخر أسود صغير يعتقد أنه قويٌّ؟ سنحتاج إلى وضعك مع الأولاد الكبار؛ لنرى مدى قوتك الحقيقية!». وجذب الضابط الآخر يدَيْ مطاع بقوة إلى خلف ظهره، وأحكم إغلاق القيد الحديدي البارد على معصمَيِ الطفل البالغ من العمر تسع سنوات، وبدأ الضابط يفتشه بعنف، وقال: «حسنًا، حسنًا، ماذا لدينا هنا؟»، وسحب قارورة كراك من جيب مطاع الخلفي. لقد اعتقدتُ يا صاحِ، أنني نجحْتُ في التخلُّص منها جميعًا: «أنتَ مقبوضٌ عليكَ، تحرَّك معنا!».

تلقَّت الجدة ماري مكالمةً هاتفية من قسم الشرطة تطلب منها التوجه إلى القسم؛ فلقد أُلقِيَ القبض على حفيدها للتو بتهمة الاتجار في المخدرات، ولم يكن هذا هو النبأ الذي كانت الجدة تود سماعه قطُّ، وبعدَ إطلاق سراحه، استُدعِيَ مطاع إلى المحكمة؛ للنظر في قضيته أمام قاضي مقاطعة إيرفينغتون، وكان على جدته أن ترافقه؛ لأنه كان أصغر من أن يُمثِّلَ نفسه، ونظرًا لأن مطاعًا كان عمره تسع سنوات فقط، رفض القاضي القضيةَ بسرعة، بل لم يكن حدثًا؛ فقد كان صغيرًا جدًّا على نحوٍ لا يمكن معه محاكمته لبيعه مثل هذه الكمية الصغيرة من الكراك، وقد تلقى لاحقًا محاضرة حولَ أخطار بيع المخدرات، وأُمِرَ بالابتعاد عن حياة الشوارع.

بدأ فصلٌ مخيفٌ يتشكل في حياة مطاع الهشة، وبطبيعة الحال أصبحت جدته شديدة القلق بشأن سلامته ومستقبله، وكان هذا حال مطاع ذي تسع السنوات، بلا أبٍ، غاضبًا طوالَ الوقت، لا يُولي كبيرَ اهتمام للمدرسة، وعلى هذا النحو في المجتمعات السوداء، تُشير هذه العوامل إلى أنه سيلقى حتفَه يومًا ما، وهو أخشى ما كانت تخشاه جدته، واستمر مطاع في بيع المخدرات مدة قصيرة حتى بعد أن أُلقِيَ القبض عليه، لكن بعد مواجهات عدة مع الشرطة، قلَّ اهتمامُه بحياة الاتجار في المخدرات؛ فقد كان الأمر محفوفًا بالأخطار، وكان حاله يحطمُ جدَّته، وكان عليه أن يجد بديلًا أفضلَ لتحقيق الثراء، والحفاظ على المكانة في الحي، وكان يحتاجُ أيضًا إلى إيجاد مُتنفَّسٍ للغضب الذي يغمره كلَّ يومٍ، وعندما يشعر الناس بأنهم محاصرون ومضغوطون، وليس لديهم أي متنفس، حينها ينفجرون، وقد كان على وشك الانفجار، والشيء الذي لم يكن يعلمه مطاع - على الرغم من ذلك - أنه في الوقت نفسه الذي كان فيه الكراك يدمر البلاد، كان هناك أيضًا شيء آخر ظهر، وبدأ ينتشر كالنار في الهشيم في المجتمع الأسود؛ ومع ذلك كان له أثرٌ إيجابيٌّ، وليس تدميريًّا، ألَا وهو ظهور موسيقا الراب، الذي سيغير حياة مطاع إلى الأبد.

الفصل الرابع
الأبياتُ الأولى

«جعلني المال أشعر كالنجم

لقد أصبحتُ نجمًا في الحي»

مطاع بيل

يومًا بعد يوم، تزايد خطر الحياة في إيرفينغتون، وأصبحت غالبية سكان المدينة الآن من السود[8]، وكانت السيارت تُختطَف في وضح النهار، ومع تصاعد تجارة المخدرات، بدأ عنف العصابات يخرج عن السيطرة، وقد أدت عمليات الانتقام، واغتيال المنافسين، وصفقات المخدرات المُحبَطة، والاستيلاء على الأراضي، إلى ارتفاع كبير في معدل جرائم القتل في نيوجيرسي، فمنذ عام 1987م حتى عام 1990م، زاد المعدل بنسبة 28٪، وكان عدد جرائم القتل في نيوجيرسي أعلى بكثير من المعدل الوطني[9]، وكان ذلك كافيًا حتى يتملك أهلَ الحي الشعورُ بالخوف، ولكن كان ثمة مدعاة أخرى لمزيدٍ من الخوف؛ إذ لم يكن سكان إيرفينغتون عرضةً لأعمال عنف عشوائية في الشوارع فحسب، بل كانوا أيضًا عرضةً لإطلاق النار عليهم وقتلهم من قِبل الأشخاص أنفسِهم الذين أقسموا على حمايتهم: شرطة إيرفينغتون، وقد عززت زيادةُ الجرائم العنيفة وجودَ الشرطة في المجتمع، لكن يبدو أن الشرطةَ لم تكن تميز بين المجرم والضحية، وكانت قوة الشرطة من البيض حصريًّا، وعلى الرغم من أعمال الشغب العرقية التي اندلعَت عامَ 1967م احتجاجًا على وحشية الشرطة، يبدو أن رجالَ الشرطة كانوا لا يزالون يطلقون النار على السود غير مكترثين، وفي عام 1986م على وجه الخصوص، أبلغت صحيفة (شيكاغو تريبونر) عن إطلاق النار على مراهق أسود أعزل؛ ما دفع القسَّ وليام رذرفورد، رئيس الجمعية الوطنية للنهوض بالملونين (NAACP) بإيرفينغتون، لاتهام (قسم شرطة إيرفينغتون)... (بأنه) شديدُ العدوانية... وشديدُ التوتر، ويُبالِغُ في رد الفعل»[10].

ولم تكن إيرفينغتون بيئةً ملائمةً لتنشئة طفلٍ؛ فقد كانت الشوارع مليئةً بقوارير الكراك وأغلفة قذائف الرصاص، وكان ضُبّاط الشرطة غيرَ مكترثين، وأيديهم على أسلحتهم المُعبَّأة بالذخيرة المجهزة للإطلاق، ورائحةُ الموت تفوحُ في كل مكانٍ، وكان الحي يعج بتجار المخدرات ومدمني الكراك، وكان القتلُ قاب قوسين أو أدنى من مطاع، وإخوته، وأبناء عمومته، ومع الأسف، مات الكثيرُ من أصدقائهم في هذه الأوقات المضطربة والخطيرة، ويتذكَّرُ مطاعٌ كثيرًا من أصدقاء الطفولة الذين

ماتوا صغارًا؛ كصديقه شهيد على الجانب المقابل من الشارع، الذي قُتل بالرصاص أمامَ منزله مباشرةً بسبب شجار، وقتل مايك، من أسفل التل، في شجار بسبب المخدرات، وحاول راني أن يغُشَّ في أثناء عقد صفقة مخدرات، فأطلق عليه جميعُ الحاضرين الرصاصَ، وكذلك كان الموت محدقًا بمطاعٍ، بل إن مطاعًا نفسَه سيدخلُ في مواجهاته الخاصة.

لقد خضنا معارك جنونية في الحي؛ وكما قلتُ: كنا جامحين، ولم يكن الأمر يتطلبُ أكثرَ من 30 أو 40 شخصًا فقط لإرهاب الحي، ولا سيما ما حدث مرتين على وجه الخصوص؛ فذات مرة كان هناك مجموعة من الأشخاص، ربما ثلاثة أو أربعة، كانوا قد اعتادوا القدوم من نيوآرك إلى حيِّنا، وكانوا يشغلون موسيقا سياراتهم في مكبرات الصوت العالية، وفي ذلك التوقيت، كان تشغيل مكبرات الصوت العالية أهم شيء، وبعد أن توجهوا للقاء من أتوا للقائه، قرر صديقي مونت، لسبب ما، سرقة نظام الراديو بالكامل، ومكبرات الصوت، وكل شيء، ولم يكن لي أي علاقة بما حدث، ولكن في عرف الحي كما تعلم كنت أُعدُّ «مذنبًا بالارتباط»؛ لذلك كنتُ أعرف أنهم بالفعل سيعودون للانتقام، وفي الوقت الذي عاد فيه هؤلاء الأشخاصُ كنّا قد غادرنا، ورأَوْا سياراتهم قد اقتُحِمَت، وأنهم تعرَّضُوا للسرقة، وكانوا على يقين أن الفاعل يجب أن يكون شخصًا ما من شارع تشانسلر إيف، وفي وقت لاحق من تلك الليلة، كنا جميعًا نتسكع كالعادة؛ كان ريف معنا، وكنتُ جالسًا على قمة أحد أكشاك الهواتف، ودون سابق إنذار رأينا سيارتين ظهرتا فجأة من حيث لا ندري، ودون مبالغة خرج منهما ما لا يقل عن 20 إلى 30 رجلًا، وراحوا يبحثون عن مونت، الذي لاذ بالفرار عندما رآهم، وبطريقة ما أمسكوا بابن عمي ريف، وضربوه على رأسه بمقابض مسدساتهم، وأسقطوه أرضًا، وحدث كل هذا أمامي، وحاولْتُ الهرب، لكنهم أمسكوا بي بسهولة، وضربوني على رأسي بمقابض مسدساتهم، وانهال عليَّ بالضرب من 20 إلى 30 شخصًا، ففقدتُ الوعي؛ لذلك لا أستطيع تذكر كل ما حدث، وكل ما أتذكره هو أني كنتُ على وشك الموت، لولا أن حمتني منهم بجسدها تلك الفتاةُ التي تُدعى نِيسي، وما إن تدخلت نيسي حتى توقفوا، ولن أنسى ذلك أبدًا، وقد تُوفِّيَت منذُ زمن قريبٍ، فما أقصرَ الحياة يا صاحِ!

ومرةً أخرى كنتُ أتسكعُ في وسط مدينة نيوآرك مع ابنَيْ عمي التوءم حق وعليم، اللذين كانا يعيشان في مكان شديد السوء، وكنا جالسين في مجموعةٍ مع بعض الأصدقاء الآخرين، وأتانا رجلٌ، وبدأ يتشاجرُ مع أحد رفاق ابن عمي، ولا أتذكرُ سببَ الشجار، ففجأةً سحبَ مسدسًا، ربما كان من طراز 357، وعندما رأينا المسدس، ركضنا جميعًا؛ لأننا علمنا أن الأمر يوشك أن يزداد سوءًا، فأخذت أركض، وأركض، وأركض، لكنني لم أدرك أنني أركض في الاتجاه نفسه الذي يطلق فيه ذلك الرجل الرصاص، وأقسم يا صاحِ، إني كنت أستطيع أن أشعر وأسمع أزيز الرصاص يدوي جوارَ أذني وأنا أركض، فالله وحده هو الذي نجاني في ذلك اليوم! كان الموتُ قاب قوسين أو أدنى، وفي النهاية توقف الرجل عن إطلاق النار ومضى؛ لذا عدنا لنرى ما حدث، لنجدَ صديقًا كان جالسًا معنا

في البداية، ولم يكن له أي علاقة بأي شيء، مُمدَّدًا في بركة من الدماء، بعد أن أُطلق عليه الرصاص ثلاثَ مرات أو أربعًا على الأقل، فأحيانًا تكون في المكان الخطأ، وفي الوقت الخطأ.

وقد تحولَت إيرفينغتون إلى ساحة حرب، ومن الناحية العقلية، كان العقل العسكري ضروريًّا؛ ومن الناحية الجسدية، لم يكن الجندي مستعدًّا للمعركة دون سلاحه، وكان مؤمن ورودي وريف قد استثمروا بالفعل في توفير الحماية لأنفسهم؛ فقد كانوا متورطين بدرجة كبيرة في تجارة المخدرات، وقد تأخذُ الأمورُ اتجاهًا عنيفًا في غمضة عين.

وذات يوم، كان ريف في غرفته، ودخل عليه مطاع، وكان ريف يستعد للخروج للقاء بعض الأصدقاء، وكان ريف في خزانة ملابسه؛ ليغير القميص الذي كان يرتديه، فسحب قميصًا كان يتدلى من الرف، وخلع القميص الذي كان عليه، ولما خرج على مطاع بقميصه الداخلي الأبيض وبنطاله الرياضي، رأى مطاع قطعة فضية لامعة بوضوح، موضوعةً على خصر ريف، وسأله مطاع عن هذا الشيء؟ فسحبه ريف، وأراه له، وقال مبتسمًا: «هذا مسدس من طراز 357 سميث آند ويسون، وقد سميته رينيه». فضحكا على الاسم، ولم يكن مطاع قد رأى مسدسًا بهذا القرب من قبلُ، فانبهر مطاع بمدى نظافته ولمعانه، وسأل ريف إذا كان يمكنه حمله؟ فأومأ ريف برأسه بالقبول، وبدأ يفرغ الرصاص من المسدس رصاصةً تلو الأخرى، ملقيًا بها على الطاولة الزجاجية، وكلما ارتطمَت رصاصةٌ بالطاولة أصدرت رنينًا معدنيًّا، حتى أفرغَ منه ستَّ رصاصات، ثم ناوله لمطاع، الذي أمسك في يديه مسدسًا لأول مرة، وقد كان ضخمًا وثقيلًا على يدَي طفلٍ يبلغُ من العمر 11 عامًا: «أنا أتولى حمايتك الآن، لكنك ستحتاج في النهاية إلى واحد كهذا لحماية نفسك، فهناك الكثير من الأشخاص هنا سيحاولون النيلَ منك». فهم مطاعٌ الرسالة والدعوة إلى التأهب للعمل، ولم يكن يعرف بالضبط متى ستأتي اللحظة، لكنه كان على أتم الاستعداد، وكان الأمر مجرد مسألة وقت.

وكان تحوُّل إيرفينغتون إلى ساحة حرب يعني أن الشعار الوحيد الحاكم هو (البقاء للأصلح) ومع استمرار تصاعد جرائم العنف أصبحَت المدينة أقلَّ أمانًا، ومن المدهش، أنه على الرغم من أن الحياة في إيرفينغتون لم تكن بالمواتية لأي أحدٍ، أن الناس كانوا يستطيعون إيجاد الوقت لإمتاع أنفسهم؛ فكانوا لا يزالون يتسامرون، ويشاهدون الأفلام، ويقيمون حفلات منزلية، وما أعجبَ قدرة القلب على إزاحة الألم والبؤس لإيجاد فضاءٍ للحظات السعادة عند الضرورة! وعلى الرغم مما كان يحدث في إيرفينغتون، استطاع مطاع وعائلته أن يتشاركوا لحظات سعيدة، ويستمتعوا بأجواء المحبة التي كانت جدته تزرعها في المنزل، وغالبًا ما كان يزورهم أصدقاء العائلة والجيران ليتبادلوا أخبارَهم، ويحتفلوا بأعياد الميلاد، ويقيموا الحفلات، وبالمثل، كلما سنحت الفرصة، كان مطاع وعائلته يزورون الآخرين في الحي وفي المدن المجاورة، وفي هذا الوقت، توطدَت واحدة من أهم صداقات الأسرة بين طالبة؛ ابنة عمته، وياسمين فولا، ودانا أوينز.

وغالبًا ما كانت ياسمين، ودانا، وطالبة يتبادلن الزيارات المنزلية، ويتجولْنَ معًا في المنطقة، ويخرجن إلى المطاعم، ويلعبن معًا كرة السلة في المدرسة، وعلى مر السنين، أصبحت كلٌّ منهن جزءًا من حياة الأخرى، في أكناف حياة أخوية حقيقية، ومع ذلك، سرعان ما انشغلت دانا أوينز عن التجول معهن كالعادة؛ بسبب انشغالها بإدارة متطلبات المهنة الجديدة التي كانت تسعى إليها: غناء الراب، والتمثيل باسم الملكة لطيفة، وكانت العمة بيتي والدة طالبة أختًا مقربةً من والد مطاع، وكانت شديدة الوفاء له بعد وفاته؛ فحرصت على التأكد من أن أبناء أخيها بخير؛ لذلك كانت تستقبل مطاعًا وأخوَيْه في بيتها مرارًا وتكرارًا، وكثيرًا ما كانت العمة بيتي تستضيفُ أصدقاء طالبة، ونظرًا لأن مطاعًا كان دائمًا حولهن، فقد تعرَّف إليهنَّ عن قُرب، وقد شعر بالدفء تجاه ياسمين على وجه الخصوص؛ لأنها كانت لطيفةً معه، وكان كذلك مقربًا إليها، وفي أحد الأيام دعته إلى منزلها في مونتكلير للقاء ابنها الوحيد، ولقد كان الفارقُ بين ولادتهما يومين فقط، وكان لدى ياسمين شعور بأنهما سيصبحان صديقَيْن حميمَيْن، وكانت مونتكلير ضاحيةً راقية في نيوجيرسي، وكانت أكثرَ جمالًا وأشد اختلافًا عن إيرفينغتون، وقد تركَت تلك الزيارة الأولى انطباعًا دائمًا لدى مطاع، فقد كان العشب أكثرَ خضرةً، والمكان أكثر هدوءًا، وكان منزل ياسمين به طيور، وكانت رائحة الهواء أعذب، ولم تقع عينه على الكثير من رجال الشرطة، وقد عدَّ مطاعٌ تلك الزيارات الأولى من أفضل لحظات حياته؛ لأن عينيه قد انفتحتا على حياة خارجَ إيرفينغتون، وفي النهاية، التقى مطاع بنجل ياسمين؛ يافيو، ذلك الفتى القصير، الفاتح البشرة، الممتلئ قليلًا، وما إن التقيا حتى أصبحا مرتبطين، وسوف يخرجان للتسكع مرات عدة بعد ذلك، ما سيوطد صداقتهما، ويجعلهما أخوَيْن مدى الحياة، وكان مطاع قد أقام بعضَ الصداقات المهمة في مرحلة الطفولة، ولكن لم يكن أيٌّ منها أكثرَ أهميةً من صداقته بيافيو، وقد انقطع التواصلُ بينهما بضع سنوات، لكن اجتماع الشمل بعدَ سنواتٍ سيكونُ من شأنه أن يُغيّرَ مسار حياتَيْهما إلى الأبد.

وعلى الرغم من أن مطاعًا كان ينعم بوجود الأصدقاء والعائلة، كان لا يزال هناك شيءٌ ناقصٌ في حياته، ولم يكن يعرف ما هذا الشيء، ولكن وجود هذا النقص جعله في حالة دائمة من الغضب غير المبرر، فربما كان الشيء الذي ينقصه هو والده ووالدته؛ وربما كان تحقيق مكانة أكبر في الحي؛ وربما كانت الحياة في مونتكلير.

وأيًّا كان ما شعرَ بفقده، فقد جعله عرضةً للانفجارات العنيفة عندما كان طفلًا؛ فكان كثيرًا ما يتشاجرُ في المدرسة؛ حتى إنه بحلول هذا الوقت من حياته، وُضعَ تحتَ المراقبة، وكان مهددًا بالطرد من المدرسة، وكانت الجدةُ ماري وريف هما الوحيدين اللذين يمكنهما تهدئته بسهولة؛ لأن الجدة كانت تعرف دائمًا ما ستقولُه له، ولأن ريف كان المَثَل الذي يتطلع إليه مطاع، ومن بين جميع أفراد الأسرة، كان ريف أفضل من يعرف سبل الترويح عن النفس؛ فكان يخرج في النهار إلى الشوارع لكسب المال، ببيع المخدرات في شارع تشانسلر أفينيو، ولكن في الليل عندما يعود إلى المنزل، كان يُظهر في كثيرٍ من الأحيان جانبًا أفضلَ، فكان يضاحك الآخرين، ويمازحهم، ويسخرُ من مطاع، ورودي، ومؤمن، وكامل، وسيكي، وشارود، وأي ضحية أخرى، وكان الجميع عرضة

لنكاته، وأحيانًا كان التمرين يهدئه إذا كان غاضبًا، وأحيانًا أخرى كان يقرأ صحيفة أو يشاهد التلفاز؛ ليتابع الأحداثَ الجارية. ومع ذلك، لم يكن شيء يريحه أكثرَ من الاستماع إلى الموسيقا التي كان يشغلها أينما كان، ولقد أحب الموسيقا كثيرًا حتى إنه جعل من طقوسه تشغيل بعض الموسيقا على مشغل الموسيقا الخاص به كل ليلة قبل أن يخلد إلى النوم، ولكنه لم يكن يشغل أي موسيقا، فلم تكن موسيقا (جوني كولتران)، ولا (ذا تمبتيشنز)، ولا (بي. بي. كينغ)، ولا (مارفين غاي)، ولا (ذا جاكسونز)، ولا (ستيف وندر) بل كانت موسيقا (سليك ريك)، و(رَن دي إم سي)، و(أ ترايب كولد كويست) وكانت ثمانينيات القرن الماضي إيذانًا بنوعٍ جديد من الموسيقا لم يُسمَع به من قبلُ، وكما عرّف ريف مطاعًا بمسدس 357 لأول مرة، عرّفه كذلك بشيء أصبح تهديدًا وسلاحًا خطيرًا على المجتمع الأمريكي، وهو موسيقا الراب.

أتذكر عندما كنتُ طفلًا، فقد كنتُ دائمَ الغضب، ولا أعرفُ لغضبي سببًا، ودائمًا ما كنتُ أرغب في الشجار مع أحدهم، وكنت في حاجة إلى ما يشبه المتنفس يا صاحِ، وإلَّا فربما انتهى بي الأمر إلى ارتكاب شيءٍ فظيع، ولم أكن أشارك في الرياضة أو أي شيء من هذا القبيل، ولكني وجدت ضالتي في النهاية مع ابن عمي ريف، حين قدم لي موسيقا الراب، وكان ريف كل ليلة يشغل أغاني سليك ريك، ورَن دي إم سي، وهو ما صرف ذهني عن كل شيء آخر عداه، ولقد أسرني الإيقاع، وأدهشتني الطريقة التي تُنظَم بها الكلمات معًا. «فِي زَمَانٍ مُنْذُ وَقْتٍ لَيْسَ مِنَّا بِبَعِيدْ/ حِينَ كَانَ النَّاسُ يُكْسَوْنَ مِنَ الثَّوْبِ الزَّهِيدْ/ وَبِهِمْ تَمْضِي حَيَاةٌ سَيْرُهَا الخَطْوُ الْوَئِيد/ كَانَ لِلْقَانُونِ سَيْفٌ، وَتَرَى الْعَدْلَ الْمُبِين/ وَخَطَا النَّاسُ جَمِيعًا فِي دُرُوبِ الصَّالِحِين»[11]، وكان وقع ذلك عليَّ كأثر المخدر! فلم أسمعْ شيئًا كهذا من قبلُ! لقد كان أسلوبًا مختلفًا في تأليف الأغنية، وقد أخذ مني الإيقاعُ والتفعيلاتُ كلَّ مأخذٍ، وأحببت الطريقة التي ينسابُ بها إيقاع الكلمات؛ لذا بدأتُ أهتم بكتابة أغاني الراب القصيرة الخاصة بي، ولا يمكنك تخيل الشعور، يا أخي! فلأول مرة في حياتي، شعرت كأن حملًا ثقيلًا انزاح عن صدري، وتمكنتُ من التعبير عن نفسي، وعن أفكاري، ووجدتُ ضالتي أخيرًا، وكلما كتبتُ شعرتُ بالارتياح، وأصبحَت كتابةُ موسيقا الراب متنفسًا مهمًّا لي، فلقد شاهدتُ أيضًا صديقة الأسرة الملكة لطيفة الآن على شاشة التلفاز، وكنتُ أستمعُ إليها في المذياع، وكنتُ في حالة من الدهشة! فقد كان هذا جنونيًّا بالنسبة إلي؛ فقد اعتادَت على التجوُّل معنا في الحي، وكانت صديقةً حميمةً للأسرة، وبالنسبة إلي، كان ذلك بمنزلة تذكرة خروجي من الحي، وقلتُ لنفسي: إني سأنسج بكلماتي طريق الخروج منه.

ولم يستطع مطاع إيجاد متنفساتٍ كثيرة لغضبه، ولكن الراب أتاح له طريقة جديدة لتهدئة سَورة غضبه من خلال الطاقة الإبداعية، ومع اهتمام مطاع بالراب، لَحِقَ بالركب الذي غيّر مشهد الموسيقا إلى الأبد في أمريكا، وانتشرت موسيقا الراب في المجتمع الأسود، وكان الارتفاعُ السريع في شعبيتها نابعًا من أنها أصبحَت لسانَ حال السود.

ولم يكن لدى السود محطاتٌ إذاعيةٌ ولا صُحُفٌ، ولم يكن لهم أي سيطرة على الصورة التي تُقَدَّمُ لهم في وسائل الإعلام؛ فأصبح الراب صحافة أمريكا السوداء، وصار مغنُّو الراب هم الصحفيين، يُؤرخون الأشياءَ التي مُنِيَت بها مجتمعاتُهم، ويمتلكون منصة يعرضون من خلالها محنتهم على العالَم: الفقر، والعنصرية، والوحشية، والظلم، والعنف، والمخدرات، وقد ساعدت موسيقا الراب كذلك على رفع معنوياتهم؛ فالاستماع إلى إيقاع متفائل جعل الناس يشعرون بالرضا، وحملَت لهم الكلماتُ المفعمةُ بالإيجابية وعودًا بالأمل، ومع مرور الوقت، سيحظى الراب بقبول أوسع من أمريكا البيضاء، لينسكب في النهاية في التيار السائد، وليُعَدَّ أخيرًا شكلًا فنيًّا شرعيًّا قادرًا على الفوز في عروض جوائز إم تي في، وعلى الفور أصبح مطاعٌ كالتلميذ أمامَ الإذاعة، يستمع إلى سليك ريك، ورن دي إم سي، وأ ترايب كولد كويست، وبدأ يستمع لاحقًا لـ إل إل كول جيه، ونوتي باي نيتشر، وإم سي هامر، وكيه آر إس وَن، وكان يتعلم منهم، ويحاول تقليدهم في البداية؛ لأن أساليبهم الفنية كانت آسرةً؛ فقد كانوا يعرفون كيف يصوغون كلماتٍ شديدة الجاذبية، ومع ذلك، لم تتردد أصداء رسائلهم في مسامعه؛ إذ لم يكن يعيش حياة الحفلات والاستمتاع فحسب، وكان صغيرًا جدًّا على المشاركة أو الاهتمام بالنشاط السياسي، ولقد كان الموت محدقًا به من كل مكان، وكانت الحياة شديدة وقاسية، ولكن هذا الأمر تغير ما إن سمع إن. دبليو. إيه[12]، فبدأ يتعرف إلى ذلك النوع الخاص من الراب؛ لأن كلماتهم كانت تعكس تجاربَهُ الحية، وانطلاقًا من أغانيهم وجد صوته الحقيقي، وبدأ في تشكيل هويته الغنائية الفريدة:

«*وعندما كنتُ صغيرًا، أردت أن أكون جون غوتي...*

لكن تبًّا لجون غوتي، وتبًّا لآل كابوني...

عبأتُ مسدسي؛ *لأني أقف وحدي...*

جعلني *المال أشعر كالنجم...*

لكن القتل جعلني *أشعر بأن موتي قريب*».

فقد كانت هذه هي أنماط الكلمات الجريئة التي استلهم مطاعٌ كتابتَها: طفلٌ في عامه الرابع عشر، يتحدى اثنَيْن من أكثر رجال العصابات شهرةً في أمريكا، مسلحًا بمسدس 357 معبأ وجاهزًا للإطلاق، ويخشى موتَه، وكان عنوان الأغنية (المال أم القتل؟) وقد دفعَته واقعية الكلمات وقسوتها إلى الشهرة في حيه بسرعة صاروخية، ولم يصدق رجال العصابات الذين جلسوا، واستمعوا إليه ما كان يقوله هذا الفتى الصغير، فالآن، بدأ يكثف الكتابة، ويولي المدرسة وواجباتها اهتمامًا أقل؛ وأصبحَت سبورة تعليمه هي نوتة كتابته... وأصبح درس اليوم هو كل ما حدث في الشارع، فوقع تجار المخدرات في الحي ورجال العصابات أُسارى لإبداعه، وكانوا دائمًا في تلهُّف إلى سماع المزيد.

وفي أحد الأيام قال له صديق الحي كوري: «كيف الحال يا صديقي مطاع الصغير؟».

- «لا أفعل شيئًا سوى التسكع في الشوارع حتى أنالَ مآربي».

- «لقد سمعت أنك كتبت شيئًا، لِمَ لا تسمعنا؟». بحلول هذا الوقت، كان كوري قد اتصل بجميع الأصدقاء ليأتوا ويستمعوا إلى ما كان مطاع على وشك أن يُلقِيَهُ.

- «كلا، فعليكم أن تدفعوا 50 سنتًا أولًا؛ هذا عمل، وأريد أن أوفرَ ما آكلُ به».

- «لا بأس، الأمر يسيرٌ يا صديقي الصغير، أعطِه دولارًا يا وايت مايك!».

وضع وايت مايك -صديقٌ آخر من أصدقاء الحي- الدولارَ على طاولة قريبة.

تنحنح الفتى البالغ من العمر 14 عامًا، وقال:

«في المنطقة، لا أخشى الموت...

أبحث عن المدمنين، وأستبدل بالمخدرات الفينسيكليدين...

لم يكن القتل صديقًا قطُّ، بل مجرد أحد المعارف...

ومثل جميع أصدقائي الذين تجاوزوني، دفنته في شارع نادين».

وما إن أنهى كلماته تلك، حتى صاح تجار المخدرات، يمسكون رؤوسهم على نحو هستيري، وينظر بعضهم إلى بعض غير مصدقين، فقال أحد رفاق كوري: «كيف استطعتَ أن تنظم تلك الكلمات يا مطاع؟، أنت لم تتجاوز عامَك الرابع عشر بعدُ!». وقال آخر: «آه يا أيها الجندي الصغير! كلماتك شديدة كالمسامير!».

قال كوري: «ألم أقل لكم جميعًا: إن هذا الفتى موهوب! إن هذا الفتى لموهوب». قال ذلك في الوقت الذي راح تجار المخدرات يتناوبون فيه على مصافحة مطاع بقوة والشد على يديه، وأخذ مطاع دولاره، وانطلق، وكانت هذه هي طريقته الجديدة لكسب المال؛ بدلًا من التعامل مع قوارير الكراك والمدمنين، وبدأ يتعامل مع أبيات الراب وأقفال مقطوعاتها؛ أحدث شكل من أشكال الترفيه في المنطقة، وكلما احتاج تجار المخدرات إلى استراحة من الجريمة العنيفة، أو مراوغةِ الشرطة، أو الذهابِ إلى جنازات أصدقائهم الذين قُتلوا، لجؤوا إلى مطاع ليجدوا في كلماته الغنائية علاجًا هم في أشد الحاجة إليه.

ويرجع الفضل في بزوغ نجم مطاع في موسيقا الراب إلى هؤلاء الرجال الأربعة: كوري (سي)، وشلبي، وراب، ومايك الملقب بـ إل نينو، وقد كان (سي) وشلبي من كبار المحتالين في الحي، ما أكسبهما ثقلًا ماليًّا لدعم احتياجات مطاع المادية، ولم يتأثرا بمهارات مطاع في صياغة الكلمات

الغنائية فحسب، بل أيضًا بطموحه وتصميمه على النجاح، ولا عجب أن يتصف بسمات ريادة الأعمال هذه؛ فقد كانت تلك هي صفات أبيه التي تجري في دمائه، وورثها عنه، ولقد أخذ حرفته على محمل الجد، مع كونه ما زال صغيرًا، وهو ما أثر فيهما حقًّا، ولتحقيق مصالحهما الشخصية، كان هذا أيضًا استثمارًا يُمكنُ أن ينتشلهما من ذلك الحي، فقد رأى الجميعُ الظلامَ الدامسَ الذي كان يخيم على إيرفينغتون، وستزدادُ الأمورُ سوءًا قبلَ أن يشعرا بأي تحسُّن، ولم يكن ثمة أيُّ شيءٍ يبقيهما هناك، وكان راب، الشقيق الأصغر لكوري، موهوبًا أيضًا، وساعد مطاعًا على كتابته الإبداعية ونظمه الغنائي، ولقد كان العقل المفكر وراء هذا القُفل: «جعلني المال أشعر كالنجم / لكن القتلَ جعلني أشعرُ بأن موتي قريب»، وكان مايك صديقًا حميمًا لراب، وقدَّم دعمًا معنويًّا حاسمًا للمشروع بأكمله؛ ولقد كان شريكًا مخلصًا بما تحمله الكلمةُ من معنى، وكان صادقًا، ومؤمنًا بمطاع، وقد كان لهؤلاء الأربعة أعظم الأثر في مسيرة مطاع الناشئة.

وفي أحد الأيام وجد (سي) وشلبي مطاعًا في الشارع يسعى لكسب المال في الصباح، فسألاه عما كان يفعله في ذلك الوقت المبكر؟ وقد أصبح لديه ما يجب أن يُوليَه اهتمامه، من مهنة غناء الراب والمدرسة، فقال لهما مطاعٌ: إنه في حاجة إلى المال؛ ليستطيع الدخول إلى أستوديو التسجيل؛ حتى يتمكن من إنتاج أول تسجيل له، إضافة إلى أنه أراد شراء بعض الأحذية الرياضية الجديدة، ولقد بذلت جدة مطاع كل ما في وسعها لتوفر له ما يحتاج إليه، ولكن مع تقدم سنه، أصبح مهتمًّا بالموضة والأناقة؛ ولا تستطيع ميزانيتها البسيطة مواكبة وتيرة تلك الاتجاهات المتغيرة، وسعيًا وراء جني بعض المال السهل والسريع، احتاجَ مطاع إلى بيع الكراك لبعض الوقت، ولكن (سي) وشلبي شعرا أن هذه مخاطرة غير مأمونة العواقب، فأخبراه بأنهما يعلقان عليه آمالًا كبيرة، تجعلهما يدفعان المال مقابلَ كل ما يحتاجُ إليه، ويمكن القولُ: إنهما أصبحا بمنزلة مديرَيْ أعماله، فكانا يذهبان معه للتسوق لشراء الملابس والأحذية الرياضية، ويصطحبانه إلى أستوديو التسجيل، وفي هذه المرحلة كان جميل، المنتج الموسيقي وصديق الطفولة، مفيدًا جدًّا في تعليم مطاع التفاصيل المهمة للعبة الراب، وإرشاده لطريقة تنقيح النمط الإيقاعي لكلماته، بحيث تتوافق بدقة مع البيت، فالبيت في الراب هو ما يُعادِلُ السوناتة عند شكسبير من حيث الإيقاع وعدد التفعيلات، وكذلك كان بري وهاك إيه جي من أصدقاء الحي الأكبر سنًّا، وقد رأيا الأمل في مطاع، وساعداه فيما يتعلق بالإلقاء والإيقاع، وكان مطاع يعلم تمام العلم أن (سي)، وشلبي، وراب، ومايك، وجميل، وبري، وهاك إيه جي، قد بذلوا كلَّ ما في وسعهم ليضعوه هو على طريقه في تلك السن المبكرة، ولن ينسى أبدًا الحب والدعم الذي أظهروه له، وحتى يومنا هذا يعترف بإسهاماتهم في نجاحه في ذلك الفن، ويُقَدِّرُ دورهم في حياته، وبمرور الوقت، عمل مطاع على تحسين مهاراته في موسيقا الراب على نحو ملحوظ، وبدأ يشعر كأنه من مشاهير الحي؛ إذ أصبح لديه الآن حاشية، وكان يتجمَّعُ حولَه تُجّار المخدرات والقَتَلة؛ لسماع أحدث كلماته، وسُرعانَ ما بدأ الناسُ في الحي ينتبهونَ إليه، لكنهم لم يكونوا الوحيدين.

وقد تساءلت الجدة ماري عما كان يجري؟ فقد بدأ مطاعٌ يُكثِرُ من التسكُّع مع (سي) وشلبي، وكان يُكثِرُ الدخولَ والخروج من المنزل، وكان ذلك أحيانًا في وقتٍ متأخر من الليل.

- «ما الذي يجري، يا سُكَّر؟».

أجاب مطاعٌ: «أصبحتُ الآن مغني راب يا جدتي».

- «ماذا أصبحتَ يا صغيري؟!».

- «مغني راب، شيء أشبه بمزج الشعر مع الموسيقا، مثل ما يشغله ريف ليلًا؛ كأغاني سليك ريك، ورَن دي إم سي، فسأصبح مثلهم، وسيساعدني (سي) وشلبي على احتراف غناء الراب».

- «حبيبي، تحتاجُ إلى التركيز على مدرستك، فلا أعرف شيئًا حول راب ريك أو دي إم في، ولكني أعرف أن تعليمك أكثرُ أهميةً، فلا تهمل فيه».

فقال مبتسمًا: «يا جدتي، انطقي الأسماءَ بالصورة الصحيحة: رَن دي إم سي، وسليك ريك، ولن أُهملَ في أي شيء جدتي، لكن انظري إلى دانا الآن، لقد أصبحَت في كل مكان: على التلفاز، وفي المذياع، باسم (الملكة لطيفة)، فلقد نجحَت في الخروج من الحي، وأريدُ أن أفعلَ الشيءَ نفسَه».

- «التعليمُ يا صغيري، التعليم هو سبيلُك الوحيد، فأنت ذكي، وعليك أن تستخدمَ عقلَك الذي وهبه اللهُ لك».

وعلى الرغم من أن مطاعًا وجد صعوبةً في إقناع الجدة بطموحه في مسيرته المهنية الجديدة، لم تعارضْه، فما دام ما سيفعله لن يكون مدمرًا ولا خطيرًا فستدعمُه، ولكنها أرادَت أن تغرس فيه أن النجاح يكمن في التعليم، وكان من الصعب عليها إدراك كيف يمكن لهذا النوع الموسيقي الجديد أن يحقق النجاح، وأرادت ببساطة أن تذكره بأن المدرسة هي السبيل المؤكد، وأما موسيقا الراب فلم تكن كذلك.

عرَّفها مطاع على (سي) وشلبي، وكانت تراهما كثيرًا في الحي، وكانا دائمَي الاحترام لها، وكانا يناديانها السيدة كلارك؛ وهو ما جعلها تحبهما، وكانت على قناعة بأن مطاعًا في أيدٍ أمينة، ولكنها كانت توصيهما دائمًا بالعناية به؛ فإيرفينغتون لم تعد كسابق عهدها، وكان عليهما توخي الحذر، وفي أحد الأيام مر (سي) وشلبي لاصطحاب مطاع، وجلسا في غرفة المعيشة، وبعد محادثة قصيرة، أشار شلبي إلى مطاع بأنه يجب عليهم الاستعداد للذهاب، ولما رأتهم الجدة ماري يرتدون ستراتهم، ويتوجهون ناحية الباب، قالت لشلبي: أعتقد يا حبيبي، أنك في حاجة إلى تغطية ذلك، وكان المقبض الأسود اللامع لمسدس 357 المدسوس خلفه ظاهرًا من ملابسه. أوه.. آسف يا سيدة كلارك، وفي حرج أنزل سترته على المسدس، وخرج من الباب مع مطاع، وفي هذه المرحلة، لم تكن جدة مطاع حمقاء، فقد كانت تعرف ما الخطر الكامن خارج الباب في انتظار أحفادها في كل مرة يغادرون فيها

المنزل، ولم يكن لديها خيار سوى الدعاء لهم ليعودوا سالمين، وأما بالنسبة إلى شلبي، فقد كانت على قناعة بأن تأمينه لوجود حماية، أفضلُ من عدم وجود أي حماية على الإطلاق.

الجزء الثاني
عالم توباك وفرقة الأوتلو

الفصل الخامس
حين قابلتُ باك

«لم أرَ قطُّ رجلًا يبكي، حتى رأيتُ رجلًا يموت»

سكارفيس

كانت حياة مطاع على وشك أن تأخذ منعطفًا كبيرًا في اتجاهٍ لم يكُن لِيتوقَّعَه، فقد أتيحَت فرصةٌ كبرى، ولم يتجاوز عامه الخامس عشر... كانت فرصة أكبر من إلقاء الكلمات في المنطقة أمام رجال العصابات... وأكبر بكثير من تلقي صيحات الاستهجان في أبولو، ففي نيويورك، أُتيحَت له الفرصة للقاء توباك أمارو شاكور، الذي يُعرَف باسم باك، والذي كان في ذلك الوقت قد اكتسب شهرةً وطنيةً بعدَ أن حقق نجاحًا مبكرًا في صناعة الترفيه مع إطلاق ألبوم (*2Pacalypse*) في عام 1991م، ودورٍ رائد في فيلم (*Juice*) في عام 1992م، وقد ذاع صيته بسبب أسلوب موسيقا الراب الفريد الذي يجمع بين العبقرية الشعرية والوعي الاجتماعي؛ وعدم خوفه من أن يفتح عيون المجتمع على المشكلات التي تعاني منها أمريكا السوداء، والتي أوضح أن بعضها كان من صنع أمريكا البيضاء[13]، وكانت أغنيته *Trapped* (محاصر) تدور حول الحياة المعتادة للرجل الأسود في الأحياء الفقيرة تحتَ تهديد مستمر من وحشية الشرطة[14]، وعنف الشوارع، وربما كانت الأغنية انعكاسًا لتجربته الخاصة مع الوحشية التي عُومِل بها في قسم شرطة أوكلاند في عام 1991م[15]، وقبلها ببضعة أشهر فقط، كانت كاميرات فيديو قد وثقت واحدةً من أكثر عمليات الضرب وحشيةً، سجلها قسم شرطة لوس أنجلوس، وشاهدت الأمة الرجل الأسود، رودني كينغ، يطارده أربعة ضباط بيض، وأخذوا يركلونه بلا رحمة، ويضربونه بهراواتهم لمدة 15 دقيقة[16]. وقد أطلقت هذه الحادثة أعمالَ شغب عرقي في جميع أنحاء لوس أنجلوس، ودقت ناقوسَ الخطر للنشطاء الاجتماعيين، مثل توباك؛ للفت الانتباه إلى الأزمة الوحشية المتزايدة في المجتمع الأسود، وقد سلطت أغنية *Brenda's Got a Baby* (أنجبَت بريندا طفلةً) الضوء على معاناة فتاة صغيرة تحاول البقاء على قيد الحياة بوصفها أمًّا عزباء تبلغ من العمر 12 عامًا، وأمامَها خيارات محدودة للغاية لتكسب العيش الكريم[17]، وقد قدم توباك أيضًا الحافز والإرشاد من خلال أغانٍ مثل *Keep Ya Head Up* (ارفعي رأسك) ولاحقًا *Dear Mama* (أمي العزيزة) التي احتفلت بالنساء السود والأمهات السود، وأكدت

مدى أهميتهن لنمو أمريكا السوداء وبقائها، ونصح الرجالَ السود بمنحهن الاحترام الواجب الذي يستحققنه[18]، فكان بذلك توباك أمارو شاكور ناشطًا، ومتحدثًا رسميًّا، وصاحبَ رؤية، وثوريًّا، وأسطورةً، وحقيقةً.

وكانت والدته، أفيني شكور، عضوةً في حزب (الفهود السود) القوي؛ لذا فإن صفات النشاط، والمقاومة، والوعي الاجتماعي، كانت تجري في عروقه، وقد سمته توباك أمارو تيمنًا بآخِر ثوري إنكي، الذي مات مقاتلًا للغزاة خلالَ القرن السادس عشر[19]، ولم تكن ولادة توباك كولادة أي طفل؛ إذ كانت ذات أهمية خاصة لأفيني؛ لا لأنه كان ابنها البكري (وقد أنجبَتْ لاحقًا ابنتها سيكيوا، في 1975م[20])، بل لأنها أنجبته بعد شهر واحد فقط من تبرئتها من تهم التآمر الجسيمة التي وجهتها لها الحكومة الأمريكية[21].

كنتُ في السجن عندما كنتُ حاملًا، وظننتُ أنني سأضعُ طفلي هناك، واعتقدتُ أن الطفل سيُؤخَذُ مني، ولكن الحكم ببراءتي صدر قبل شهر وثلاثة أيام من ولادة توباك، وكنتُ في غاية السعادة؛ لأنني أصبح لديَّ ابن[22].

وخلال سنوات مشاركتها في حزب الفهود السود، كانت تعيش في نيويورك، لكنها انتقلت إلى بالتيمور في وقتٍ ما بعد تبرئتها، ومن خلال الحزب تعرفت إلى ياسمين، وبدأ تواصلُهما على الفور، وتوطَّدَت علاقتُهما بمرور الوقت، حتى إن طفلَيْهما، توباك ويافيو، أصبحا بمنزلة الأخوين، وخلال نشأتهما، بدأ توباك بالفعل ينمي موهبة الغناء والتمثيل في أثناء وجوده في المدرسة الثانوية[23]، وسرعانَ ما اكتسب يافيو حسًّا موسيقيًّا، ولقد أمضى كلٌّ منهما سنوات الطفولة والمراهقة بقُرب الآخر، يستمدان من أخوتهما التوجيه والدعم، ولا سيما أن أبوَيْهما كانا غائبَيْن، فأبو توباك لم يكن له وجود حقيقي في حياته؛ وحُكِمَ على أبي يافيو، سيكو أودينغا، أحدِ أبرز أعضاء حزب الفهود السود، بالحبس لمدة 30 عامًا؛ لمحاولة القتل[24]. وبالنسبة إلى كثير من الذكور الشباب السود في أمريكا ممن يعيشون في منازل يغيب عنها الأب، كان حب الأصدقاء الأخوي الخالص ودعمهم يملأ الفراغ الذي يُخلِّفُه غياب الأب في الحياة، وفي وقت لاحق، مع انطلاق مسيرة باك في الراب، بدأ يافيو أيضًا يهتم اهتمامًا شديدًا بموسيقا الراب، وأظهر موهبة كتابة الكلمات الغنائية منذ وقت مبكر، وكما فعل مطاع، بدأ يافيو يتعلم، ولكن بدلًا من أن يتعلم عن طريق الاستماع إلى المذياع، كان يتعلم حيلَ التجارة مباشرةً تحت إشراف واحد من مغني الراب الأكثر نفوذًا ومهارةً على الإطلاق، وفي ذلك التوقيت، تسارَعت وتيرة الأحداث فيما يتعلَّقُ بمهنة توباك في مجال الموسيقا والتصوير، ما تطلب رحلات متكررة إلى مدينة نيويورك، وذات مرة، كان مطاع يزور العمة بيتي، ثم التقى ياسمين مرة أخرى، بعد انقطاع التواصل بينهما بضع سنوات؛ وسألَته عما كان يفعله في حياته؟ فقال: إنه يسعى لامتهان موسيقا الراب، ولأنها كانت تعلم اهتمام ابنها أيضًا بمهنة الراب، وأنه كان يرافق توباك شاكور، أخبرَت مطاعًا أنه يمكنه أن يلتقيهما في نيويورك؛ لأنهما

سيكونان هناك بضعة أسابيع، وجمع القدرُ شملَ مطاع ويافيو مرةً أخرى في نيويورك، ولكن ذلك اللقاء بتوباك جعل حياة مطاع تتخذ منعطفًا لا يُصدَّقُ نحو الأفضل.

فبعد أن غادر مطاع منزل العمة بيتي استعد على الفور للتوجه إلى نيويورك؛ لرؤية يافيو وتوباك، وتطوع سيكي، أخو مطاع الأكبر، لاصطحابه في رحلة القطار التي تستغرق 40 دقيقة، وكانت كثير من الأفكار تدور في عقل مطاع الشاب، سأرى صديقي يافيو؛ إني لأفتقده، وسألتقي باك! يجب أن يعلم باك أني أتيتُ من الشوارع أيضًا، وعليَّ أن أتأكد من إحضار الشريط الذي يحتوي على نماذج من أعمالي، وأحتاج إلى زي جديد؛ لأنني يجب أن أبهره!

كان لدى مطاع انجذاب خاص لموسيقا توباك؛ لأن أصداءها ترددت داخلَه، ولا شك أن موسيقاه كانت تحمل رسائل إيجابية، وواعية اجتماعيًّا، ولكن شخصيته كانت تتصف أيضًا ببعض سمات العصابات: المخدرات والسلاح، ففي أغنيته *If My Homie Calls* (إذا طلبني صديقي) أعلن ولاءه لصديق اضْطُرَّ إلى البقاء في لعبة الكراك، بينما كان توباك يسعى لمهنة الراب، وأما أغنية *Soulja's Story* (قصة رجل الشارع) فتحدثت عن الاضطرار إلى التعامل باستمرار مع وحشية الشرطة، وحماية المرء نفسَه من البلطجية وعنف الشوارع، وقد شعر مطاع كما لو أن توباك كان يتحدثُ إليه مباشرةً؛ وفي الغالب، سرى ذلك الشعورُ نفسُه إلى كل شاب أسود نشأ في حيٍّ في ذلك الوقت.

وركب سيكي ومطاع قطارًا في الصباح الباكر وتوجها إلى نيويورك، وعندما وصلا، استقلا سيارة أجرة إلى فندق باركر ميريديان في شارع ويست 56 في مانهاتن، حيث كان توباك ويافيو يقيمان، وتوقفت السيارة، فدفعا الأجرة، وخرجا، ووقفا هناك لحظات، ينظران إلى حجم المنشأة الهائل: 42 طابقًا تتسم بالفخامة والرقي، وكان المبنى أطولَ من أي شيء في إيرفينغتون في ذلك الوقت، وكانت تلك معاينةً مبكرة للحياة التي سيحياها مطاع في أحضان الرفاهية إذا ما نجح، وعندما دخلا الردهة، كان يافيو ينتظرهما هناك بالفعل.

انطلق صوت يافيو من المصعد الرئيس: «مرحى، مطاع، أهذا أنت يا مطاع؟!».

فردّ مطاع، وهو بالكاد يتعرف إليه: «يافيو، كيف حالك يا رجل؟!». في آخر مرة التقيا، كان يافيو قصيرًا وممتلئًا؛ وأما الآن فقد بلغ طوله ستة أقدام وثلاث بوصات، يمشي في خُيَلاء، وقد ضفر شعره، واحتضن كلٌّ منهما الآخر، وتصافحا في البداية، ثم تعانقا عناقا حارًّا.

- «إيه يا يافيو، لقد أصبحت ضخمًا، يا أخي! لم أرَكَ منذُ وقتٍ طويل يا رجل! لقد صرتَ طويل القامة الآن!».

- «نعم، أعرف يا رجل، هذا هو الحال يا صاحِ! لقد سعدتُ برؤيتك يا مطاع! لقد مر وقتٌ طويل، يا رجل!». ثم قال يافيو: «مرحبًا، كيف الحال يا سيكي؟، لم أركَ منذ زمن طويل»، ومدّ يده، وصافح

سيكي أولًا، ثم عانقه أيضًا.

قال سيكي: «كل شيء على ما يُرامُ، يا أخي! كيف حالك أنت؟».

وبعد أن تجاذبوا أطراف الحديث مدة قصيرة، قال يافيو: «ألَا تصعدان معي إلى الطابق العلوي؟ هناك بعض الأشخاص، يريدون مقابلتكما!».

«حسنًا، حسنًا، فلنفعل».

دخلوا المصعد، وصعدوا إلى الطابق المطلوب، وخرجوا من المصعد، وساروا في الردهة، وفتح يافيو باب جناح الفندق، وبعد أن فُتح الباب وقفوا جميعًا في المدخل أولًا، ورأى مطاع شابَّيْن يجلسان في غرفة المعيشة: أحدهما يجلس على أريكة قبالته مباشرةً عند دخوله، والآخر جالس على كرسي ذي مسندين بجانبه، وكانت ياسمين هناك أيضًا، تقف جوارَ المطبخ الصغير، الذي كان يقع في الخلف، وفي أثناء دخولهما الجناح، سألت ياسمين مطاعًا وسيكي عن أحوالهما، وكيف كانت رحلة القطار إلى نيويورك؟

قال سيكي مبتسمًا: «مرحبًا، يا عمة، كيف حالك؟ كما تعلمين، كان عليَّ أن آتي معه؛ حتى أحافظ عليه، وأبقيه بعيدًا عن المتاعب، وكلنا بخير؛ وكانت الرحلة سريعة».

وقال مطاع: «مرحبًا، يا عمة، كيف حالك؟ أنا بخير، والرحلة كانت رائعةً، وسريعة، وكنت أتحدث مع يافيو عن الأحوال طوال الطريق».

قاد يافيو مطاعًا وأخاه نحوَ المنطقة التي كان يجلس فيها الشابان.

قال يافيو: «مرحبًا، كيف حالكما جميعًا؟»، فنظرا نحو مطاع، وردَّا التحيةَ. «هذا هو صديقي مطاع الذي أخبرتُكما عنه من الحي، نيوآرك، نيوجيرسي، لقد سمعتما به، أنتما تذكرانه، أليس كذلك؟».

قالا معًا مع إيماءة لطيفة برأسيهما: «بلى، بلى، كيف حالك يا مطاع؟».

قال يافيو: «وهذا صديقي سيكي، شقيقه الأكبر». فردّا: «مرحبًا، كيف حالك؟».

قرب يافيو مطاعًا من الشابين؛ ليقدمه إليهما بمزيد من التفصيل.

«مطاع، أنت تذكر كتاري (كي - دوغ)، أليس كذلك؟». وقف كتاري، وكان ذلك اسمَه الحقيقي، لكن كي - دوغ كان اسمه الفني، وكان أقصر من يافيو، ولكنه كان أطول من مطاع، فمدّ كتاري يده إلى مطاع، وصافحه، وعانقه بالذراع الأخرى.

قال كتاري: «كيف حالك يا مطاع؟ لقد مضى وقت طويل! سمعتُ أن لك إبداعات». فأجاب مطاع: «نعم، يا رجل، كيف حالك يا كي - دوغ؟! تسرني رؤيتك مرة أخرى، يا أخي». توجه كتاري إلى

سيكي، واستقبله بالطريقة نفسها.

قال يافيو: «وهذا يا مطاع مالكوم، المعروف بـ (بيغ مالك) أيضًا». فوقف مالكوم، وكان في طول كتاري تقريبًا.

صافح مالكوم مطاعًا، واحتضنه، وقال: «كيف حالك يا مطاع؟ هل أنت بخير يا صديقي؟ تسرني مقابلتك وجهًا لوجه، فلقد أخبروني الكثير عنك». وكذلك تبادل التحايا مع سيكي بعد ذلك مباشرةً.

قال كتاري: «هلا أخبرتَه باسمك الفني؟». فقال يافيو: «نعم، يا مطاع، أنا يَنغ هوليوود».

قال مطاع وهو يضحك: «حسنًا إذن؛ أنا الآن أرى داخلَك هوليوود صغيرة، وأنا يسمونني ليتل مو».

وبعد مقدمات موجزة، جلس الجميع على أرائك وكراسي مختلفة في غرفة المعيشة، وبدؤوا يتجاذبون أطراف الحديث، وتناولوا بعض الوجبات الخفيفة وبعض المرطبات، وناقشوا كيف بدؤوا جميعًا مسيرتهم في موسيقا الراب، وبعض مشروعاتهم التي شاركوا فيها، وكيف تعرفوا إليها، وكان يافيو وكتاري ومالكوم تربطهم علاقة وثيقة؛ لأن أمهاتهم كُنَّ جميعًا مشاركات بعمق في حزب الفهود، ونشؤوا جميعًا جنبًا إلى جنب مع توباك، ويُضاف إلى ذلك أن والدة توباك ووالدة كتاري كانتا شقيقتين، فكان توباك وكاتري ابنَيْ خالةٍ، وفي وقت لاحق من المحادثة، ذكر مطاع بشغف أنه جهز شريطًا به نموذج من أعماله، وسأل عن مكان توباك؟

قالوا جميعًا: إنه سيأتي قريبًا، وإنه متحمس لمقابلة ليتل مو.

لم يصدق مطاع ما كان يحدث.

أتذكر أنني جلستُ هناك مع يافيو، الذي يُدعى الآن يَنغ هوليوود، وكي -دوغ، وبيغ مالك، تنتابني الرهبة، ولقد نجح هؤلاء الرجال بالفعل، لقد نجحوا، وكانوا يتحدثون عن الوقت الذي يقضونه في الأستوديو، يعملون مع باك، وعن جميع الأشخاص المشهورين الذين التقَوْا بهم، ولقد بدأ يُذهلني كون هذا حقيقة واقعة، وكنت متشوقًا جدًّا لأن أُسمعهم الشريط الذي يحتوي على نماذج أعمالي في هذه المرحلة، وكنت أنتظر باك بفارغ الصبر، وكان عليَّ أن أُثير إعجابه بمدى تأثير الشارع عليَّ، وأجمل ما في الأمر أن الأجواء كانت حميمية، وكان الأمر كما لو كنت بالفعل جزءًا من العائلة، ولقد جعلوني أشعر بأنني مُرحَّب بي، وأنني في بيتي، وأنا بالكاد أعرفهم، ولن أنسى ذلك لهم أبدًا.

وبينما كانوا يناقشون العقبات التي يواجهونها في أثناء التسجيل، إذ سُمع صوتُ شخص ما في الخلفية يقول: «كيف حالكم جميعًا؟». فتوقف الجميع عن الكلام، واستداروا في اتجاه الصوت، فإذا هو توباك.

وقد كان توباك يرتدي ملابس غير رسمية: قميصًا أبيض رائعًا بأزرار في ياقته، وبنطال جينز أزرق، وسلسلة ذهبية سميكة مرصعة بالماس، تتلألأ في الضوء، وتتدلى من رقبته، وما زال مطاع يذكر أنه بدا كأن هناك وهجًا أشرق من وجهه ترحابًا بهم، واقترب توباك من المجموعة، مبتهجًا تُحيطُ به هالة من السعادة والثقة، ونظر إلى مطاع بابتسامة واسعة ومشرقة، وقال: «كيف الحال يا مطاع؟ ما أخبارك يا صديقي؟ لقد سمعتُ الكثير عنك من ياسمين».

قال مطاع وقد توجه توباك نحوه، وصافحه، واحتضنه: «أنا بخير يا توباك، وكل شيء على ما يُرام، وأنا سعيد لوجودي هنا».

«يمكنك أن تدعوني باك يا مطاع، أهذا أخوك؟»، وأشار إلى سيكي، وما زالت ترتسم على شفتيه ابتسامةٌ واسعةٌ.

قال سيكي وتوباك متوجه نحوه لتحيته: «نعم، أنا سيكي، وقد سعدتُ بلقائك يا باك».

جلسوا جميعًا، وقال باك: «وأنا كذلك، وأنا كذلك».

بدأ مطاع على الفور يقول لنفسه: لم يكن باك ذلك «البلطجيُّ الوحشي» كما تصوره وسائل الإعلام؛ بل كان باسمًا، ومهذبًا، وذا شخصية آسرة، ولكنه كان في الأخبار بلطجيًّا خطرًا يحرض على العنف من خلال كلماته، ولم يكن لموسيقاه «مكان في المجتمع (الأمريكي)»[25].

قال باك: «إذن، أخبرني يا مطاع، كيف تجري الأمور؟».

«حسنًا، أنا أحاول العمل في مجال موسيقا الراب، وكنت أعرف يافيو منذ وقت، وأخبرتني أمه أن أحضر للقائك، أنا من إيرفينغتون، والحياة هناك قاسية، وكان أخي يدير حيًّنَا، وكنتُ أنا أوزع المخدرات».

قاطعه باك، مشيرًا له بيده برفق ليتوقف: «لا، لا، لا، لم أطلب منك التحدث معي بشأن ذلك، فسوف نتحدث عن ذلك فيما بعد؛ وأنا أعرفك جيدًا، بل قصدتُ أن تحدثني عنك... وعن أسرتك، ولقد سمعت عن قصتك». واتكأ باك على الكرسي متأهبًا لسماع مطاع، فأذهل مطاعًا مدى تواضعه؛ فقد كان هذا الرجل مشهورًا، ومعروفًا، ولديه الكثير من المال، وعلى الرغم من كل ذلك كان يُصغي ليسمع قصة مطاع.

- «حسنًا... عندما كنت صغيرًا، في الثالثة من عمري تقريبًا، كان والدي في المنزل في أحد الأيام، وكنتُ أنا، ووالدي، وحارسه الشخصي، وأمي وأخواي في المنزل».

- «نعم...».

- «ثم جاء أبي الروحي، الذي كان يُفترض أنه صديق والدي، وأجرى معه حديثًا قصيرًا وأنا جالسٌ على حجره، وكان أبي مسترخيًا على الأرض يتحدث إلى شخص ما على الهاتف».

- «حسنًا... أكمل».

- «وفجأةً ألقى بي أبي الروحي، وأخرج مسدسًا... وأطلق النارَ على والدي في صدره».

عندما سمع باك ذلك، اعتدل قليلًا، وظل ينظرُ إلى مطاع.

- «حدث هذا أمامك؟».

- «نعم... أمامي».

تغير سلوكه من الفضول إلى التأمل، وبدأ ببطء يشبك ذراعيه، ويجمع قدميه، وقال له: «أكمل...».

- «ثم أطلق الرجلُ الذي كان معه النارَ مباشرةً على الحارس الشخصي الذي كان يجلس على الطاولة، ثم بدأا يطاردانني أنا وإخوتي وأمي».

وفجأةً، لاحظ مطاع انعكاس أضواء الثريا التي أخذت تومض على سطح عيني باك، ولم يقُل باك شيئًا هذه المرة، بل أومأ برأسه للمتابعة فحسب.

- «أخي مؤمن يتذكر ما حدث أكثر مني، لكنني أتذكر أن والدتي سمعَت الطلقات النارية، وهُرعَت من الخلف صارخةً، فأمسكَت بي، وركضَت وهي تحمل مؤمنًا في اليد الأخرى، ولم يرحمها هذان الجبانان، بل ظلَّا يُطلقان النار عليها».

طأطأ باك رأسه قليلًا، واستغرق في حالة تفكير عميق، وأومأ برأسه؛ لكي يستمر مطاع.

«أطلقا عليها النار 13 مرةً...». فتوقف مطاع عن الحديث لحظة، وأكمل: «... ثم توجها إليَّ وإلى أخي... ليجدا أن الرصاص قد نفد منهما، فانصرفا».

استمر مطاع في سرد قصته، وبدأ يركز على كيفية تغير الحياة للأسوأ في إيرفينغتون، ولكن باك لم يتركه ليُنهي كلامه.

فقال وهو لا يزال مطأطئًا رأسه: «ما عمرك الآن يا مطاع؟». فأجاب مطاع: «15 عامًا».

وعند هذه النقطة، رفع باك رأسه، لتتحدر على خديه تلك الدموع التي كان يحاول أن يحبسَها، وبعينين مغرورقتين حمراوين قال باك: «يمكنُك الاعتماد عليَّ يا مطاع، يمكنك الاعتمادُ على باك، ولا تحمل همَّ شيء أيها الجندي الصغير».

لقد أذهل مطاعًا مدى تأثر باك بقصته، وقال لنفسه: إن باك رجلٌ بمعنى الكلمة، وعلى الرغم من أنه كان على قمة العالم، ويحيا حياة رجال العصابات، لكنه تأثر بالفعل بما قلته للتو، ولقد أثر فيَّ هذا بعمق، فإنه أول شخص يتفاعل مع قصتي بهذه الطريقة، ولم يكن مطاع متأكدًا تمامًا من الطريقة التي يجب أن يرد بها على ذلك، وماذا يقول، أو ماذا يفعل، لكنه فعل الفعل الغريزي الذي يفعله أي أخ لأخيه المتألم: أن يواسيه.

- «هون على نفسك يا باك، لقد أصبح كلُّ شيء على ما يُرام، وأنا بخير، وقد نهضنا من الأزمة، وتجاوزناها».

- «أنت جندي، ويمكنك الاعتماد عليَّ يا صديقي الصغير».

وعلى الرغم من أن باك سيستغرق بعض الوقت قبل أن يستمع في النهاية إلى مهارات مطاع الغنائية، توطدت علاقتهما بقوة، وكان هناك شيء واحد واضح بعد اجتماعهما الأول: وهو أن مطاعًا عرف أن باك - على الأقل - سيكون سندًا له مدى الحياة.

مكث سيكي ومطاع لمدة ساعة أو ساعتين بعد ذلك، ثم انصرفا، وشقّا طريقَهما إلى المنزل، وفي رحلة العودة، ظل مطاع يسترجعُ كيف مضى يومه مع باك، ويتشوق لرؤيته مرة أخرى، ولقد أراد حقًّا الدخول إلى الأستوديو مع يافيو، وكي - دوغ، وبيغ مالك، وكان متحمسًا للتسجيل مع باك، وكان يتحرَّق شوقًا للعودة إلى إيرفينغتون لإخبار مؤمن، وريف، و(سي)، وشلبي، وكامل، وجدَّتِه عن الوقت الذي أمضاه في نيويورك، ووصل مطاع وسيكي أخيرًا إلى المنزل، وكان لدى مطاع رغبة مُلِحّة في إخبار ريف، الذي كان الوحيد هناك إلى جانب الجدة ماري، وكان مؤمن لا يزال في الحي يحتالُ لكسب المال، ولم يكن أحدٌ يعلم متى سيعودُ، ولم يكن مؤمن يهتم كثيرًا بلعبة الراب في تلك المرحلة في حياته؛ لأن بيع المخدرات كان طريقًا مُجرَّبًا لكسب المال، ولم يكن الرابُ كذلك، ووجد مطاع ريف، وحكى له عن التجربة كلها؛ فسعد ريف بذلك سعادةً غامرةً، وعلى الرغم من أنه لم يكن على دراية بمغني الراب في الساحل الغربي، فقد سمع عن باك، وعلم أن مطاعًا لديه من الموهبة ما يمكنه من تحقيق النجاح، ثم ذهب مطاع إلى الجدة ليخبرها عن تجربته، فقالت: إنه كان رائعًا أن يذهب إلى نيويورك، ويرى كل تلك المباني الشاهقة، وقالت: إن بإمكانه أن يصبح في قمة أحدها يومًا ما إذا عمل بجد في مدرسته، وأخذ مطاع يوضح لها أن موسيقا الراب مع باك ستجلب له النجومية والمال بسرعة أكبر، وبهذا يمكنه شراء منزل لها في مكان ما في منطقة جميلة؛ مثل المكان الذي تسكن فيه العمة ياسمين.

- «لا بأس من الحلم، يا صغيري، لتكن لديك أمنياتك، ولتكن لديك تطلعاتك، لكن لا تضع كل بيضك في سلة موسيقا الراب... فالمدرسةُ والواجبات والرب لن يخذلُوك أبدًا، لا تنسَ ذلك يا صغيري».

- «لن أنسى يا جدتي، سأنجح، وسترَيْن».

- «أعرف أنك ستفعل، يا سكر... أعلم أنك ستفعل».

كان مطاع ينتظر بفارغ الصبر ليسمع من يافيو أن باك قد استمع إلى شريط نماذج أعماله، وكان يتصل كلَّ يوم للمتابعة، ولكن لم يحدث ذلك بعدُ، وأخبره يافيو ألَّا يقلقَ، وأن كل شيء كان على ما يُرام، وأن باك سيكون منشغلًا خلال الأشهر القليلة القادمة ذهابًا وإيابًا بين لوس أنجلوس، ونيويورك، وأتلانتا، ولكنه سيستمع إلى الشريط بالتأكيد، وبعدَ البقاء في نيويورك مدة وجيزة، عاد يافيو إلى أتلانتا، وكان قد سبقه إليها كلٌّ من كي - دوغ، وبيغ مالك.

وخلال تلك المدة المرحلية، عاد مطاع إلى المدرسة، وحاول إرضاء جدته بالابتعاد عن المشكلات، ولكن لسوء الحظ، بدا كأن المشكلات تلاحقه دائمًا، فهذه المرة، لن تتسامح المديرة التي عُيِّنَت حديثًا للمدرسة مع أي سلوك سيئ من الطلاب في مدرستها الثانوية، وذات يوم، دعت المديرة -وهي سيدة أمريكية من أصول إفريقية- مطاعًا إلى مكتبها، وقالت: إن لديها شيئًا شديد الأهمية لتخبره به، ولم يكن بالأمر الجيد أن يُستدعَى الطالب إلى مكتب المديرة؛ لذلك لم يكن مطاع يتوقع أيَّ شيء إيجابي، فقالت المديرة: إنها في محاولة لتحسين صورة المدرسة وإرساء بعض القانون والنظام، فطلبت قائمة بأسماء أسوأ 100 طالب في المدرسة؛ وكان اسم مطاع ضمن الخمسة الأوائل؛ لكونه مزعجًا في الفصل؛ ولانخراطه في المشاجرات، وبصفتها المديرة الجديدة، لن يكون لديها أي تسامح مطلقًا مع السلوك غير المقبول؛ لذا فإن مطاعًا إذا تصرف على نحو غير لائق فسيطرد من المدرسة، ولم يأخذ مطاع الأمر على محمل الجد، وعلى الرغم من أنه كان دائم الاحترام لأساتذته، واصل مطاع سلوك التهريج في صفه، غيرَ مكترث على الإطلاق بالتهديد الوشيك بطرده من المدرسة؛ فكل ما أراده هو قضاء وقت ممتع في دراسته، وذات يوم، دخلت المديرة إلى فصله وهو مندمج في (التهريج) وكانت تلك هي القشة التي قصمت ظهر البعير، وطُرِدَ من المدرسة بعدَها بأيام قليلة، ولم تكن جدته سعيدةً على الإطلاق بسماع تلك الأخبار.

قالت الجدة: «مطاع، كيف حدث هذا؟ لم أكن أتصور أن الأمور وصلت إلى هذا الحد من السوء!».
فردّ مطاع: «أعرف يا جدتي، أنا آسف، فقد كنتُ ألهو قليلًا في الفصل، ولا أدري ما الذي ضايق المديرة إلى هذا الحد».

فقالَت بحزم: «ليس هذا ما يضايقُ، لكن المديرة تأخذ عملها على محمل الجد، ويبدو أنك تلهو كثيرًا في الفصل، وعليك أن تأخذ تعليمك بجدية، فأنت تعلم أن جدتك تحبك، وتريد لك الأفضل يا حبيبي، وهذه الشوارع خطرةً، ولن يأتي من ورائها أي خير، فماذا سيقول والدك لو رأى هذا الآن؟ ألم تُفكِّر يومًا في ذلك؟».

كانت هذه الكلمات قاسيةً، لكن في بعض الأحيان تكون الحقيقة مؤلمةً، وكان والده رجل أعمال ذكيًّا يدرك أهمية التعليم، وما الذي كان سيقوله لو أنه علم أن ابنه قد طُرد من المدرسة؟ أراد مطاع أن يجعلَ جدته فخورةً به، لكنه كان يعلم في أعماق نفسه أن المدرسةَ ليست هي الوسيلة لتحقيق ذلك،

وفي تلك اللحظة، اتخذ قرارَه، بعدَ أن طُرد من المدرسة، فأصبح مطاع مصممًا على التركيز أكثرَ على تطوير مهاراته الغنائية؛ ورأى أن موسيقا الراب الآن هي الطريق الوحيد لتحقيق النجاح.

وبعد مرور بعض الوقت، اتصل يافيو بمطاع، وسأله عما كان يفعله مؤخرًا؟ فأجابه مطاع بأنه مع الأسف طُرد من المدرسة، وأنه يكتب كلمات الراب بين الحين والآخر، وأنه يحاول النأي بنفسه عن المشكلات، فاقترح يافيو أن يأتي مطاع إلى أتلانتا للاسترخاء والتسجيل معهم في الأستوديو، وقد يكون باك موجودًا أو غائبًا، لكن على الأقل يمكنهم أن يبدؤوا في الكتابة معًا، بل ربما يبدؤون في تسجيل بعض الأغاني، وكان لهذه الكلمات وقع الموسيقا في أذنَيْ مطاع، فمن دون شك سآتي! أخيرًا سأدخل الأستوديو! لقد كان ينتظر حدوث شيء ما... أي شيء، وكانت دعوة يافيو هي ذلك الشيء، وأَخذَ الإذنَ أولًا من الجدة، التي نصحَته بأن يذهب؛ إذ لم يكن لديه أيُّ شيء آخر يفعله، ثم تحدث إلى (سي) الذي حجز له مقعدًا على أول رحلة طيران من نيوآرك.

وصل مطاع الشاب إلى أتلانتا، وقد تملكه الحماس، عندما نزل من الطائرة، فاصطحبه يافيو من المطار في سيارة بنز سوداء ليوصله إلى منزل باك في ستون مونتن، حيث كانوا يقيمون جميعًا، وكان منزلًا جميلًا، مساحته 2.2 فدان، وبه ست غرف نوم[26]، ويقع في منطقة راقية من أتلانتا، ولكن لم يكن المنزل نفسه هو الذي أثار إعجاب مطاع؛ بل الأجواء داخل منزل باك هي التي كانت ساحرةً، وكان المنزل يضم والدة باك، وأفيني، ووالدة كي - دوغ؛ غلوريا (غلو)، وكي - دوغ، وبيغ مالك، وكان يافيو يتحرك ذهابًا وإيابًا بين نيوجيرسي وأتلانتا، وعلى الرغم من أن مطاعًا كان غريبًا قادمًا مباشرةً من نيوجيرسي للبقاء مع أشخاص بالكاد يعرفهم، فقد جعلوه يشعر براحة لا تُصدق، وفعلوا كل ما في وسعهم لتلبية جميع احتياجاته، وقد كانت الأجواء خيالية إلى حد غير طبيعي لمطاع؛ فحتى تلك اللحظة من حياته، لم يحظَ بهذا القدر من الحب، والقبول، والكرم من الغرباء: هذه أسرة شديدة التميز، فقد كان يقول ذلك لنفسه في كثير من الأحيان.

شغل يافيو شريط نماذج أعمال مطاع لكي - دوغ، وبيغ مالك، وقد أعجبوا بنظم وقوة كلمات هذا الشاب البالغ من العمر 16 عامًا:

«وعندما كنتُ صغيرًا، أردت أن أكون جون غوتي...

لكن تبًّا لجون غوتي، وتبًّا لآل كابوني...

عبأتُ مسدسي؛ لأني أقف وحدي...

جعلني المال أشعر كالنجم...

لكن القتل جعلني أشعر بأن موتي قريب».

كان من الواضح أن لديه موهبة واعدة، ولكن إذا أراد أن يعمل مع باك، فإن أفضل فرصه كانت من خلال فعل ذلك مع يافيو وكي - دوغ، وبيغ مالك؛ لذا استمروا في العمل في الأستوديو، ليلًا ونهارًا، وفي أحد الأيام، بدأت الأذهان تتفتق، وانطلق صوت الإيقاع في الأستوديو، فبدأ مطاع يكتب بتلقائية:

«عليَّ أن أُبقيَ عينيَّ على السلاح...

لا يمكن أن أصبحَ الضحيةَ التالية في حقول القتل...»

ثم أكمل يافيو (ينغ هوليوود) قائلًا:

«ولكن إن كنتُ لا بد فاعلًا، فأعتقد أنني سأفعل...

سأطلق الرصاص، وأنطلق مسرعًا، حين يحدث هذا».

أصبحَت هذه الأبيات الأربعة قفلًا للأغنية، ثم أضاف بيغ مالك:

«نشأنا مُعقَّدين، في خضم الجرائم...

وجعلتنا مشاهدة كبار السن يدخنون المخدرات نتلاشى...

لكن حين يتجول المرء في حقول القتل...

يدرك ويعرف، أنه سينجو إذا كان سلاحه أكبر».

وقال كي - دوغ بـ:

«جئتُ أبحث، عمن؟

عن الأثرياء، الذين يرتدون سلاسل الذهب، الذين هم كوَرَم العين...

ولكني الآن أسترجعُ ما مضى وأفكر في أمنياتي...

فأراها كما هي، يُقتَلُ الزنوج بالوشايات».

ثم عاد مطاع الصغير بـ:

«... من الأفضل أن يبدأ شخص ما الحديث...

من الأفضل أن تُصدِّقَ أني سأدفنك...

أو أنـي سأكون الزنـجي التالـي...

الذي سيموت فـي منطقتك».

وقالوا جميعًا في انسجام:

«علـيَّ أن أُبقـيَ عينـي علـى السلاح...

لا يمكن أن أصبحَ الضحيةَ التالية في حقول القتل...

«ولكن إن كنتُ لا بد فاعلًا، فأعتقد أنني سأفعل...

سأطلق الرصاص، وأنطلق مسرعًا، حين يحدث هذا»[27].

ومع مرور الليل، أخذ كلٌّ منهم يُؤَلّفُ المزيدَ من الأبيات؛ لتنتظم أجزاء الأغنية معًا، حتى أصبح لديهم أخيرًا ما يكفي من الأبيات لإكمال أغنيتهم الأولى، وكان نادرًا جدًّا في ذلك الوقت أن تجدَ مجموعةً من المراهقين في مثل أعمارهم يستطيعون كتابة تلك الكلمات القوية والعدوانية، وكان لمثل هذه الحداثة القدرةُ على تغيير قواعد اللعبة في مجال موسيقا الراب، ولكن لم يكن لشيء أن يمضي قُدُمًا دون الحصول على اعتماد باك نفسه.

وفي غمرة حماستهم، اتصلوا على الفور بباك، الذي كان في نيويورك في ذلك الوقت، وقالوا له: إنه يجب أن يستمع إلى ما أنتجوه للتو، فردّ باك على الهاتف، واستمع باهتمام إلى التسجيل، وظل طوالَ الوقت صامتًا حتى انتهاء الأغنية، وبعد هُنيهَة، صاح باك: «نعم! نعم! نعم! هذا ما كنتُ أتحدثُ عنه من قبلُ! هذا ما كنتُ أحاول حملَكم على فعله من قبلُ!».

لقد أضاف مطاع عنصرًا آخر من عناصر بيئة الشارع والقوة كانت الأغنية في أمسّ الحاجة إليه، ولقد اقتنع باك بالأغنية، وقال: «تبدون معًا مجموعة منسجمة! ولقد كنتُ أفكر في اسم (دراماسايدل)؛ لذا سأُطلق ذلك الاسم عليكم، وسوف أحصل لكم على صفقة للتسجيل قريبًا، وتذكروا كلامي».

أصبحت أغنية *Killing Fields* (حقول القتل) أول تعاون ناجح بين مطاع، ويَنغ هوليوود، وكي - دوغ، وبيغ مالك، وكانَت الأغنية جيدةَ الإلقاء، وتحتوي على روح التآزر، والمثابرة، فأحبها باك، وقدم في النهاية مقدمة صوتية للأغنية، وإدراكًا لما حدث للتو، لم يتمالك مطاع نفسه: لقد سجلتُ أخيرًا! لقد سجلتُ مع توباك! ما قولُك الآن يا أبولو؟! وتحقق الحلم الذي بدا بعيدَ المنال في تسجيل حقيقي.

وقد كان تركيز باك منصبًّا على الحصول على صفقة تسجيل لـ (دراماسايدل)، وكانت شركة *Interscope Records* (إنترسكوب ريكوردس)، التي أنتجت ألبومه الأول (*2Pacalypse*)، هي

الخيار الأفضل، وبدأ مفاوضات الصفقة؛ ليؤكد على أن مجموعته لا تملك الموهبة فحسب، بل تملك أيضًا الخبرة التجارية، وقد أُسسَت الشركة في عام 1990م[28]، وسرعانَ ما رسَّخت أقدامها لتصبحَ علامةً بارزةً في صناعة الموسيقا بحلول الوقت الذي وقَّعت فيه مع توباك شاكور في عام 1991م[29]؛ لذلك لم يكونوا ليتعاملوا مع فنانين ليسوا جادين بشأن حرفتهم، وفي حين كان باك مشغولًا بتأمين صفقة لـ (دراماسايدل)، كانوا مشغولين في أستوديو التسجيل لإنتاج مواد لألبومهم الأول، وفي هذا الوقت، كان مطاع يعيش أفضل نسخة من حلمه الأكبر.

وفي الوقت الذي كان باك يعمل فيه على الاتفاق على صفقة التسجيل الجديدة للمجموعة، كان أيضًا يحاول جعلهم دائرته المقربة، وكان يريد أن يَدخل منافسة شرسة في صناعة الراب، وكان يريدُ لحاشيته المقربة أن يبزغ نجمها، وكانت إحدى الطرق التي اتبعها هي إحضارهم إلى تجمعات المشاهير، وفي صيف عام 1994م، كان حفل زواج مرشده؛ شوك - جي، في أوكلاند، فرصةً عظيمة بالنسبة إلى باك لإحضار مجموعة الراب الخاصة به إلى المشهد، وكان لشوك- جي دورٌ أساسيٌّ في بدء باك في مجال الموسيقا؛ لذلك كان من الواجب أن يُظهر له الاحترام الواجب، فلا شك أن باك سيحضر حفل الزفاف، وكان حريصًا على سفر (دراماسايدل) إلى كاليفورنيا، أيضًا.

نعم، كان هذا هو الوقت الذي بدأ فيه باك حقًّا يضعنا في دائرة الضوء، وكان يعرّفنا إلى جميع أصدقائه المقربين، والأشخاص الذين يساندونه في المجال، ولن أنسى أبدًا أول مرة جعلنا نسافر فيها إلى كاليفورنيا، حين التقينا شوك - جي، وحضرنا حفلَ زفافه، وكان باك دائمًا ما يتحدَّثُ عنه بإجلالٍ، وكان يُكِنُّ له حبًّا جمًّا، وكانت هذه إحدى سمات باك، كان يمنح قلبه وإخلاصه الشديد للأشخاص الذين أَحبهم، وعلى الرغم من صغر سننا، غمرنا شوك - جي بحبه، وبالنسبة إلي، لم أصاحب أحدًا من المشاهير بهذا القرب قطُّ، وكان من المدهش أن أرى كمَّ الاحترام الذي يعامِل به الجميع باك هناك، فلقد رأيتُ الاحترام الذي كنتُ أُكنُّه له في نفسي عندَ جميع المحيطين به، وكذلك كانت الرحلة إلى كاليفورنيا حاسمةً؛ لأنها لم تكن مثل نيويورك أو نيوجيرسي على الإطلاق؛ فقد كانت أجواؤها مختلفةً، وكانت الروح القَبَلية سائدةً... لذلك كان عليك أن توطد علاقتك بالناس للبقاء على قيد الحياة، وكان أحد أهم الأشخاص الذين التقيتُهم هناك هو بيغ سايك، وكان جزءًا من مجموعة راب أخرى لباك، تدعى *Thug Life* (ثَغ لايف)، وكنا أيضًا أصدقاء، وهم: موبريم (شقيق باك)، وبيغ سايك، وريتد - آر، وماكادوشيس، ولقد عاملونا بحب غامر، واعتنوا بشؤوننا، عندما كنا في كاليفورنيا، وقد أولانا كلٌّ من بيغ سايك وموبريم عنايتَهما، ولا سيما حين حُبسَ باك، وكنا نعمل مباشرة مع إنترسكوب ريكوردس على ألبومنا الأول، وكان بيغ سايك، وماكادوشيس، وريتد - آر، رجال عصابات حقيقيين أيضًا؛ لذا كان الاحتماءُ بهم أمرًا بالغَ الأهمية، ويجب أن تفهم أنه في ذلك الوقت - وحتى الآن إلى حدٍّ ما كان الانتماءُ إلى عصابة في لوس أنجلوس أمرًا ضروريًّا لبقائك على قيد الحياة.

وبعد أن عرفوا وجهتهم، وتعرفوا إلى الأشخاص المناسبين، كان مطاع و(دراماسايدل) يستمتعون الآن بصعودهم في المجال، ولقد كانوا يسجلون الأغاني الفردية، وأصبحوا معروفين في مقاطع الفيديو الموسيقية، ويظهرون في المقابلات التلفازية، ولم يكن أمام الناس خيار سوى الانتباه إلى تلك الأسود الصغيرة التي أطلق لها باك العنان؛ وكانت كلماتهم شديدة الشراسة، وغير مُروَّضة، وتفيضُ بالعزة، وكانوا يستعدون لترسيخ مكانتهم الرسمية على الساحة الموسيقية من خلال التسجيل مع باك لألبومه القادم *Me Against the World* (أنا في مواجهة العالم). وبعد أن أصبح ألبوم باك الثاني *Z.A.G.G.I.N 4My Strictly* (مصمم على تحقيق أهدافي) أولَ مجموعة أعمال له تحصل على الشهادة البلاتينية[30]، وأصبح الطريق ممهدًا لـ (دراماسايدل) لتصعد إلى سماء النجومية بوصفها شركة راب جديدة تابعة لباك.

وكانت الأمور تسير على ما يُرام، والحياة جيدة، بل ربما كانت جيدة جدًّا؛ تصل إلى حد الخيال، ولكن الرياح أتت بما لا تشتهي السفن، وأدت سلسلة من الأحداث غير المتوقعة إلى قلب حياة باك رأسًا على عقب؛ ما جعل الشك يساوره في ذلك العالم الذي قضى الكثيرَ من السنوات يحاول أن يصوغَه بعناية، وكان مخلصًا، لكن كان عليه أن يشك في تحالفاته، وكان بطلًا لشعبه، ولكن كان عليه أن يتعامل مع احتمال المعاناة على أيديهم، وفي 30 نوفمبر، تغير مسار الحياة تغيرًا جذريًّا لباك و(دراماسايدل)؛ وذلك حين تلقى مطاع مكالمة مخيفة؛ تخبره أن توباك أُطلق عليه خمس رصاصات خارجَ أستوديو تسجيل في مانهاتن، وأنه لا بد من إدخاله إلى مستشفى بلفيو في حالة حرجة.

الفصل السادس
لا سلام، الاستعداد للحرب

«اخرج من الساحل الشرقي، وادخل الساحل الغربي»

مطاع بيل

كان شهر نوفمبر إيذانًا ببدء فصل الشتاء، وكان يومًا باردًا في مدينة نيويورك.

وكان توباك في مانهاتن ينتظر حكم هيئة المحلفين في قضية اعتداء جنسي ضده حظيت بتغطية إعلامية كبيرة[31]؛ وذلك أن أيانا جونسون، امرأة أمريكية من أصل إفريقي تعرف إليها توباك من خلال أحد المعارف المشتركين، فاتهمته هو وأصدقاءَه باغتصابها في 18 نوفمبر في جناحه بالفندق[32]، وبعد الحادثة المزعومة، سارعت بالخروج من الفندق، وفي طريقها للخروج أبلغت ضباط الأمن الذين كانوا في الردهة، وفي الحال، اتصل الحراس برجال الشرطة الذين وصلوا، واعتقلوا توباك ورفاقه، ووُجِّهَت لهم تُهَم الاعتداء الجنسي، واللِّوَاط، وحيازة أسلحة غير مرخصة، وفي الأيام التي أعقبت الحادثة، مكث توباك في نيويورك ينتظر سماع الخبر الوشيك الذي سيقرر مصيرَه، وبحلول ظهر يوم 29 نوفمبر لم تكن المداولات قد انتهت، فاضطُرَّ إلى الانتظار إلى اليوم التالي، وحافظ توباك على براءته طوال المحاكمة، ولم يسمح للاتهامات الكاذبة أن تُخرج الإحساس بالحياة الطبيعية في حياته عن مساره؛ لذلك حاول مواصلة شؤون أعماله اليومية في الوقت الذي كان يتوقع فيه قرار هيئة المحلفين؛ ولأن توباك في نيويورك، انتهز فرصة التعاون مع مُغنِّي الراب في الساحل الشرقي، ورُتِّبَت له الأمورُ للعمل على أغنية مع ليتل شون، الذي سيصبح مغني الراب الصاعد بشركة (أبتاون) وكان من المقرر أن يجري التسجيل في كواد ستوديوز ريكوردينج[33]، الواقعة في قلب تايمز سكوير، وفي ساعات الصباح الأولى، شق توباك طريقه إلى كواد ستوديوز، وبينما كان يدخل بهو المبنى، نصب له ثلاثة رجال كمينًا، ودنَوْا منه، وطالبوه بتسليم ما معه من المال.

ففوجئ توباك بالأمر تمامًا، ورفض تسليم أي شيء، وعندها بدأ الرجال بالاعتداء عليه، وفعل توباك كل ما في وسعه لمواجهة المهاجمين، ولكنهم تغلبوا عليه، وسرقوا منه جواهر قيمتها عشرات الآلاف من الدولارات، وفي أثناء المشاجرة، أطلقوا عليه خمس رصاصات: «اثنتين في الرأس، واثنتين في الفخذ، وواحدة في إحدى يديه»[34].

لم نصدق ما سمعناه للتو على الهاتف، فقد كنا جميعًا نائمين في منزل باك في أتلانتا، في انتظار أن نسمع منه حول ما حدث في المحاكمة؛ حتى نتمكن من معرفة كيف كنا سنمضي قُدُمًا في صفقة التسجيل، ولم تكن الأمور تبدو جيدة بالنسبة إليه، وكان من المؤكد تقريبًا أنه سيُضطر إلى قضاء عقوبة السجن لبعض الوقت، ولكن في النهاية لا نعرف؛ لذلك كنا ننتظر المكالمة، وفي منتصف الليل رن هاتف المنزل، فردّت شقيقته سيكيوا، وبعدها بقليل ركضَت لتوقظنا، وكانت تبكي بكاء هيستيريًّا، وتصرخ: «أُصيب باك! أُصيب باك!»، فقلتُ: ماذا؟!! كنا بين اليقظة والنوم، لكنا أفقنا تمامًا لما سمعنا الأخبار، وحاولنا تهدئتها، ولكن لم نكن نعرف ماذا نفعل: أصيب باك؟ ودار الكثير من الأسئلة في رأسي: من الفاعل؟! وأين؟! ولماذا؟! أول ما قلناه: إن علينا أن نشحن السيارة بالأسلحة، ونتوجه إلى نيويورك الآن، ألا يعلم من يجرؤ على التعرض له أنه سيواجه جيشًا كاملًا؟! شعرتُ بأشياء كثيرة، وأنا متأكد من أننا جميعًا شعرنا بأشياء كثيرة في تلك الليلة: صدمة، وحزن، وارتباك، فمن الذي فعل هذا؟! ليس لدى باك أي عداوات حقيقية تصل إلى هذا الحد، وكان أول شيء أريد فعله أن أذهب لذلك الفاعل أيًّا كان، وأنتقم منه، وتوجهنا جميعًا إليه، ودعونا أن يبقى على قيد الحياة.

أُدخل توباك إلى وحدة العناية المركزة في مستشفى بلفيو؛ لإجراء جراحة طارئة[35]، فقد كان ينزف بغزارة، وكان عامل الوقت حاسمًا، وعمل الأطباء بسرعة على علاج وعاء دموي تعرض لأضرار خطيرة[36]، وبعد بضع ساعات نجحت الجراحة، ومع ذلك، خرج توباك من المستشفى في اليوم التالي متأثرًا بالحنق الشديد على أعدائه، ومخالفًا لتوصيات الجراحين، فقد قرر ألَّا يصبح غنيمةً سهلة لأي شخص بعد الآن، وكان في أشد الحاجة إلى ملاذ يضمد فيه جروحه؛ مكان ما منعزل، ولكنه لا يستطيع فعل ذلك مع أي شخص؛ بل يجب أن يكون شخصًا يمكنه الوثوق به؛ فقد حاول الناس قتله للتو، ولم يفكر إلَّا في جاسمين غاي؛ الصديقة المقربة التي قابلها في موقع تصوير برنامج *A Different World* (عالم مختلف)، الذي حل عليه ضيفًا منذ عام مضى[37]، فقرر البقاء في منزلها حتى يتعافى[38]، ومع تحسن وضعه تحسنًا طفيفًا، استجمع قواه للاتصال بأصدقائه المقربين، وعائلته؛ لإعلامهم أنه بخير، وكان من الأهمية بمكان أن يتحدث إلى تلميذه الشاب.

وبعد تلقي تلك المكالمة المفزعة في الصباح الباكر، كان سكان منزل باك يقفون بالفعل على حافة الهاوية، ينتظرون في قلقٍ سماعَ أي أخبار عن حالته، وفي وقت لاحق بعد الظهر، رن جرس الهاتف، وكان المتحدث باك، فقد تحدث في البداية إلى أخته، ثم طلب التحدث إلى كل فرد في المنزل، بدءًا بيافيو، ثم كي - دوغ، ثم بيغ مالك، وأجروا جميعًا معه محادثات قصيرة جدًّا؛ فقد كان يمكنهم سماع الألم في صوته؛ فلم يريدوا أن يُتعبوه بطول الكلام، وكان مطاع يرى القلقَ في وجوه الجميع وهم يتحدثون إليه، وقد استمر باك في طمأنتهم أنه بخير، وأنه سيعود إلى المنزل قريبًا، وبعد مرور الهاتف على الجميع، جاء دور مطاع، فقالت له سيكيوا: إن باك يريد التحدث معك.

قال باك: «كيف الحال يا مطاع؟»، كان صوته خشنًا ومنخفضًا، فضغط مطاع الهاتف بقوة أكبر على أذنه محاولًا سماعه: «كيف حالك... يا مطاع؟».

«نعم، باك. باك. أنت...».

قال باك بصوت عالٍ بما يكفي لسماعه: «هدئ من روعك يا مطاع».

- «أهدئ من روعي؟! لقد أطلقوا النار عليك يا رجل! علينا أن ننتقم...».

- «ماذا تقولُ يا مطاع؟! هدئ من روعك».

- «ماذا تقصدُ يا باك؟ أعتقد أن هذا جنون! لقد أطلقوا عليك النار! نحن على وشك أن...».

- «أتظن أني سأسمح لهم أن يُبعدوني عنك... بهذه السهولة؟».

ظل مطاعٌ صامتًا في حيرة من كلام باك.

عندما قال لي باك ذلك، لا أستطيع أن أخبرك بما شعرتُ به، فلم أكن أتوقع منه أن يقول شيئًا من هذا القبيل... وهو في هذه الحالة، التي كان فيها في أضعف حال، ربما أقرب ما يكون الشخص إلى الموت، وكان واضحًا أنه يعاني من ألم شديد، ويمكنك سماع ذلك في صوته، ومع ذلك، تحامل على نفسه ليخبرني أنه شجاعٌ... وأنه لن يسمح لأي شخص بأخذه مني، ولو سألني أي شخص عن مدى علاقتي به؟ فعليَّ أن أفكِّرَ في تلك اللحظة، وكان هذا أصدقَ شيءٍ قاله لي على الإطلاق، وإذا لم يكن هذا هو الحب، فلا أدري ما هو.

في اليوم التالي، في الأول من ديسمبر، اجتمعت هيئة المحلفين مجددًا للتوصل إلى حكم في القضية المعلقة المتهم فيها توباك بالاعتداء الجنسي، وعلى الرغم من الأحداث التي وقعت للتو في اليوم السابق، كان توباك حاضرًا في المحاكمة لسماع الحكم ضده[39]؛ نظرًا لأنه كان لا يزال يتعافى من إصابات طلق ناري حديثة، كان لا بد من نقله إلى قاعة المحكمة على كرسي متحرك، مُضمَّدًا، واهنَ القوى، وقد بُرِّئَ من تهمتَيْ حيازة الأسلحة غير المرخصة وممارسة اللواط، وأُدين بتهمة ارتكاب جناية الاعتداء الجنسي[40]؛ لذلك سيحكمون عليه بالعقوبة الفعلية بعد بضعة أسابيع؛ ما يعني أنه لا يستطيع مغادرة نيويورك.

واتصل باك بالمنزل ليخبرهم أنه بخير، ولكن كان عليه أن يظل مختبئًا؛ فما زال لا يعرف من الذي يترصده بالخارج، وقرر مطاع وأعضاء (دراماسايدل) أن يسافروا جميعًا إلى نيويورك؛ لزيارته في منزل جاسمين غاي.

وعندما وصلوا، كان من المحبط لهم أن يسمعوا عن الحكم الذي صدر ضده، ويعلموا أن باك سيُسجن، لكن ما خفف عنهم أنه ما زال حيًّا يُرزق، وكان من الصعب على مطاع أن يرى باك

مستلقيًا على الأريكة ملفوفًا بالضمادات البيضاء الملطخة بالدماء حول رأسه، ويده، وجذعه، ولكنه ظل يُطمئن مطاعًا، كما فعل مع الجميع، بأنه بخيرٍ، وأنه سيكون على ما يُرام، ولا شك أن ما حدث حدث لحكمة يعلمها الله، وخلال وقت التعافي الحرج هذا، كان باك كلما استعاد المزيد من القوة، بدأ في محاولة ربط النقاط المهمة فيما حدث للتو: من الذين أطلقوا النار عليه؟ ولماذا يحاولون قتله؟ ومن كان متورطًا معهم؟

فاكتشف باك أنه خلال ليلة إطلاق النار كان النجم الصاعد بيغي سمولز ومديره، شون (بافي) كومبس، أيضًا في الأستوديو، وكان كريستوفر والاس، الملقب بيغي سمولز، أحد أشهر مغني الراب الصاعدين في مجال موسيقا الراب في ذلك الوقت، وكان بيغي من أهل بروكلين، ولم يكن لديه طريقة إلقاء فريدة، وصوت «فخيم، وهامس، (و) نديٌّ»[41] فحسب، بل كان لديه أيضًا نظم غنائي (بارع) ينم عن عبقريته الشعرية[42]. وقد صدر ألبومه الذي بيع منه عدة ملايين نسخة[43] *Ready to Die* (مستعد للموت)، قبل شهرين فقط من إصابة توباك، ومع إصدارات شهيرة مثل (*Juicy*)، و(*Big Poppa*)، و(*One More Chance*)، رسخ الألبوم أقدام بيغي على الساحة؛ ما جعله أحد أفضل مغني الراب في نيويورك، وقد كان كلٌّ من توباك وبيغي (جنبًا إلى جنب مع مغني الراب البارزين الآخرين في ذلك الوقت مثل آيس كيوب، وسنوب دوغ، ودكتور دري، وناز، وموب ديب، وجاي - زي) إيذانًا ببدء (العصر الذهبي) لراب العصابات؛ عصر العبقرية الغنائية الاستثنائية والإبداع الشعري لأعظم مغني الراب على الإطلاق.

وبحلول وقت إطلاق النار، كان بيغي وتوباك يعرف كلٌّ منهما الآخر معرفةً جيدة، بعد أن التقيا سابقًا في حفلة في لوس أنجلوس[44]، وقد التقيا عدة مرات أخرى بعد ذلك، وفي كل مرة التقيا، ساد بينهما جوٌّ ودي، أخويٌّ، غالبًا ما كان يتضمن مشاركة توباك لبعض الخبرات التي اكتسبها من مجال صناعة الموسيقا، وقد أعرب نظيره في الساحل الشرقي عن تقديره للنصيحة، وبدا أن علاقتهما ستتوطد؛ لأن النجمَيْن الصاعدَيْن في هذا المجال كانا يلتقيان في كثير من الأحيان، ومع ذلك، في ليلة 30 نوفمبر، بعدَ أن أُطلق على توباك خمس رصاصات في كواد ستوديوز، تغيرت علاقتهما إلى الأبد.

وفي تلك الليلة في كواد ستوديوز، السبب الوحيد الذي جعل توباك يعرف أن بيغي كان في الطابق العلوي من المبنى هو أن ابن عم بيغي؛ ليتل سيس، من فرقة جونيور مافيا، صاح من النافذة محييًا إياه[45]، فقال توباك: إنه شعر بالارتياح بعد أن علم أن ليتل سيس، وبيغي، وباد بوي ريكوردس، كانوا في الطابق العلوي؛ لأنه كان يعرفهم[46]، ولكن ما أثار دهشة توباك أنه عندما وقع إطلاق النار، لم يتلقَّ أي رد فعل من بيغي ورفاقه؛ فلم يتلقَّ منهم تحذيرًا مسبقًا، ولا هم هبوا لنجدته، ولا اتصلوا بالشرطة، ولم يفعلوا أيَّ شيء، وبعد أن غادر المستشفى، وبدأت تتضح له الأمور، لم يكن أمام توباك سوى البدء في الشعور بالتناقض تجاه بيغي وطاقمه، فكيف يمكن لبيغي أن يكون صديقه المقرب ولا يهب لنجدته؟ كلما فكر توباك في الأمر أكثر، تحولت مشاعر التناقض هذه على نحو

أسرع إلى مشاعر التعرض للخيانة العميقة، فكيف يمكن لبيغي (ملك نيويورك) أن يسمح بحدوث هذا على مرأى ومسمع منه؟ وكيف لا يعرف ما كان يحدث أمام عينيه في تلك الليلة؟ ألم يتعاملوا مع الأمر ببرود؟ لم يكن الأمر منطقيًّا، وهل نُصِبَ له كمين لقتله؟ منذ ليلة إطلاق النار، بدأ توباك يبدي ازدراءً هائلًا لبيغي سمولز، وأوضح تدريجيًّا للعالم، من خلال الأغاني والمقابلات، أنه يعتقد أن بيغي هو من دبَّرَ لقتله.

وفي هذا الوقت، بدأتُ أرى تغييرًا في باك، فلقد كان أكثرَ توترًا، ولا يثق بأحد، وأتذكر عندما غادر منزل جاسمين غاي، كان يقيم في فندق مختلف عن ذلك الذي كان يقيم فيه عادة، وبعد أن غادر منزلها، عدتُ إلى نيوجيرسي، وكنتُ أسافر ذهابًا وإيابًا إلى نيويورك؛ حتى أتمكن من رؤية باك، في حين كان ينتظر جلسة النطق بالحكم، ولقد طلبتُ من (سي) أن يوصلني مرة، واضطُرِرتُ إلى النزول في مكان بعيد جدًّا؛ لأن باك لا يريد أن يعرف أحدٌ مكان إقامته، ودخلتُ الفندق، وصعدت إلى غرفة باك، وقرعتُ الجرس، وفتح باك الباب، على هيئة تشبه هيئة توني مونتانا ممسكًا في يده بمسدس معبأ بالذخيرة، فقلت: كيف الحال؟ وعندما رأيتُه يحمل المسدس، قلتُ شيئًا، مثل: على رسلك يا رجل، إنه أنا، وسألتُه عن الرفاق كي - دوغ، ومالك، ويافيو، فقال: إنهم خرجوا للغداء، ويمكنك أن ترى الشرر يتطاير من عينيه، وتكاد تسمع طبول الحرب تُقرع في رأسه، ولم يكن يلعب، بل كان في وضع الاستعداد للحرب في كل لحظة؛ فقد حاولوا قتله.

وعلى الرغم من أن شكوك باك كانت تتزايد، لم يكن قادرًا على استخلاص أي استنتاجات قبل بدء عقوبة السجن بعدَ بضعة أشهر في فبراير في منشأة كلينتون الإصلاحية[47]؛ وسيُضطر إلى الانتظار حتى يخرج لتنفيذ أي خطوة انتقامية لمحاولة اغتياله، والآن كان عليه أن يركز انتباهه وطاقته على (دراماسايدل)؛ لأنهم كانوا على وشك توقيع عقد تسجيل مع إنترسكوب، وعلى الرغم من كل هذه الأحداث، كان على مطاع ويافيو وكي - دوغ وبيغ مالك تحديد الأولويات والتركيز من أجل اقتناص فرصة رائعة ستُتاح لهم قريبًا.

رآنا باك قبلَ ذهابه إلى السجن مباشرةً، وأكد لنا أنه سيكون على ما يرام، وطلب منا أن نرتب لجميع الأمور، ولقد كان الأمر مربكًا بعض الشيء بالنسبة إلي؛ لأنني كنتُ أحاول معرفة كيف سنُنجز تسجيلنا وباك في طريقه إلى السجن، وكان لدينا جميعًا الموهبة، لكنه كان الشخص الذي قادنا إلى هذه الفرصة، وكنا شبانًا جامحين، فمن الذي سيُوجهنا؟ كان علينا أن نتعلمَ كل ما يتعلق بالأمر بسرعة دونَه، ولكن اهتمامنا الرئيس كان أن نجعل باك، مع جميع الأشياء التي تحدثُ في حياته، فخورًا بأنه وضع أقدامنا على هذا الطريق، وفي الوقت الذي تخلى فيه عنه كثير من الأشخاص، أو انقلبوا عليه، أو ظهروا على حقيقتهم، كان علينا أن نُظهرَ له أننا كنا وسنظل أصدقاءه الأوفياء، وبطريقةٍ ما وصلتنا الأخبارُ الرسمية - لا أتذكر كيف بالضبط - أن إنترسكوب ستُوَقِّعُ معنا، ولقد فعلها باك! لقد وفى بوعده، وكان هذا ديدنه دائمًا، وهذا ما أحببته فيه؛ رجل عند كلمته حقًّا؛ لذلك أصبح الأمر رسميًّا، وحصلنا على صفقة مع إنترسكوب، وسوف يرتبون لسفرنا إلى لوس أنجلوس

في غضون أسابيع قليلة، وقد ذكَّرنا أنه عندما نذهب إلى هناك علينا أن نتأكد من بقائنا بالقرب من بيغ سايك، وشقيقه موبريم؛ لأنهما سوف يعتنيان بشؤوننا، وطلب منا أن نتحلى بالجَلَد والحَذَر؛ لأن قواعد اللعبة قد تغيرت، وصار الأصدقاء أعداءً الآن، ولم يعد بإمكاننا الوثوق بمن كنا نظنه محلًّا للثقة؛ لذلك علينا أن نُبقي أعيننا مفتوحة دائمًا.

وبعد التوقيع مع إنترسكوب، أصبح مطاع يقترب من منعطف كبير في رحلة حياته، ودخل باك السجن في فبراير، ولكن بحلول شهر مارس، أُصدر ألبومه الثالث *Me Against the World* (أنا في مواجهة العالم)؛ ليشيد به النُّقّاد على الفور، ويصبح باك أولَ فنان على الإطلاق يصل ألبومه إلى المركز الأول في جوائز بيلبورد في أثناء وجوده في السجن[48]، ولكن هذا لم يكن هو السبب الرئيس للاحتفال بالنسبة إلى مطاع، بل كان ما جعل إطلاق ألبوم (أنا في مواجهة العالم) شديدَ الأهمية، هو أن مطاعًا وفرقة (دراماسايدل) ظهروا أخيرًا في أحد الألبومات، وهو ما يُؤذن بإطلاق باك الرسمي لأسوده الصغار في الساحة الموسيقية، وقد كان هذا كل ما يتمناه مطاع، ويحلم به.

لقد ساءتنا أخبار باك، لكن عندما عرفنا بأمر الصفقة، رفع ذلك من روحنا المعنوية قليلًا، ولقد نجحنا يا رجل، لقد فعلناها! وكنا نشعر جميعًا أن مسيرتنا قد بدأت! وكنا أنا وينغ هوليوود وبيغ مالك وكي - دوغ في قمة السعادة، وأصبح الآن كل شيء مهيئًا لي، وسأخرج من الحي كما فعلَت الملكة لطيفة، وسأشتري للجدة منزلًا كما وعدتُها، وآمل أن أجعلها أخيرًا فخورة بي؛ لأنني نجحتُ في تحقيق ما كنتُ أسعى إليه، وتمنيتُ لو أن والديَّ يمكنهما رؤيتي الآن، وسأرتدي فاخر الثياب كما كانا يفعلان، وسأعتني بنفسي، وبالناس، وأصبح غنيًّا، ولن أحتاج إلى تجارة المخدرات، بل تمنيتُ أن أرجع إلى تلك المديرة، وأخبرها أني ربما كنت سيئًا، ولكن انظري إلى حالي الآن؛ لتعرفي أني لم أكن على هذا القدر من السوء كما ظننتِ، وكانت السعادة تغمرنا، وكنا في حالة من الحماسة والجنون، فلقد حققنا الشهرةَ، وحصلنا على المال، وزرنا باك مرات عدة في السجن، وكان في غاية السعادة بما حققناه، وقال: ألم أقل لكم: إن هذا الأمر سيحدث، وقد كان، وظل يخبرنا أن ننتظر حتى يخرج ليأخذ الأمور إلى مستوى آخر تمامًا.

ولم تعد طموحات (دراماسايدل) صغيرةً؛ بل فتح لهم التوقيع مع إنترسكوب باب الطموحات الكبرى، ولن يستقلوا سيارات الأجرة بعد الآن للوصول إلى أستوديوهات التسجيل، بل سيارات الليموزين بسائق خاص، ولن يركبوا في الدرجة الاقتصادية في الطائرة بعد الآن، بل سيركبون في درجة رجال الأعمال أو الدرجة الأولى، ولا مزيد من الأكل في المطاعم الشعبية الرخيصة، بل في الفنادق أو المطاعم الفاخرة، وهذا هو ما كان يعنيه تحقيق النجاح، وبعد التوقيع الرسمي بفترة وجيزة، نقلتهم إنترسكوب إلى لوس أنجلوس؛ لبدء تسجيل ألبومهم الأول، وعند وصولهم إلى المطار، أخذ موظفون تابعون لإنترسكوب أمتعتهم، وسجلوا وصولهم، وعند البوابة، استقلوا الطائرة قبلَ أي شخص آخر، وفور وصولهم إلى مطار لوس أنجلوس وتسلُّم حقائبهم كان في انتظارهم خارج المطار موظفون آخرون تابعون لإنترسكوب، وكان مطاع شغوفًا، يحاول معرفة كل ما كان

يحدث من حوله، وكان الأمر جديدًا بالنسبة إليه، وبدا رائعًا، وأشعره بأهميته، لكنه كان - في الوقت نفسه - غريبًا وغيرَ مألوف.

أَصدقُك القولَ، كانت التجربة بأكملها في البداية شديدةَ الاختلاف، فكما تعلم، أنا من إيرفينغتون، حيث ترى زجاجات الكراك والإبر ملقاةً على الأرض، وحيث يُطلق الرصاص على الناس يوميًّا، فنحن من الحي؛ لذلك لم نعتد على أن يحمل الناس حقائبنا، أو نركب الطائرات قبل أي شخص آخر، خاصة أن هذا حدث بين عشية وضحاها، ولكن أعتقد أنه كان عليَّ أن أتعلم بسرعة أن هذه كانت حياة النجومية، وأصبح كل شيء سهلًا، وكان الأمر سيستغرق بعض الوقت حتى أعتاد عليه تمامًا، ولكن كانت الأمور على ما يُرام، وكما يقولون: يمكنك إخراج رجل من الحي، لكن لا يمكنك إخراج الحي من الرجل، وهذا يصدق عليَّ حتى يومنا هذا.

وصل مطاع إلى فندق يونيفرسال ستوديوز، حيث كانت إنترسكوب قد رتبت لإقامتهم، ولم يستطع تصديق ما بدت عليه أراضي الفندق من أصالة وجمال؛ فقد كانت تتخللها في كل مكان أشجارُ نخيل طويلة وكثيفة، وما من منطقة مروا بها بالسيارة إلا وتكسوها المروج الخضراء المهذبة حديثًا على جانبي الطريق، وجميع الميادين تزدان بنوافير المياه، وسمع أنواعًا مختلفة من الطيور الغريبة تزقزق بصوت عالٍ، فذكَّرَته هذه الأجواء مباشرةً بمونتكلير، حيث عاش يافيو وياسمين: ليت شعري، أين أنا؟! هذا مذهلٌ. لوس أنجلوس مثالية! لقد وقع على الفور في حب لوس أنجلوس وجمالياتها الجذابة، وتصوَّر لنفسه منزلًا هناك يومًا ما في المستقبل، ويجب أن يكونَ لي بيتٌ هنا بالتأكيد.

وبعد أن استقرت فرقة (دراماسايدل)، التقت ممثل إنترسكوب الذي سيدير جلسات التسجيل في الوادي، وتصوير الفيديو في وسط المدينة، وكان دائمًا يرتدي ملابس أنيقةً مخططة؛ بذلة رمادية داكنة من ثلاث قطع، وقد رُتِّبَ لكل شيء فعلوه باحترافية ووفقًا لأصول العمل، وهو ما أثار إعجاب مطاع، ولكنه كان لا يزال غريبًا جدًّا بالنسبة إليه؛ فقد كان من إيرفينغتون، ولقد حيكت الشوارع في قلبه وروحه، كما حيك شعار الرجل الذي يمتطي صهوة الجواد على قمصان البولو؛ فلو أنك أردت أن تزيل الشعار، فحينئذٍ سيختفي جزء كبير من هوية القميص، وعندها تذكر نصيحة باك بشأن بيغ سايك، وكان بيغ سايك، عضوُ عصابة الشوارع (آي في سي)، هو بالضبط ما يحتاج إليه مطاع ليجعلَ لهذا العالم الجديد معنى؛ فقد كان في حاجة إلى شخصٍ ما لربط هذا الواقع الجديد بالواقع الذي لم يكن يعرف سواه.

وتأكد باك قبل ذهابه إلى السجن أن هناك من يعتني بمطاع و(دراماسايدل)، ليس فقط إنترسكوب، ولكن الأهم من ذلك بيغ سايك وموبريم، وكانت إنترسكوب شركة، وكان بيغ سايك وموبريم من الحي، وكانت (دراماسايدل) في حاجة إلى عدد قليل من الأشخاص على الأقل يمكنهم أن يربطوا بين هذين العالمين بنجاح، وكان بيغ سايك واحدًا من القلائل الذين يمكنهم فعل ذلك.

وكان تيروس هايمز، المعروف أيضًا باسم بيغ سايك، عضوًا في عصابة الشوارع *Imperial Village Crips (IVCs)*، والتقى باك في عام 1991م[49]، وسرعانَ ما أصبحا صديقين مقربين، وشجَّعَ حبُّهما المتبادَلُ لموسيقا الراب باك على تشكيل مجموعة الراب (ثغ لايف) بعد ذلك بوقت قصير، وتألفت المجموعة من موبريم، وبيغ سايك، وريتد - آر، وماكادوشيس، وحققوا بعض النجاح مع إصدار ألبومهم الأول (*Thug Life: Volume 1*)، الذي صدر قبل أشهر من إطلاق النار على باك في نيويورك. وقد اكتسبوا بعضَ الخبرات التجارية لإنتاج تسجيلات الراب، وستكونُ هذه تجربةً لا تُقدَّرُ بثمن لـ (دراماسايدل) وفي الشارع كان بيغ سايك رجلَ عصابات محترمًا ومحنكًا من عصابة آي في سي؛ لذلك بحلول الوقت الذي قابله فيه مطاع بوصف الأخير مغني راب من نيوجيرسي يتلمس خطواته الأولى، كان سايك في وضع يؤهله لمساعدته على التكيف مع الحياة بوصفه مغني راب، وإبقائه على دراية جيدة بسياسة ثقافة العصابات في لوس أنجلوس.

وكان بيغ سايك نعمَ الصديق، وقد اعتاد هو، وريتد - آر، وموبريم، وماكادوشيس، على القدوم دائمًا للاطمئنان علينا في أستوديوهات التسجيل، وكان ريتد - آر وماكادوشيس دائمًا برفقة من 10 إلى 15 شخصًا، جميعهم مسلحون، وجميعهم من أفراد عصابة (كريبس)، ويرتدون ألوانهم الزرقاء، ولم نكن نعرف الكثير عن عصابة (كريبس) في الساحل الشرقي، ولا عن عصابة (بلدز)؛ لذلك كان عليَّ أن أتعلم الكثير عن ثقافة العصابات، وكانوا يقولون أشياء لا أفهمُها، ويُشيرون بإيماءاتٍ لا أعرفها، وكان بيغ سايك دائمًا يفسر لي ما أشكل عليَّ، وكنت مفتونًا؛ لأن تلك الأمور المتعلقة بالعصابات ذكرتني بأكملها بايرفينغتون، وحين كانوا يأتون إلى الأستوديو كنت أحب أجواء الشارع التي يرسمونها؛ لأنها الأجواء التي أعرفها، وأعلم أن الأمر يبدو غريبًا نوعًا ما، لكنني كنتُ أشعر براحة أكبر عندما يكونون حولي بأسلحتهم، أكثر مما كنتُ أشعر به في الفندق ذي الأبواب، المزود بحراس الأمن وكاميرات المراقبة في كل مكان، ولقد كان الأمر يتعلق بالعنف، وكونك دائما مستعدًّا لأي شيء قد يحدثُ، وكنْتُ أتوقُ إلى تلك المشاعر أيًّا كان المكانُ الذي ذهبتُ إليه، وبالنظر إلى الماضي، أعتقد أن ذلك يوضح لك كيف أن نشأتي في إيرفينغتون كانت تسري في عروقي، ومن المضحك أني في ذلك الوقت - على الرغم من أني كنتُ صغيرًا ومجنونًا - أدركتُ أنه مع إبرام صفقة التسجيل، كان عليَّ أن أتعلم التنقل بين كلا العالمين: أن أحصل على أموال الشركة، لكن في نهاية اليوم، أبقى طبيعيًّا، وأحيا حياة الحي.

وكان أعضاء (دراماسايدل) يعيشون في لوس أنجلوس، لكنهم نأَوْا بأنفسهم عن المشكلات، وحفاظًا على صورة الشركة، كانت إنترسكوب تفرض دائمًا قيودًا صارمة على تحركاتهم؛ لذلك لم يكن هناك الكثير من المشكلات التي قد يتعرضون للدخول فيها؛ فقد كان نظامهم الذهاب إلى الوادي للتسجيل، ثم العودة إلى الفندق، ولكن على الرغم من ذلك، كان مطاعٌ دائمًا ما يجد طريقة للعثور على المشكلات، وكان هو العضو (الجامح) من بين الأعضاء الآخرين، وكان أحيانًا يفعل كل ما في وسعه للعثور على المشكلات، وعلى الرغم من أن هذه كانت أوقاتًا سعيدة في حياة مطاع، فهو

يسجل ألبومًا مع أصدقائه، ويكتب أغاني الراب التي أحب كتابتها، ويستعد لحجز مقعده في عالم الفخامة، كانت الأوقات في إنترسكوب قصيرةَ العمر، وفي أثناء زيارتهم المتكررة لباك في السجن، كان من الواضح أن هناك تحولًا كبيرًا قيد التنفيذ، ففي البداية عندما ذهب باك إلى السجن، أخبر مطاعًا أنه شعر بالندم؛ لأنه جعل نفسه في وضعٍ جلب فيه على نفسه الكثير من المشكلات القانونية، وأنه بمجرد خروجه من السجن سيفتح صفحةً جديدةً، وليس هذا من أجل إنترسكوب؛ بل من أجل مصلحته الشخصية، وكان مصممًا على الابتعاد عن المتاعب والبقاء أكثرَ إيجابيةً، والمشكلة الوحيدة أن أعداءه لم يتركوه ليفعل ذلك، وفي أثناء وجوده في السجن، وصلَت إلى باك أخبار بأن كثيرًا من فناني الراب يشيرون إليه من طرف خفي في أغانيهم على نحو متكرر؛ ولكونه مسجونًا، لم يكن في وضع يسمح له بالرد عليهم، ولكن ما لم يكونوا يعرفونه أنهم يستثيرون أسدًا نائمًا، وقال لمطاع في مناسبات عدة: إنه لم يكن لديه أي عداء حقيقي تجاه أي شخص في صناعة الراب، لكن أن يُنال منه بهذه الطريقة، في موقف لا يستطيع فيه الدفاع عن نفسه، فهذا غير مقبول، وكان هذا بالنسبة إلى باك إعلانَ حرب.

الفصل السابع
الدخول في فرقة (الأوتلو)

«لا أحدَ يهدمُ ما نبنيه»

توباك شاكور

في الوقت الذي كان محامو باك يحاولون فيه الاستئناف على قرار قضيته، تقرر الإفراج عنه بكفالة بمبلغ فلكي قدره 3 ملايين دولار، وقال تشارلز أوغليتري، محامي دفاع بارز في القضية في ذلك الوقت، وهو الآن أستاذ القانون بكرسي جيسي كليمينكو بجامعة هارفارد[50]: إن مبلغ الكفالة الذي حُدِّدَ كان «غير إنساني» وإن «القضية برمتها كانت تفوحُ منها رائحةٌ غير لائقة»[51]، حتى إن الحكم كان «خارج نطاق الإدانة»[52]، وكان ما حدث واضحًا؛ فقد أرادوا أن يجعلوا باك عبرةً لمن يعتبرُ، وأن يعاقبوه على تمجيده لشخصية البلطجي، وكتبت كوني بروك: «هذا أمرٌ واضح... لقد عُوقب توباك بسبب هويته في المقام الأول - رجل العصابات المؤثر، ومغني الراب صاحب الخلفية السياسية - لا بسبب ما فعله»، وقد عدَّ أوغليتري إشارةَ المدعي العام المتكررة إلى توباك على أنه (بلطجي) في أثناء المحاكمة على أنها «شديدة الضرر... وأن هذا الأمر وحدَه يُبَرِّرُ إجراء محاكمة جديدة»[53]، وقد أكَّدت عقوبةُ باك غيرُ المتناسبة إلى حدٍّ غير معقول ما كان يردده باك في جميع أغانيه، فقد كان النظام يُدارُ دائمًا بما يجعله يُنتهَكُ دائمًا مع السود، ومع ذلك، ظن باك المتفائل أن إنترسكوب ريكوردس ستدفع الكفالة له؛ نظرًا لأنه كان أحد النجوم الصاعدة في الشركة، ولكن يومًا بعد يوم بدا جليًّا أنهم لا يفكرون في دفع الكفالة في ذلك الوقت؛ إما لأنهم لا يستطيعون... أو لا يريدون[54].

وبعد معاناة كبيرة في هذا المستنقع القانوني فاض به الكيل، فقد كان مخلصًا للأشخاص الذين ظن أنه يمكنه الوثوقُ بهم، لكنهم تخلَّوْا عنه في نهاية المطاف، وفي أثناء وجود توباك في السجن، تعرض للإهانة، وهُدِّدَ بالقتل مرارًا وتكرارًا، ليس فقط من النزلاء بل من حراس السجن أيضًا[55]، وفي النظام القضائي، كان الحكم قد جُهِّزَ قبل أن تطأ قدم باك المحكمة؛ وكان من الواضح أن الحكم قد صدر ضده بأنه (بلطجي) في محكمة الرأي العام، وأنه سينال أقصى عقوبة بسبب ذلك، وأمامَ هذه الصعاب، سيكون من الصعب جدًّا على أي إنسان أن يمر بمثل هذه الظروف، ويخرج منها سالمًا، وكان الأمر أصعب على باك؛ ففي ذروة الشهرة والثروة، سلبته الحياةُ كلَّ شيء: حريته، وسمعته، وكسبه، بل كرامته، وفي أحلك الساعات التي مر بها حتى ذلك الوقت، فإن إنترسكوب - الملاذ الوحيد الذي يُمكنه أن يمنحَه بعضَ الأمل - تركته يقبع في سجن شديد الحراسة، وهكذا سارت

الأمور، وفي النهاية دُفع باك إلى حافة الهاوية، وكان التحوُّل على وشك الانتهاء، ولم يُرِدْ باك أن يتغيَّرَ إلى الأسوأ، لكن بعدَ كل ما مر به، لم يكن لديه خيار آخر.

وفي إحدى المرات توجهنا جميعًا لرؤية باك، وكان ثائرًا جدًّا، وشديد الغضب، وكان يقول أشياء من قبيل: كيف يستمر هؤلاء الأشخاص في محاولة التحدث عنه؟ لا يمكن الوثوق بأحد في هذه اللعبة! النظام لا يعنيه أمر السود على الإطلاق! وأقسم إنه لن ينسى أبدًا كل من تعرض له فورَ خروجه، وقال: انسوا اسم توباك، فسألته: لماذا؟ قال: لقد مات هذا الشخص يا مطاع، لقد أرادوا موته؛ وقد مات، ولكنهم جعلوه الآن شخصًا لم يخطر لهم على بالٍ قطُّ! لقد قرأ كثيرًا في السجن، ولا سيما أعمال مكيافيلي، ويمكنني القول: إن هذه التعاليم كان لها تأثير خطير فيه؛ لأنها كانت عميقة وذات مغزى، وأهداني نسختي من كتاب *The Prince* (الأمير) و*The Art of War* (فن الحرب)؛ فقد أرادني أن أستوعب كل شيء مثله.

وكما تعلم، فإن من تعاليم مكيافيلي أن من الأفضل للمرء أن يُخشَى لا أن يُحبَّ، وكان باك يحمل الحب للجميع، لكن انظر إلى ما جناه من ذلك الحب: السجن، ومحاولة اغتيال، لقد بدا جليًّا كيف أثقل كلُّ ذلك كاهلَيْه، فتغيرت نظرتُه تجاه الحياة تغيرًا كاملًا، ومن الآن، حاول أن تظل واقفًا حين تتلقى الضربة ممن هم قريبون منك، ولا تُخلِصْ إلَّا لمن يمكنك الوثوق بهم تمامًا؛ لأن أقرب أصدقائك قد ينالون منك في غمضة عين، فهذا يذكرني بقتل داود لوالدي؛ فقد وثق به يا رجل، وانظر ما الذي جناه من تلك الثقة.

وفي وقت لاحق، أراني المزيد من الملاحظات: وكانت تحتوي على الأشياء نفسها: أسماء أشخاص مكتوبة وقد شُطب عليها، فقد رأيتُ سابقًا أسماء بيغي وبافي، وباد بوي، مشطوبًا عليها، ولكن هذه المرة رأينا اسم إنترسكوب مشطوبًا عليه أيضًا، فسألته: ما مصير صفقة التسجيل التي أبرمناها معهم؟ لقد بذل جهدًا كبيرًا لإبرام تلك الصفقة لنا، فقال: فلتذهب إنترسكوب إلى الجحيم يا مطاع!

بدأ باك الذي كان يهتم اهتمامًا عميقًا في المقام الأول بمحنة السود، يهتم ببقائه على قيد الحياة أولًا وقبل كل شيء؛ فقد كاد يُقتل، وباك الذي وثق بكثير من الناس من قبل، أصبح الآن أكثر حكمة في ولاءاته، وباك الذي بذل قصارى جهده لتصحيح الصورة السلبية التي رُسمت له، لم يعُد يهتم إلى أي مدى يُساء تمثيله في الإعلام؛ فقد أثبت النظام بالفعل أن تلك الصورة كانت مختلقة، وباك الذي لم يكن لديه مشكلات مع أي أحد، أصبح متأهبًا للحرب مع الجميع، وتزايدت المرارةُ في نفسه، وتراكمت فيه كما تتراكم المياه الموحلة خلف سد متصدع، ومع تزايد ضغط تلك التراكمات، كان الانهيار الوشيك أمرًا لا مفر منه.

وللتحضير للمراحل النهائية من تحوُّل باك، أصبح قارئًا نَهِمًا لمكيافيلي، الفيلسوف والسياسي الإيطالي من القرن السادس عشر، وأصبح كتابه الكلاسيكي (الأمير) إطارًا لحالة باك الذهنية فيما سيفعلُه، وكانت تعاليمه بسيطةً ومباشرةً إلى حدٍّ ما: حافظ على القوة أيًّا كانت الوسيلة اللازمة؛ لأنه

من الأفضل أن تُخشى لا أن تُحَبَّ، واحرص عند اختيار من تمنحه ثقتك؛ لأن غالبية الجنس البشري منافقون متقلبون، ولا سلام إلا ما تحقق من خلال شن الحرب[5756]، وكان باك - بعد أن أصبح مسلحًا برؤية فلسفية ومتمرسًا بتجربة المعركة - جاهزًا لإعادة تقديم نفسه... فقدم في ألبوم *Makaveli the Don* (الدون ماكافيلي) نسخةً أشدَّ قتامةً، ولؤمًا، وغير اعتذارية من نفسه، وكانت طبول الحرب على وشك أن تُقرَع.

وعلى الفور أصبح مطاع و(دراماسايدل) مستعدين لتلقي أوامر باك الجديدة: فلتذهب إنترسكوب إلى الجحيم، ولا ينكر أحدٌ أن هذا أصاب الجميع بارتباك: انتظر، وماذا عن صفقة التسجيل مع إنترسكوب؟ لقد استثمروا الكثير من الوقت والطاقة لإنجاز ألبومهم الأول؛ فما مصيرُ جميع أغانيهم؟

هذه الأسئلة سيُرَدُّ عليها في الوقت المناسب، ولكن في النهاية، أدركوا أن باك كان جنرالًا في حالة حرب، وقد أجرى كل تحركاته العسكرية على نحو إستراتيجي، وكل ما كان عليهم فعله هو اللحاق بركبه، وفي أعماقه، وجد مطاع عزاءه في التغييرات التي حدثت لباك؛ لأن باك أصبح مصطبغًا بما كانت عليه إيرفينغتون طوالَ حياته: القسوة وعدم الرحمة، وكانت إنترسكوب رائعةً، وكلُّ شيءٍ كان رائعًا، لكنه كان غريبًا؛ فالآن بدأ مطاع يشعر بالعودة إلى المألوف، وبعد أن قُتل توباك القديم، كان على باك أن يتخلص من (دراماسايدل) أيضًا؛ فأحدُ المفاهيم المكيافيلية المهمة هو القدرة على التغيير عندما تستدعي الظروفُ ذلك، وكان هناك أمرٌ جديدٌ يحدث؛ لذلك يجب التخلص من الأسماء القديمة: (دراماسايدل)، وليتل مو، وينغ هوليوود، وكي - دوغ، وبيغ مالك، وكان على باك أن يعيد تشكيل جيشه، تحت توجيه شامل، ولكنه لم يكن ليختارَ أي أسماء فحسب؛ بل يجب أن تكون أسماء ذات أهمية، وتحت تأثير المبدأ الميكافيلي الذي يتغاضى عن الوحشية إذا كان ذلك يعني الحفاظ على السلطة[58].

اقترح باك أن يمنحهم أسماء بعض أسوأ الطغاة العسكريين في التاريخ؛ ليرسل رسالةً واضحة: أن رايات الحرب بدأت تلوح في الأفق، وعند اختيار الأسماء حرص على أن تكون أسماء أعداء للغرب، فأصبح بيغ مالك اسمه إي. دي. آي (أصبح اسمه الآن إي. دي. آي. دون) على اسم ديكتاتور أوغندا الإفريقي عيدي أمين، وأصبح كي - دوغ اسمه كاسترو، على اسم فيدل كاسترو، عدو الولايات المتحدة اللدود الذي حكم كوبا عقودًا، وأصبح ينغ هوليوود اسمه ياكي القذافي، على اسم الدكتاتور الليبي معمر القذافي الذي حكم بلاده بقبضة من حديد، وقُتِلَ في النهاية على أرضه عام 2011م، وأخيرًا وليس آخرًا، أصبح ليتل مو اسمه نابليون، على اسم نابليون بونابرت، الجنرال الفرنسي المتوحش الذي - على الرغم من قصر قامته - قتل عددًا كبيرًا من الأشخاص لغزو أوروبا، وأصبح مسرح العمليات جاهزًا، وتأهبت (أوتلو إمورتالز) و(ماكافيلي) لاحتلال الخطوط الأمامية في صناعة الراب.

كلمة OUTLAW (أوتلو) هي الأحرف الأولى من عبارة: *Operating Under Thug Lawz As Warriors* (العمل تحت قوانين العصابات بوصفنا محاربين).

نعم، لقد منحني باك اسم نابليون، وفي البداية لم أكن أعرف حقًّا من هو، ولكن كلما عرفتُ عنه أكثرَ فأكثر، زاد إعجابي به، فقد كان متوحشًا، ولا يخشى أحدًا، ودائمًا ما كان ينال من الناس قبل أن يتمكنوا من الرد، وفي ذلك الوقت، كان هذا وصفًا مثاليًّا بالنسبة إلي؛ لأن هذا هو ما كنتُ عليه، وكان نابليون أيضًا قصيرًا، وهو ما زاد من وحشيته؛ لأنني أعتقد أنه لم يكن يريد أن يسمح لأي شخص بالتهكم عليه، أو عدم احترامه بأي شكل من الأشكال، وفي هذه المرحلة، بعد أن غيَّرْنا جميعًا أسماءنا، شعرنا بحماس بالغ، وعرفنا أن شيئًا كبيرًا كان يحدث؛ لأن هذه لم تكن أسماءً عاديةً، وكان باك رجلًا ذكيًّا،فقد جعلتني العقلية الحربية متحمسًا؛ لأن تلك الأجواء هي كل ما كنت أعرفه خلال نشأتي، وكان الأمر كما لو أني عدتُ إلى حيث كنتُ أشعر بالراحة، وفي ذلك الوقت، بدأتُ أتحول إلى العدوانية أيضًا، وبدأتُ أعتدُّ بنفسي (يضحك)، بل أصبحتُ الآن أكثر جرأةً مع عدوانيتي، ولقد أصبحتُ مشهورًا الآن؛ أظهر مع باك على الألبومات، وكنا نجني القليل من المال، وكنتُ لا أزال صغيرًا، ولم يكن أحدٌ يستطيعُ أن يقف في وجهي ولا في وجه مجموعة الأوتلو، وكنا ننال من أي شخص!

وشأن باك شأن أي جنرال في حالة حرب، احتاج إلى قائد يدعمه، وشخص يخشاه أعداؤه، ويمكنه تقديم دعم مالي قوي، ويشاركه رؤيته الإستراتيجية للعمليات العسكرية، فقد كان في حاجة إلى شخص يسمح له بإثارة الأعمال العدائية، في المكان والزمان الذي يختاره، ولا يقف في طريقه أبدًا، واحتاج باك أيضًا إلى موقع قيادة محصَّن، مقر يمكنه من خلاله شن هجماته القاسية والوحشية، وكانت معرفة ما يحتاج إليه شيئًا؛ ومعرفة كيفية تنفيذه من وراء القضبان شيئًا آخر تمامًا، وبالتأكيد لن يكون الأمر سهلًا، ومع ذلك، كان هناك شخص يتابع معارك باك القانونية عن كَثَب، وينتظر الفرصة المناسبة لمد يد المساعدة؛ وكان ذلك لأنه حاول عددًا من المرات أن يضمَّ باك لشركة التسجيلات الخاصة به، ولكن كان مسعاه دائمًا بلا جدوى، ولكنه لم يستسلم قطُّ، وكان يؤمن بقوة النجومية الأصيلة لدى باك، وكان يعتقدُ أنه بمجرد أن يتخلى عنه الجميع -وتوقَّع أنهم لا محالة سيفعلون ذلك خلال معاركه القانونية- سيكون حاضرًا لإنقاذ الموقف، ويعتقد هذا الشخص أيضًا أن صناعة الراب كانت في حاجة ماسة إلى اتجاه جديد، وعلى عكس موسيقا راب العصابات، كان تيار الراب الرئيس ضعيفًا جدًّا، ولم يجنِ أي شخص المال من ورائه، وكان راب العصابات مثيرًا للجدل؛ وهذا الجدلُ سببٌ في جني الأرباح، وكان باك بالفعل مصدرًا مثيرًا للجدل، ونجمًا في ساحة راب العصابات؛ لذلك كان من الطبيعي أن يصبحَ محطًّا للأنظار، وشاع الخبرُ سريعًا بأن إنترسكوب خذلته، وهو ما أحدث صدعًا بين باك وبينهم، وكان باك يبحث يائسًا عن بديل عملي، وخلال هذا الوقت تذكر الشخص الوحيد الذي كان يحاول باستمرار ضمه لصفه: ماريون (شوغ) نايت، المدير التنفيذي للشركة الشهيرة (ديث رو ريكوردس).

نعم، بعد أن غيَّرْنا أسماءنا، أخبرنا باك أن نستعدَّ لأمر جَلَل، ولم يعد بإمكانه الوثوق بإنترسكوب؛ لذلك بدأ يفكر في الشركات الأخرى، وكان يعلم أنه أصبح في دائرة الضوء بعدَ أن حصل ألبوم (أنا في مواجهة العالم) على المركز الأول؛ لذلك كان يعلم أن شخصًا ما سيدعمه، ولقد أخبرني أنه كان يسعى للتوقيع مع ديث رو، فقلت: ديث رو؟! لقد سمعنا شائعات، ولكن لم يكن هناك شيء مؤكد، وبدا الأمر كما لو أنها الشركة الوحيدة التي يشعر بالارتياح لها في هذا الوقت، وكان شوغ معروفًا بأنه لا يُخدع؛ لأنه داهية، وكانت ديث رو قد أصدرت بالفعل ألبومات لسنوب، وذا دوغ باوند، ودكتور دري؛ لذا فقد كانت أكثر الشركات إثارةً، ولقد كانوا يبيعون ملايين التسجيلات! وكان الشيء الوحيد الذي أعجبني في شوغ هو أنه كان رجلَ شارع حقيقيًّا، وأن ديث رو كانت أكثرَ من مجرد شركة تسجيل، ولقد صبغوا موسيقا الراب بصبغة الشارع، ورفعوا راب الساحل الغربي إلى مستوى آخر؛ وقد أثر فيَّ ذلك بالتأكيد، وكان ذلك هو المزيج المثالي بالنسبة إلي... أن أحصل على المال، وأحيا حياة الحي بنسبة 100٪، وفي البداية كنا سعداء؛ لأن باك سوف يُوَقِّعُ معهم، لكننا اعتقدنا أنه سيقبع في سجنه ما لا يقل عن عام أو عامين آخرين، ما جعل إعلان باك مميزًا هو أنه قال: إن شوغ من المحتمل أن يدفعَ له كفالة قدرها مليون دولار! ويعني هذا أن سراحَه سيُطلَقُ قريبًا، وبعد ذلك عرفنا أن ذلك على وشك الحدوث بالفعل! لقد كان وقتًا مثيرًا حقًّا في حياتي، ولم أتجاوز حينها عامي السابع عشر، وطلب منا باك أن نحزم أمتعتنا، وأن نتركَ كاليفورنيا، ونعودَ إلى نيوجيرسي؛ حتى نكونَ أقرب إليه، وفقًا للإستراتيجية التي وضعناها.

وبدأ شوغ نايت، المؤسس المشارك لواحدة من أكثر شركات التسجيلات إثارة للجدل في التاريخ، يزور باك في السجن مرارًا، وكان يعلم أن الفرصة أصبحت سانحة ليفوز أخيرًا بأحد أكبر الأسماء في عالم الراب، وأحيانًا يأتي تحقيق أكثر الانتصارات غير المتوقعة في أشد أوقات الفوضى واليأس، وبحلول الوقت الذي التقى فيه شوغ باك في السجن، كانت تسجيلات ديث رو قد حققت بالفعل نجاحًا هائلًا، فقد كان لدكتور دري - زميل آخر مؤسس في ديث رو، وأحد ألمع الأسماء في مجال الراب - دور فعال في المساعدة على تعزيز مكانة الشركة من خلال ألبومه الأول (*The Chronic*)، وقدمت الشركة أيضًا سنوب دوغ، أحد أعظم مغني الراب في الساحل الغربي، الذي حقق ألبومه الأول (*Doggystyle*) نجاحًا هائلًا، وباع أكثر من 4 ملايين نسخة[59]، ومن الفنانين البارزين الآخرين ذا دوغ باوند، وليدي أوف ريج، ونايت دوغ، وليس النجاح وحده هو الذي منح ديث رو تلك المكانة، بل الجدل الذي كان دائمًا يحيط بهم، فقد زعم البعضُ تورط ديث رو في عمليات الابتزاز، وتكتيكات العصابات لتحقيق أهداف العمل (مثل فانيلا آيس[60])، ووجود ارتباط بعصابات مشهورة مثل (كريبس) و(بلدز)، حتى إن بعض فنانيهم وُجِّهَ لهم تُهَمٌ بارتكاب جرائم، فبعد فترة وجيزة من إصدار ألبوم (*Doggystyle*) في عام 1993م، اتُّهِمَ سنوب دوغ بالقتل، و(بُرِّئَ لاحقًا من جميع التهم[61])؛ ما أثار انتقاداتٍ لاذعةً حولَ الآثار السلبية لراب العصابات على المجتمع، وهذا كله - بدوره - أسهم في النجاح المالي الهائل للشركة، وبالنسبة إلى شوغ، كان التوقيع

مع فنان راب آخر متورط في مشكلات قانونية، ومثير للجدل، هو كل ما يتمناه، وقد حان الوقت لفعل ذلك.

وقدم شوغ عرضًا لباك لم يستطع رفضه: أن يدفع له كفالة بقيمة 4.1 مليون دولار، مقابلَ أن يوقع باك مع ديث رو ريكوردس، مع التعهد بإصدار أربعة ألبومات على الأقل مع الشركة[62]، وبسبب طبيعة قواعد السجن وعدم توافر طابعات أو أوراق مكتبية، قُدِّمَ العقد على قطعة منديل[63]، وأخيرًا، بدأ باك يرى الضوء في نهاية نفقه القانوني المظلم، وبالنسبة إليه، لم يكن يتطلع إلى أفضلَ من ذلك؛ فوقع على المنديل، وبذلك أصبح رسميًّا ضمنَ طاقم ديث رو.

وأخيرًا حان الوقت لحشد القوات لشن هجوم شامل في ساحة صناعة الموسيقا، وبعد التوقيع (الرسمي)، طلب باك من مجموعة الأوتلو مغادرة لوس أنجلوس، والعودة إلى نيوجيرسي؛ ليكونوا على مقربة منه، حتى يمكنه - في أثناء إعداده لخطة معركة شاملة - أن يبقيهم على اطلاع بآخر التطورات، وعادوا من كاليفورنيا على الفور، وكان نابليون، وإي. دي. آي. مين، والقذافي، وكاسترو، ينتظرون بفارغ الصبر أوامر باك التالية، وحل الآن صيف عام 1995م، وذهبت مجموعة الأوتلو لقضاء بعض الوقت معًا في إيرفينغتون، وكان معهم أيضًا دي - بوي، أحد أبناء عمومة باك، وبدلًا من الإقامة في فندق، فتحَت لهم جدة نابليون - بما هو معهود من كرمها - بيتها للإقامة، وأقام القذافي في منزله في مونتكلير، في حين أقام بقية مجموعة الأوتلو مع نابليون، وقد وطَّدَ عيشُ هؤلاء الشبان معًا علاقتَهم التي بدأت تتشكل في أثناء وجودهم في كاليفورنيا في يونيفرسال ستوديوز؛ فنمت رابطةُ الأخوة بينهم أكثرَ من أي وقت مضى، ومع كل ما مروا به من أحداث، كان من الأهمية بمكان أن يصبح كل منهم سندًا للآخر، وأن يستمروا في تنمية الثقة والولاء المتبادلين فيما بينهم.

وخلال هذا الوقت من حياة نابليون، حدثت بالفعل كثير من الأحداث البارزة قبل صيف عام 1995م، وعاد مايكل جوردان إلى الدوري الأمريكي لكرة السلة للمحترفين بعد أن لعب البيسبول مدة وجيزة[64]، وفجَّر تيموثي ماكفي، إرهابي أمريكي محلي، المباني الفيدرالية في مدينة أوكلاهوما[65]، وكانت محاكمة أو. جيه. سيمبسون بتهمة قتل زوجته لا تزال جاريةً، وحدثت خلالها تجربته الشهيرة للقفاز الذي استُخدم في القتل، والذي بدا غيرَ مناسب لمقاس يده[66]، ولكن الأمر الأكثر أهميةً لنابليون، والأكثر شهرةً في أوائل عام 1995م، كان إصدار أغنية بيغي سمولز الناجحة *Who Shot Ya?* (من أَطلَقَ النارَ عليك؟)، وقد كانت الأغنيةُ مروعةً وجريئةً، «بسيطة ووحشية»[67]، ووصفَت بيغي بأنه مسلح هزم أعداءه بلا هوادة، وما من توقيت لإصدار الأغنية كان أكثرَ استفزازًا من ذلك التوقيت، فقد كان باك يشك بالفعل أن بيغي هو من دبَّرَ الكمينَ في تلك الليلة المشؤومة في نوفمبر 1994م، فشعر أن إصدار هذه الأغنية في أثناء وجوده في السجن كان كما لو كان بيغي يصب الزيت على النار، ولم يملك باك إلَّا أن يعتقد أن بيغي لم يحاول قتله والكذب بشأن ذلك فحسب، بل أصدر أغنية يتفاخر فيها بذلك، ولقد نفى بيغي وبافي مرارًا وتكرارًا أن لديهما أي

معرفة مسبقة بإطلاق النار، وأصرا دائمًا على أنهما لم يكن لهما أي مصلحة في إيذاء باك[68]، وسرعان ما أُثبت أن تسجيل الأغنية قد انتهى قبلَ عملية إطلاق النار بشهور، ولكن هذا الأمر لم يقنع باك، ولا رفاقه في الأوتلو.

نعم، لقد بدا الأمر كأنه مجرد مصادفة بحتة، ويمكنك أن تُصدِّق ما يقولونه، ولكن بالنسبة إلى باك وإلينا في ذلك الوقت، لم يكن هذا مقنعًا، فكيف تكون في الأستوديو نفسِه، ويحدث إطلاق نار على رجل في الطابق السفلي قاب قوسين أو أدنى منك؟ أليسَت هذه نيويورك، وهو يلقب ملكَ نيويورك؟ هذا ما كنا نفكر فيه في ذلك الوقت، ثم بعد كل هذا يُصدر أغنية (من أطلق النار عليك؟)، كما لو أنهم يسخرون من باك، ولماذا كل هذا؟ كما قال باك في مقابلة مع مجلة فايب[69]، حتى لو لم تكن أنت الفاعل، كان حريًّا بك بدافع الاحترام، وحتى لا يظُنَّ باك أنك الفاعل، ألَّا تُصدرَ تلك الأغنية إلَّا بعدها بوقت طويل، ويبدو أن بيغي وبافي لم يكترثا بالأمر، ولكن دعني أخبرك بشيء، على الرغم من أنني من نيوجيرسي، بدأنا نكره رجال نيويورك والساحل الشرقي.

وفي هذه المرحلة، كانت مجموعة الأوتلو يساعدون باك على الاستعدادات للحرب الشاملة، بحشد ترسانتهم الغنائية، وجمع المعلومات الاستخباراتية اللازمة للاغتيالات المعنوية، وللمساعدة على الهجوم، قدم القذافي مجندًا محتملًا، صديقًا قديمًا وزميلًا في المدرسة الثانوية من مونتكلير، وفي شبابه، عاش بروس واشنطون حياةً كتلك التي عاشها نابليون؛ فلقد نشأ يبيع المخدرات، وأصبح أيضًا مفتونًا بموسيقا الراب، وكنابليون والقذافي، أظهر موهبة شعرية واعدة منذ صغره، وفي الواقع، كان رائعًا لدرجة أن القذافي اقترح على باك ضمه للأوتلو؛ فبذلك سيُضيف للفرقة شابًّا آخر، عضوًا أصيلًا مصبوغًا بصبغة الشارع، ولا يخشى أحدًا، وبناءً على التوصية، دعاه باك ليأتي لزيارته في سجن كلينتون ماكس لتقديم نفسه، وعند وصوله، ناقشا قضية باك واحتمال خروجه قريبًا، وتلقائيًّا، في منتصف حديثهم، طلب من بروس أن يستعرض أسلحته الغنائية: ماذا لديك؟.. لِتُسمِعْني شيئًا، وبدأ بروس يستعرض أقصى ما لديه في غناء الراب، وأثار أسلوبه الحر، وقدرته على صياغة كلمات الراب الثاقبة والإيقاعية على نحو ارتجالي، إعجابَ باك الشديد، حتى إن باك اعتمده على الفور، وأصبح رسميًّا عضوًا في الأوتلو بعد أدائه المذهل، وانطبقت عليه أيضًا المبادئ التوجيهية الخاصة بأسماء أعضاء الأوتلو؛ فرحب باك رحب بالعضو الجديد ومنحه اسم حسين فيتَل، على اسم الديكتاتور العسكري العراقي، صدام حسين.

ولقد أشعرني كلُّ من كان معنا في المجموعة بالحماس؛ فقد كان فريقنا قويًّا بالفعل، فمعنا صوت القذافي الآسر، وكلمات إيدي وكاسترو ونظمهم الساحر، ومعنا من دون شك باك... لقد شعرت بأننا بالغو القوة، ولن تتخيل مجموعة جونيور مافيا والشرق مدى الجدية التي سنكون عليها، وبعدَ ذلك، ألهم ياك فيتل، وكان الأمرُ كما لو كنت تسكبُ البنزينَ على شيء مشتعل بالفعل! وعندما سمعتُ نظم فيتل، قلتُ: إن الرجل لديه مهارات كبيرة، ولقد كان أصيلًا، وكذلك كنا جميعًا، وأعتقد أننا ربما كنا إحدى أشد المجموعات الشابة أصالةً على الإطلاق، ليس فقط من حيث الموهبة، ولكن أيضًا من

جهة كوننا رائعين، وتربطنا أواصر الأخوة، وإذا نظرت إلينا من الخارج، حين ترانا على خشبة المسرح، يمكنك أن ترى أن كلًّا منا كان يُكنّ حبًّا واحترامًا جنونيًّا للآخر، وكان هذا أمرًا مهمًّا في لعبة لا تجد فيها إلَّا الغيرةَ، والحسد، والأشخاص الذين يسعَوْن دائمًا للنيل منك.

لقد أصبحت مجموعة الأوتلو من النخبة، ووحدة عمليات خاصة لباك، بمهمة واحدةٍ واضحة: مهاجمة الأعداء بلا رحمة، مع حماية كلٍّ منهم ظهرَ الآخر، وفي وسط تلك الساحة المليئة بالغدر والخيانة، كان ولاءُ بعضِهم لبعضٍ أمرًا بالغَ الأهمية، ولا ينبغي أن يُسمح لكائن من كان أن يشق صفوف الأوتلو، ولا أحدَ يهدمُ ما نبنيه[70]، ولإثبات التزام المرء الراسخ بالقضية، كان مطلوبًا من كل عضوٍ، ويشملُ ذلك باك، أن يُسجِّلَ عضويته في الأوتلو بلحمه ودمه، بأن يحفرَ وشم كلمة (أوتلو) على ساعده الأيسر؛ ليصبح الوشمُ دليلًا على التضامن الراسخ والولاء الأبدي للمجموعة: شارةً للولاء.

وكان الصيفُ الذي اجتمعَ فيه أعضاءُ الأوتلو في منزلي مجنونًا! فحتى ذلك الحين، نشأ كلٌّ منا في حيه في الغالب، فقد نشأ القذافي وفيتل في مونتكلير، ونشأ عيدي وكاسترو في أتلانتا، وأنا نشأتُ في إيرفينغتون، وفي ذلك الصيف تسكعنا جميعًا في إيرفينغتون، وأعتقد أن عيدي وكاسترو قد صُدما من مدى قذارة نيوجيرسي، وكما قلتُ: نشأ القذافي وفيتل في مونتكلير؛ لذلك كانا يعرفان كيف تسير الأمور، وكانت نيوجيرسي ذات مستوى مختلف، وفي ذلك التوقيت كان باك محبوسًا؛ لذلك كنا نكافح لتحقيق الدخل المالي، وكانت معظم الأموال تذهب للتكاليف القانونية وما إلى ذلك؛ لذلك كان علينا أن نلجأ إلى توزيع المخدرات في الحي؛ للحصول على بعض المال السهل، وكان مؤمن، وريف، ورودي، و(سي)، وشلبي ما زالوا يعملون في ذلك؛ لذا لم يكن من الصعب علينا التحرك، ولكن لا يزال علينا توخي الحَذَر الشديد، خاصةً أن أعضاء الأوتلو أصبحوا من المشاهير الآن. وفي بعض الأحيان كنا نجلس في المنطقة، ولا أبالغ إن قلتُ لك: إن عددنا قد يصل إلى 100 شخص من البلطجية، وتجار المخدرات، والقَتَلة، وكنا دائمًا في حالة ترقُّب، فقد كان هناك أطفال لحوحون يتسولون لتعطيَهم أي شيء، ومدمنو مخدرات يتجولون في الشوارع يمكنهم قتلك إذا اضطروا إلى ذلك؛ لمجرد الحصول على جرعة مخدرات، ولقد كان الأمر يفوق حدودَ الجنون! سُكْرٌ كلَّ يوم، وشرب للمخدرات، والمزاح فيما بيننا، وكسب المال، هكذا كنا نقضي معظمَ الوقت... لم نكن نفعل شيئًا سوى محاولة البقاء على قيد الحياة، ولقد أصبحنا قريبين بالفعل بعد ذلك الصيف الجامح، وتعلمنا عن أنفسنا معًا؛ فكل واحد منا يملك قلبًا شجاعًا، وكان محبطًا لسببٍ ما، ولقد كان ذلك أمرًا بالغَ الأهمية؛ لما كنا على وشك الدخول فيه بعد أن يخرج باك من السجن.

ومع اعتياد أعضاء الأوتلو على وتيرة الحياة المحفوفة بالأخطار في إيرفينغتون، كانوا ينتظرون بصبر إشارةً واضحةً تشير إلى الخطوة التالية، ولقد جاءَت تلك الإشارةُ في إحدى أمسيات أغسطس في مدينة نيويورك في حفل توزيع جوائز مجلة سورس، ومجلة سورس مجلة مكرسة لتكريم ثقافة الهيب هوب، ونشر أخبار الراب، وكانت تستضيف حفل توزيع الجوائز السنوي الثاني، وفي ذلك

الوقت كانت تلك هي الفعالية الوحيدة التي احتفلت حصريًّا بالهيب هوب والراب بوصفه نوعًا موسيقيًّا[71]. والتف نابليون وأعضاء الأوتلو حولَ التلفاز؛ لمعرفة من الذي سيفوز بجوائز ذلك العام، وكان نابليون مهتمًّا على نحو خاص بجائزة فنان العام، وجائزة فنان العام الجديد، ومنتج العام، وأغنية العام، وقد ذهبت جائزة فنان العام إلى سنوب دوغ من ديث رو ريكوردس. نعم، نعم، سنوب دوغ يستحقها! وذهبَت جائزة فنان العام الجديد إلى نوتوريوس بي. آي. جي. (بيغي سمولز)، وأنا لا أرى هؤلاء الأشخاص يستحقون الجائزة، وأعمالهم لا ترقى إلى المستوى، لكن على أي حال، وذهبَت جائزة منتج العام إلى دكتور دري من ديث رو ريكوردس، حسنًا دري! جائزة أخرى لديث رو، وذهبت جائزة أغنية العام إلى أغنية Above the Rim (فوق الحافة)، من إنتاج ديث رو. حسنًا ديث رو! مرحى، هنيئًا لك يا شوغ! كان الشخص الذي مثَّل ديث رو ريكوردس في تسلُّم الجائزة هو شوغ، والتف أعضاء الأوتلو حولَ التلفاز ليرَوْا ما سيقوله شوغ، فلم يكن يتحدث كثيرًا أمام العامة؛ لذا كانت تلك لحظةً إعلاميةً نادرةً جديرةً بالاهتمام، وكان شوغ فارع الطول، يصل طوله إلى نحو 188 سم، ويزن 120 كيلوجرامًا، وكان نجمًا سابقًا في لعبة كرة القدم، وكان يرتدي قميصًا باللون الأحمر الدموي، بأزرار في ياقته، وأكمام قصيرة، وبنطالًا أسود، وصعد شوغ دَرَج المسرح، وبجواره داني بوي، فنان زميل في ديث رو؛ يتبختر على أنغام أغنية Regulate لوارن جي، ونيت دوغ، التي كانت تنطلق من مكبرات الصوت، ولقد كانت ليلة رائعة لديث رو.

«*بادئ ذي بدء، أود أن أشكر الله. ثانيًا، أتوجه بشكري لجميع أعضاء أسرة ديث رو... على كلا الجانبَيْن...*».

حسنًا، *حسنًا! تحية كبيرة لديث رو. لقد* حققوا *النجاح!*

«*... أود أن أخبر توباك... أن يُبقِيَ حراسه يقظين... وأننا نُحبُّه...*».

مرحى! لقد ذكر باك أمامَ الجميع! إن ذلك يعني أنه أراد أن يعرف العالم أن الأمر أصبح رسميًّا! لقد اقتربنا! باك سيعود إلى منزله!

«وأود أن أقولَ شيئًا، على أي فنان يريد أن يكون فنانًا، ويريد أن يظل نجمًا، ألَّا يقلقَ بشأن المنتج التنفيذي الذي يحاول احتكار الفيديو... والتسجيلات الصوتية... والرقص... تعالَ إلى ديث رو!»[72].

ماذا؟! انتظر.. يا للهول !... ما الذي قاله شوغ للتو؟!

لقد كانت كلمات شوغ صادمة لأعضاء الأوتلو، كما كانت كذلك للجمهور وللكثير من صناع الموسيقا، ولم يكن هناك سوى منتج تنفيذي واحد في ذلك الوقت ربما يكونُ هو المعنيَّ: شون (بافي) كومبس، من حي هارلم، وكانت السخرية منه بطريقة مخزية، والإشارة إليه في حدث مُتَلْفز يحظى بمتابعة كبيرة... إهانةً لم يتوقعها أحد في شتى بقاع مدينة نيويورك، لقد كانت إهانةً لم يكن أحد مستعدًّا لها؛ باستثناء أعضاء الأوتلو، فقد كانت تلك هي الإشارةَ التي كانوا ينتظرونها.

ومع خطاب شوغ القصير، أشعل فتيلٌ، وألقي في ميدان صناعة الموسيقا، ولن يتمكن أي شخص على الإطلاق من احتواء الأتون المشتعل الذي اندلع في أعقاب ذلك.

الفصل الثامن

الدخول في مسار الحرب بلا تردد[73]

«بضاعتنا هي قصص الحرب»

توباك شاكور وفرقة الأوتلو

مع ترقب إطلاق سراح باك بقلق، كان نابليون بالكاد يستطيع كبح جماح حماسه، فسيخرج باك قريبًا، وما دام شوغ نايت قد أشعل الفتيل بدقة في حفل توزيع جوائز مجلة سورس، فقد كانوا ينتظرون عودة باك إلى المنزل لبدء المعركة، وكان نابليون وفرقة الأوتلو سيسافرون قريبًا إلى كاليفورنيا؛ ليجتمعوا مع باك، وكان نابليون حريصًا على مشاركة فرحته مع جدته؛ فعلى الرغم من أنها كانت تستضيفُ فرقة الأوتلو بعض الوقت، ولكنها لم تكن تعرف ما كان يحدث بالضبط في حياة حفيدها.

- «جدتي، لا أعلم هل تعرفين أم لا، ولكني أنا وأصدقائي سنعود إلى كاليفورنيا، وسيخرج باك قريبًا، ولدينا ألبوم آخر نعمل عليه».

- «يسرُّني سماع ذلك، يا حبيبي، لقد رأيتُ مقابلة حديثة له، على ما أعتقد، فيبدو كأنه فتى لطيف، وذكي، وواضح جدًّا».

- «نعم، ربما كانت تلك هي المقابلة التي أجراها منذُ وقتٍ مضى مع شبكة بي إي تي، فإنه صديقُنا الحميم يا جدتي، وهو يعتني بنا حقًّا».

- «أنا لا أشك في ذلك، يا حبيبي، فعليك فقط أن تحرص على النأي بنفسك عن المتاعب، فيحتاج إخوانك وأبناء عمومتك إلى البقاء بعيدًا عن تلك الشوارع؛ فقد أصبحَت شديدةَ الخطورة، وأصبح الناسُ مجانين هذه الأيام، ولقد قرأتُ قريبًا عن صديق قديم من الحي أُطلق عليه الرصاص، وأُردي قتيلًا، من أجل ماذا؟ من أجل لا شيء: 200 دولار يا مطاع، فما الذي يحدث في العالم، يا حبيبي؟ لم أعد أعرفُه بعدَ الآن، فيا ربِّ، أنقذنا، وتوخَّ الحذرَ يا حبيبي، فأنا أحبكم كثيرًا».

- «أعدك بهذا يا جدتي، فلا تقلقي عليَّ؛ فأنا جندي، ويمكنني الاعتناء بنفسي، إضافة إلى ذلك، يجب أن أعيش طويلًا بما يكفي للحصول على هذا المنزل الجميل الذي وعدتُك به في مونتكلير!» ولما

سمعَت ذلك ابتسمَت، وعادت إلى المطبخ؛ لتحضير وجبة لضيوفها المراهقين الجائعين.

وفي 14 أكتوبر 1995م، نَشرت صحيفة نيويورك تايمز مقالًا بعنوان: إطلاق سراح مغني الراب بكفالة، فقد أُطلق سراح باك من السجن أخيرًا بعد أن دفع شوغ نايت كفالة قدرها 4.1 مليون دولار، وبعد أن نال باك حريته، نقلته سيارة ليموزين سوداء بسائق من أمام مدخل السجن، إلى طائرة ديث رو الخاصة، حيث كان في انتظاره كلٌّ من شوغ نايت، وبيغ سايك، وبوغارت؛ عضوٌ في عصابة سكوليارد كريب، ولقد جند بيغ سايك بوغارت - وهو مرتزق ذو دم بارد - ليكون جزءًا من حاشية باك في كاليفورنيا؛ فبعدَ محاولة اغتيال باك، لم يكن لدى شوغ وبيغ سايك أي استعداد للمخاطرة؛ بل كان لا بد من حمايته بأي ثمن، وما إن وطئت قدم باك أرض كاليفورنيا، حتى توجه مباشرةً إلى كان آم ستوديوز[74]، فلا ملاهيَ ليلية، ولا حفلات، ولا زوار، فقد فاضَ به الكيلُ، وكان لا بد من أن يُنَفِّسَ عما يجيشُ في صدره على نحوٍ عاجل.

وفي إيرفينغتون، تلقى نابليون وفرقة الأوتلو مكالمةً من باك، فقد أُطلق سراحه أخيرًا، وقد حان الوقت، فانتقلوا إلى لوس أنجلوس على متن الرحلة التالية المتاحة ليبدؤوا على الفور تسجيل ألبومه التالي *All Eyez on Me* (جميع الأعين عليَّ) وبحلول الوقت الذي وصلوا فيه بعدَ أيام قليلة، كان قد أكمل بالفعل ثمانيَ أغنيات: أولها كان أغنية *Ambitionz az a Ridah*[75] (طموحات صديق)، التي كتبها في أثناء فترة سجنه، وعبَّرَ فيها عن خيبة أمله الكبيرة في الأشخاص الذين ظهروا على حقيقتهم حين احتاج إليهم، والذين دفعتهم غيرتهم إلى التآمر على قتله، وكانت الأغنية أيضًا تحذيرًا شرسًا لجميع أعدائه بأن رغبتهم في رؤيته ميتًا لم تزدْه إلَّا قوة، وأنه - لا محالة - سينتقم من كل من حدثته نفسه بتمني سقوطه.

وعندما وصل نابليون وفرقة الأوتلو إلى لوس أنجلوس، أقلتهم سيارة مرسيدس بنز سوداء، تابعة لديث رو، ونقلتهم مباشرةً إلى الفندق الذي كان باك يقيم فيه؛ فندق ذا بيننسولا في بيفرلي هيلز، وكان هذا مسكنًا مؤقتًا له حتى يؤسس منزله الجديد، وكان أعضاء الأوتلو سيقيمون في أوكوود أبارتمنتس، حين تصبح الشقق متاحةً، وعند وصولهم إلى بهو الفندق، تسابقَت المجموعة الشابة إلى المصعد للوصول إلى الغرفة التي كان باك يقيمُ فيها، وتوقفوا عند طابقه، وكان الإيقاع الذي يتردد في جنبات الفندق في أثناء نزولهم من المصعد إيقاعًا لإحدى أغاني باك التي صيغت حديثًا، *Shorty Wanna Be a Thug* (الصغير سيصبح بلطجيًّا) وتتبعوا صوت الموسيقا، الذي قادهم إلى جناحه، فطرقوا الباب، ففتح باك، وقد منحته أيام حريته القليلة الأولى وهجًا وإشراقًا، والتف حوله أعضاء الأوتلو كما تجتمع الأشبال الصغار التي تحيي الأسدَ الأكبرَ تحيةَ إجلال: مرحى يا باك، كيف حالك يا صديقي؟! عودًا حميدًا أيها الجندي، كان باك منتشيًا لرؤية رفاقه الصغار معه أخيرًا، ولكنه جعل الأمر واضحًا منذ البداية أنه لا وقت إلَّا للعمل الصارم، وأنهم سيكون لديهم متسعٌ من الوقت لاحقًا ليسمع كلٌّ منهم أخبار الآخر، وأشار إلى مكبر الصوت الإستريو بيده، ثم أشار إلى أذنه أن استمعوا.

وكان باك منصرفًا إلى العمل انصرافًا كاملًا، عندما عاد إلى المنزل، ولم أرَه قط بهذا التركيز في حياتي، وكنا جميعًا سعداء حقًّا بعودته إلى المنزل، وكان من الرائع رؤيته أخيرًا خارج السجن، وكنا مستعدين للاحتفال بقوة، ثم الدخول إلى الأستوديو، ولكننا شعرنا بالصدمة عندما علمنا أن باك قد أنهى بالفعل مجموعة كاملة من الأغاني، فقد تأخرنا! وكانت إحدى الأغاني التي سجلها بالفعل تنطلق من جهاز الإستريو، وكانت أغنية (الصغير سيصبح بلطجيًّا)، وكانت تحية تقدير لكل واحد من أعضاء الأوتلو، ولقد كان مقدار الحب الذي أظهره باك لنا غير طبيعي! لقد كرَّسَ أغنية كاملة لنا نحن الشباب، وبتشغيله هذه الأغنية لنا عندما رأيناه حرًّا لأول مرة، بدا الأمرُ كما لو أنه كان يُظهر مدى تقديره لوجودنا دائمًا من أجله... وتقديره لما مررنا به من حزن عليه في تلك المحنة، وكانت الأغنية الأخرى التي شغلها لنا بعد ذلك (طموحات صديق).

ودعني أخبرك يا أخي، أن باك كان شَرِسًا في تلك الأغنية؛ ولم يكتب أغنيةً مثلَها من قبلُ، ولم أصدق ما كنت أسمعه، ولكن في الوقت نفسه، كنتُ متحمسًا؛ لأن المعركةَ كانت على وشك البدء، ولقد كنا على أتم الاستعداد، لقد أحضر الفريسة إلى المنزل، وانتظرنا أن يعطينا نحن الأشبال الصغار نصيبنا من اللحم.

وفي انضباطٍ تام، ذهب أعضاء الأوتلو ونابليون مباشرةً إلى الأستوديو في اليوم التالي، وكان أمامهم الكثير من العمل الذي يتعين إنجازه، وعندما وصلوا إلى هناك، سرعانَ ما اكتشف نابليون أن التسجيلَ مع شوغ يفوق بمراحل التسجيل مع إنترسكوب، فقد كانت حجراتُ التسجيل فخمةً ومجهزةً بأحدث التقنيات ومعدات التسجيل؛ لذا لم يكن منتج التسجيل الفعلي هو ما كان مختلفًا؛ بل كانت الأجواء، فباك سيتعاون مع الجميع تقريبًا في ديث رو، ما يعني أن دكتور دري، وذا دوغ باوند، وسنوب دوغ، ونيت دوغ، سيكونون موجودين، وكانت المشكلة، أنهم لم يتمكنوا من الوجود جميعًا في الأستوديو نفسه في الوقت نفسه؛ وقد كان ذلك لأن (كلا الجانبين) من أسرة ديث رو، وهو ما ألمح إليه شوغ في خطابه في حفل توزيع جوائز سورس، كانا هناك، والمقصود بـ (كلا الجانبين) بلدز وكريبس، ولكون شوغ مرتبطًا ببلدز، كان دائمًا محاطًا بكبار القَتَلة والمرتزقة من العصابة سيئة السمعة، وكان كثيرًا ما يرتدي الألوان الحمراء، تلك الألوان المشتعلة كما كانوا يُطلقون عليها، وأما سنوب دوغ، ونيت دوغ، وداز ديلينغر (من رولينغ 20) وكوروبت (من رولينغ 60) وبيغ سايك (من آي في سي) فكانوا ينتمون إلى كريبس، وكانوا كثيرًا ما يرتدون الألوان الزرقاء.

وتحت راية ديث رو، اجتمع كلٌّ من بلدز وكريبس معًا بشروط تجارية، ولكن هذا التحالف كان دائمَ التقلُّب، ومهددًا باستمرار بالعداء التاريخي القائم بينهما، ولقد استحَرَّ القتلُ بين بلدز وكريبس عقودًا؛ لذلك كلما كانا على مقربة، كان خطر عنيف يكمن في الظل.

وفي معظم الأوقات التي دخل فيها نابليون إلى حجرة التسجيل مع باك، كان يرى أفراد العصابات المسلحين بأنواع مختلفة من الأسلحة، مصطفين أمام الحائط، وكانوا يحملون مسدسات 357

ماغنوم، وتي إي سي 9، وماغنوم 44، وغلوكس، وكان هناك عدد قليل من اللوحات أو الصور معلقة في الأستوديو، ولم تزدن جدران الأستوديو إلَّا بالنظرات الباردة من أولئك الرجال الواقفين، ولا أحد يعلم ما الأفكار الشنيعة التي تدور خلف أعينهم القاسية، وربما كان أحدهم يتذكر قتلَ أحد منافسي العصابة قبلَ ساعات قليلة، وربما كان آخر يفكر في الانتقام لعملية إطلاق نار من سيارة مسرعة، وربما كان شخص آخر يخطط لابتزاز تاجر مخدرات محلي لأنه لم يدفع، فلا يعلم ذلك إلا الله؛ فقد كانت عيونهم وتعبيرات وجوههم لا تنبئ عن شيء.

وفي الساعة 10 صباحًا في الأستوديو، عادةً ما يُعطِّرُ هواء الصباح برائحة الماريجوانا الطازجة، وكانت الخمور القوية والمشروبات الكحولية الأخرى موضوعةً في جميع أنحاء الأستوديو كأنها ماءٌ باردٌ، وكانت الأجواء في ديث رو تثير العداوةَ، والعداوةُ تثير الجدلَ، والجدلُ يحقق الأرباح.

وفي ذلك الوقت، استمتعتُ بالتسجيل في ديث رو، أكثر بكثير من إنترسكوب، وكانت الأجواء بأكملها علاجيةً على نحو غريب، وأنا أغني الراب، وحولي مجموعةٌ من البلطجية، وأحصل على المال، والخطر في كل مكان، وحولي أصدقائي، وشعرتُ كأني عدتُ إلى إيرفينغتون... والفارق هو أنني لم أكن مضطرًّا إلى القيادة إلى الأستوديو، وفي ديث رو وجدتُ الشوارع والأستوديو في مكان واحد، ولا يفعل الناسُ شيئًا سوى الشرب والانتشاء، وهو ما لم يكن مسموحًا لنا فعله في إنترسكوب... وبالنسبة إلي في تلك المرحلة من حياتي كان هذا ضروريًّا؛ لأني أحببتُ أن أكون عدائيًّا، ولم يكُن شيء يُثير فيَّ تلك العدائية أسرعَ من بعض المشروبات الكحولية، ولم أكن دائمًا أبحثُ عن المتاعب، لكنني كنتُ دائمَ التأهُّب لأن يستفزَّني أيُّ شخص بأي قول، أو أن ينظر لي نظرة لا تعجبني، وأردتُ دائمًا أن يستفزني شخصٌ ما، ويجبُ أن تفهم أني كنتُ كتلة غضب تتحرك هنا وهناك (يضحك) ولكن الحياة كانت جيدة... على الأقل كانت هذه هي الطريقة التي كنت أرى بها جودة الحياة في ذلك الوقت.

سجلنا الكثير من الأغاني خلالَ هذه الفترة الزمنية، وشاركت في أغاني - *Thug Passion*، و*Run Tha Streetz*، و*Tradin 'War Stories*، و*When We Ride*، وقد ظهرت هذه الأغاني في ألبوم (*All Eyez on Me*)، وسجلنا مجموعة كاملة من الأغاني الأخرى التي لم تصدر على الفور، فقد كنا نعمل بجِد، ولم نعمل بتلك الجدية قط، لكن كان الأمر مجزيًا، فقد كنا جميعًا نقف على أعتاب الشهرة، حتى إن ستورم (هاركنيس) انضمَّت إلى الطاقم، لتصبح العضوة الأولى والوحيدة في فرقة الأوتلو، وشاركت في عدد قليل من الأغاني في ألبوم (*All Eyez on Me*) وفي واقع الأمر، كان هناك عدد قليل من النجوم في طور الإعداد في ذلك الوقت، وانضموا لديث رو، وانضم إلينا نوتسو، الذي أصبح عضوًا فخريًّا في فرقة الأوتلو، وسجل بعض الأغاني مع باك، وقد انضم إلينا في الوقت الذي انضم فيه إم سي هامر إلى ديث رو؛ لذا ساعده ذلك على المضي قُدُمًا، ولم تكن أهمية نوتسو نابعة من مساهمته في فرقة الأوتلو فحسب، بل لأنه اعتاد إحضار أخته الصغيرة؛ كيشيا كول، وأتذكر أنها اعتادت الغناء في الأستوديو، وانظر إليها الآن؛ لقد أصبحَت ناجحة جدًّا، وهي تستحق

تحية كبيرة؛ لكونها صادقة دائمًا، وعلى طبيعتها معي، وفي الوقت الذي انضممنا فيه إلى ديث رو، لم يكن هناك من شك في مدى النجاح الذي سنحققه.

ولم تكن ديث رو، وباك مثيرين للجدل فحسب؛ بل كان لهم كذلك دورهم في تحديد الاتجاهات في هذه الصناعة، وبحلول الوقت الذي وقَّع فيه باك مع ديث رو، ازدادت شهرة مغنيات الراب؛ لأنهن «بدأن يشكلن جزءًا هائلًا من بيولوجيا هذا النوع، ويقدمن تفصيلًا غير اعتذاري لرؤيتهن وتجاربهن عن العالم الذي عشنَ فيه»[76]. وقد مهَّدَ الطريقَ لفنانات الراب رائداتٌ بارزاتٌ مثل كوين لطيفة، وإم سي لايت[77]، وكان لدى ديث رو نجمتها الرئيسة ليدي أوف ريج؛ تلك المرأة التي أُقِرَّ لها بأنها «شخصية محورية في ظهور موسيقا الراب في الساحل الغربي، وأسهمَت في الحضور السائد لنجمات موسيقا الراب»[78]، وأصبحَت أيضًا دونا هاركنيس، المعروفة باسم (ستورم) مغنية راب بارزة، ووقعت مع ديث رو، وانضمت إلى الأوتلو لتصبح العضوة الوحيدة في الفرقة، وقابلت ستورم باك في الأصل من خلال صديق مشترك، وفي ذلك الوقت لم يكن باك على علم بموهبتها الغنائية، وذات مرة أُخبر بأنها مغنية راب، فطلب منها أن تُسمعَه شيئًا له على الفور، فأثارت إعجاب باك بقدراتها الغنائية، وعلى الفور أدرك نابليون أيضًا موهبتها، وبعد أن عرف كلٌّ منهما الآخر، أُعجب مطاع بصراحتها ونفورها الشديد من الخداع، وعلى الرغم من أنهما لم يكونا يتفقان دائمًا، فقد عرف كلاهما أن جميع تفاعلاتهما نابعة من الاحترام المتبادل، والإعجاب، والولاء، وانضمَّت ستورم إلى أعضاء الأوتلو في وقت مثالي؛ فقد شاركت في كثير من الأغاني التي ظهرت في ألبوم (*All Eyez on Me*).

وعلى الرغم من إصدار *All Eyez on Me* أخيرًا في 13 فبراير 1996م، بعد أشهر من إطلاق سراح باك من السجن، فقد سُجلت المادة في أسبوعين فقط[79]؛ ما يعني أن 27 أغنية اكتملت في 14 يومًا، وقد حاز باك أيضًا قَصَب السبق بتقديم أول قرص مضغوط مزدوج يُنتَج على الإطلاق في تاريخ الموسيقا[80]، وحاز الألبوم على استحسان النقاد، وبالنسبة إلى المراجعين، كان هناك تغيير بارز في باك؛ فقد كان «ناقمًا... لا يُظهر ندمًا على حياته الصعبة، بل لا يشعر بذلك تجاه أعدائه»[81].

ولقد بدا جليًّا أن باك لم يكن يركز تقريبًا على تعزيز الوعي الاجتماعي كما كان يركز على تبرير شؤونه الشخصية.

وقد تلقى الألبوم ثناءً هائلًا، وحصل على الاعتماد الماسي في نهاية المطاف في عام 2014م[82]، وبعد أن باع ملايين النسخ محليًّا وخارجيًّا؛ فلا شك أنه أصبح علامة بارزة في تاريخ موسيقا الراب حتى يومنا هذا، ومن دون شك فإن باك، الغارق في الجدل إلى الأبد، لم ينجُ من النقاد الذين رأوا نجاحه نقمة على المجتمع لا نعمة؛ فموسيقاه تمجد (راب العصابات) و(أسلوب حياة البلطجي)، وتحرض على العنف المسلح والقتل، ومع ذلك، تشير إحصائيات إلى أنه في ذروة شعبية باك وفرقة

الأوتلو، كان معدل جرائم القتل في الولايات المتحدة بسبب الأسلحة النارية في انخفاض[83]، وكذلك كان الحال بالنسبة إلى المعدلات الوطنية الأمريكية العامة لجرائم القتل والعنف[84]، ولم يكن لدى الأشخاص الذين يربطون بين موسيقا باك وبين زيادة العنف دليل تجريبي يدعم ادعاءاتهم.

وفورَ إطلاق سراح باك، أحدثَ ضجةً كبيرة مرة أخرى في ساحة موسيقا الراب، عندما خرج من السجن، ولقد عاد بالتأكيد... لكنه عاد لينتقم، وكان لديه بعض الأمور التي عليه أن يُسوِّيَها، وعلى الرغم من ذلك كان صبورًا، فكما جاءه النجاح في وقته المناسب، فكذلك سيكون للعقاب وقته.

وبدأ باك يجني ثمارَ عمله، ويتلقى ردة الفعل الإيجابية الهائلة التي أثارها ألبومه الأخير، حتى إنه دُعِيَ لتقديم أغنية (*I Ain't Mad at Cha*) في برنامج ساترداي نايت لايف، ولأنه كان في نيويورك، حيا نابليون، والقذافي، وفيتل (عندما ذكر فيتل وفيلوني)[85] وجميع أهل نيوجيرسي في بداية عرضه، وخلالَ هذه الفترة من النجومية الصاعدة، كان منشغلًا أيَّما انشغال بالاهتمام بمخاوفه الأكثر إلحاحًا: إعداد تلاميذه الصغار، وتعليمهم كيف يكونون رجالًا مثمرين ولطفاء.

وباك كان يفعل ذلك، ونحن حوله، وفي هذه المرحلة أصبحَت فرقة الأوتلو معروفةً للجميع، وتصدَّر باك عناوين الأخبار، وظهرنا على صفحات المجلات، وكنا نُجري مقابلات، وأصبحنا مثار اهتمام العالم الموسيقي بأكمله، وكنت في غاية الاعتزاز بنفسي، وشعرت أني لا أُقهر؛ فقد كان عمري 18 عامًا، ولديَّ المال والشهرة، فماذا تتوقع مني؟! (يضحك) ولسبب ما، أردتُ دائمًا أن يعرف باك مدى قوتي؛ لذلك أتذكر هذه الحادثة بوضوح، فقد كنا متوجهين ذات مرة إلى *House of Blues*، وكان معنا بيغ سايك، وسرنا عبر طريق في الشارع، وكانت هناك حواجز على كلا الجانبين، وقد اصطف على كلا الجانبين معجبو باك وفرقة الأوتلو يحيوننا، ويصيحون بأنهم يحبوننا، ولكن كان هناك فتاة تشتم باك، وتقول: «أنت لست بشيء! اخرج من هنا، أنت مغفل غبي! أنت نكرة!» وما إن سمعتُ هذا حتى قلت: ماذا؟! باك.. ألن ترد عليها؟! بقي باك هادئًا ولم يُعِرها أيَّ انتباه، ولكني لم أستطع تحمل ذلك؛ لذلك بدأتُ في شتمها، وربما كنتُ أبصق عليها أيضًا، لا أتذكر، ويؤسفني أن أخبرَك بهذا يا أخي، لكني كنتُ جامحًا! وما إن فعلتُ ذلك، حتى ظهر رجلان أسودان ضخمان من حيث لا ندري على كلا الجانبين! لقد أخذا يقفان، ويزداد طولهما مع وقوفهما، ليصبحا أضخم وأضخم (يضحك) وبدأ هذان الرجلان الضخمان، اللذان يبدوان كالقَتَلَة، يسيران نحونا، ولم أبرح مكاني؛ فقد كنتُ خائفًا بعضَ الشيء، فقد كان حجم الواحد من هذين الرجلين حرفيًّا ضعفَ حجمي، ولكنني لم أستطع إظهارَ ذلك لباك، خاصةً أني أنا من حرَّض على كل هذا! لذلك عندما اقتربا منا، تحرك بيغ سايك نحوهما، وأوقفهما، وتحدث معهما، وكل ما استطعتُ رؤيته هو إيماؤهما برأسيهما ونظرهما نحوي، وبيغ سايك يشير إليَّ، فقد قال لي باك: «يا مطاع... إنها امرأة... وما كان ينبغي لك أن تفعل هذا، فقط افعل كما أفعل، أيها المتهور، لا تفعل شيئًا غبيًّا مثلَ هذا مرةً أخرى، وإلا فستتسبب في قتلنا هنا، ونحن هنا في الجانب الغربي، يا مطاع... ولسنا في إيرفينغتون».

وعندها عرفتُ أن باك يريد حقًّا مصلحتي، فقد كان يُعلمنا ما يجب فعله وما لا يجب، وأن التحلي بالقوة لا يعني أن تكون غبيًّا، وعاد بيغ سايك إلينا وهو غاضبٌ بعضَ الشيء، وقال لباك، وهو يُحَدِّقُ في وجهي: «من الأفضل أن تسيطر على صديقك الصغير، فهذان رجلا عصابات قاتلان من عصابة (*Rollin 60s OG Crip*)، وهذه الفتاة هي أختهما، وعليك توخي الحذر من أن تُهينَ أي امرأة هنا».

وفي بعض الأحيان، كان على باك أن يكون أبًا لنابليون، ولفرقة الأوتلو، كما كان أخًا لهم، فقد أحب رفاقه الصغار حبًّا جمًّا، ولكنه كان يهتم أكثر بمستقبلهم، ولم يكن يريدهم أن يقعوا ضحيةً للمحاكمات والمِحَن التي عانى هو منها، أو التي عانى منها كثير من الشباب السود، والآن بعد استراحة قصيرة بعد الانتهاء من ألبوم
(*All Eyez on Me*)، تمكنت فرقة الأوتلو من قضاء المزيد من الوقت في توطيد العلاقات الأخوية، وقد قيَّدَ حركتَهم حظرُ التجول الصارم الذي فرضه عليهم باك؛ لذلك كان تسكعهم محصورًا في منطقة أوكوود أبارتمنتس في الغالب، وليس في الملاهي الليلية أو الحانات، وقد عاش باك في منزله في كالاباساس على بعد نحو 30 دقيقة؛ ولم يكن ليَسمحَ للشباب السود بالتجول في العالم بحرية في غيابه، مخاطِرًا بأن تبتلعهم الشهرة والثروة، ولتمضية الوقت، كان كاسترو، وإي. دي. آي، ونابليون، وفيتل، والقذافي يستمتعون جميعًا بالمزاح في النهار، ويخبر بعضهم بعضًا بقصص الحرب من الحي ليلًا، ولإشباع رغباتهم التنافسية، كانوا يلعبون كرة الطلاء، أو أحيانًا يلعبون كرة السلة فيما بينهم، أو ضد سنوب ورفاقه، وكان من الأهمية بمكان تحديد من لديه اليد الطولى في اللعب؛ فقد كان التفاخر في أوكوود أمرًا مهمًّا، وخلالَ وقت الالتقاء الروحي ذلك، الذي كانوا يقضونه في الشقق، أُتيحت الفرصةُ لفيتل والقذافي لتقديم صديق قديم لهما عرفاه في مونتكلير؛ وهو صديقهما نوبل.

ونشأ روفوس كوبر، الذي يرجع أصله لكاليفورنيا، مع فيتل والقذافي في نيوجيرسي، وفي سن مبكرة، وقعَت والدته ضحيةً للكراك وتعاطي المخدرات، حتى أصبحت في النهاية واهنة القوى، ولما كانوا يمرون بضائقة مالية شديدة، اضطُرَّ روفوس إلى فعل ما كان يفعله الكثير من الناس، صغارًا وكبارًا، في نيوجيرسي في الثمانينيات: بيع الكراك، ومن المفارقات، أن إدمان والدته لم يؤثر فيه؛ فلكونه شابًّا بمفرده، كان عليه أن يفعل ما في وسعه للبقاء على قيد الحياة، وشعر أن بيع الكراك كان شرًّا لا بد منه، وعلى الرغم من أنه كان يجني المال السريع، كان نمط الحياة خطيرًا، واستشرف روفوس النتيجةَ الرهيبةَ التي سيؤول إليها إذا استمر في بيع المخدرات، وكان ذلك الاستشرافُ قويًّا جدًّا، حتى إنه دفعه إلى اتخاذ قرار بمغادرة مونتكلير والعودة إلى كاليفورنيا لتأمين حياة أفضل لنفسه، وحدث هذا تقريبًا في الوقت نفسه الذي سافرت فيه فرقة الأوتلو إلى باك لتسجيل ألبوم (*All Eyez on Me*) وقد سعد فيتل والقذافي لمقابلته في لوس أنجلوس، ولأنهم كانوا قريبين جدًّا، أحضراه مع باك وفرقة الأوتلو في كثيرٍ من الأحيان، بعد أن قدماه بالاسم الذي عُرِف به في

الشارع: نوبل، وكان باك دائمًا ما يسعد بمقابلة أخٍ جديد، خاصةً إذا كان صديقًا للعائلة؛ لذلك عامله بحب منذ البداية، وسيقضي نوبل بعض الوقت مع فرقة الأوتلو وباك، يرسم مرحلةً جديدةً في حياته من خلال العودة إلى المدرسة، ولقد كان مُقدِّرًا لما أولاه له باك من حب حقيقي وقبول، وكان دهشًا من مدى الترابط الأخوي بين أعضاء الأوتلو؛ وكانت مسألة وقت فقط قبل أن ينضم إلى الفرقة، ويلحق بالركب.

وبعد وقت قصير من وصول نوبل، وجد باك وفرقة الأوتلو أنفسهم، على نحو غير متوقع، يستعدون للترحيب بشخص آخر في منزل فرقة الأوتلو؛ ألَا وهو شقيق نابليون: كامل، واتصلت جدة نابليون ذات يوم به تشكو من دخول كامل في الكثير من المشكلات في شوارع إيرفينغتون، وأنه أصبح خارج نطاق السيطرة حقًّا، ولم يكن مؤمن موجودًا طوالَ الوقت، وقد بدأت سنها تكبر، ولم تعد تستطيع السيطرة على المراهقين، وتوسلت إليه أن يعتني بكامل في كاليفورنيا، فقال نابليون: إنه سيهتم به من دون شك، ولكن بعد الحصول على إذن من باك، وعندما عرض الأمر على باك، وافق باك دون تردد، فقد كان دائمًا على استعداد لمساعدة أي أخٍ محتاج، وأي شيء أفضل من إبقاء شقيق نابليون قريبًا منه تحتَ عينيه وبعيدًا عن المشكلات؟ اتصلَ نابليون بجدته مرة أخرى مؤكدًا موافقة باك، وبهذا سافر كامل إلى كاليفورنيا؛ للبقاء مع باك وفرقة الأوتلو.

وظلت الإشادات النقدية والأوسمة تنهال على باك بعد إصدار ألبوم (*All Eyez on Me*) وكان ترشيحه لكثير من الجوائز أمرًا مضمونًا، ولكن باك كان لديه سببٌ آخرُ للاحتفال، فلم ينسَ صُنَّاعُ الموسيقا هدية باك التي صَدَرت وهو في سجنه: ألبوم (*Me Against the World*) وتقديرًا لإسهاماته في التألق الموسيقي، تلقى دعوةً رسمية لحضور حفل جوائز سول ترين لعام 1996م، التي استُضيفت فعالياتها في شراين أوديتريوم في لوس أنجلوس، ولقد رُشِّحَ الألبوم لجائزة أفضل ألبوم راب، جنبًا إلى جنب مع ألبوم الفنان بون ثغز - إن - هارموني (*E. 1999 Eternal*)، وألبوم الفنان كوليو (*Gangsta's Paradise*)، وألبوم الفنان ميثود مان (*Tical*)[86]، وكان مثل هذا الترشيح لباك ذا أهمية خاصة، على الرغم من حبسه في السجن، ولقد أشار هذا الترشيح بما لا يدعُ مجالًا للشك إلى أهميته في صناعة الراب، وتأثيره القوي الذي لا يمكن إنكاره بوصفه صوتًا لأمريكا السوداء، وقد احتُفي ببراعة باك الغنائية على نطاق واسع، وسيعزز من هذا وجود فرقة الأوتلو على الساحة؛ فقد كانوا يمثلون مكسبًا حقيقيًّا، وسيكون لهم شأن في المستقبل المنظور.

وعلى الرغم من وجود سبب للاحتفال في حفل توزيع جوائز سول ترين لعام 1996م، كان هناك أيضًا سبب للقلق؛ ذلك أن (ذا نوتوريوس بي. آي. جي)، ومجموعة الراب التابعة له (جونيور مافيا) تلقوا أيضًا ترشيحات، ودُعوا إلى حفل توزيع الجوائز، وحصل الألبوم الأول للمجموعة (*Conspiracy*) «الذي ضم أغاني لليتل سيس وليتل كيم، وظهرت فيه فيث إيفانز ضيفةَ شرف»، والذي حقق نجاحًا متوسطًا، وظهر فيه على نحو متكرر (ذا نوتوريوس بي. آي. جي) على جائزة أفضل فنان جديد. وقد حققت أغنية بيغي الناجحة (*One More Chance*) رواجًا كبيرًا؛ حتى إنها

رُشِّحَت لجائزة أفضل أغنية راب لهذا العام، وبحضور باك وبي. آي. جي. وجونيور مافيا جميعًا في المكان نفسه، كان المسرح مهيئًا، لكنه لم يكن مهيئًا للاحتفال بالعبقرية الموسيقية، كما كان مقصودًا من الحدث؛ بل وفر ذلك الظروف المثالية لتصعيد الصراع بين الساحل الشرقي والساحل الغربي إلى مستويات لا يمكن تصورها.

نعم، لقد أخبرَنا باك أنه كان ذاهبًا إلى حفل جوائز سول ترين، ولم يأخذ أيًّا منا معه، وما زلتُ غيرَ متأكد من السبب، ولكنه كان رجلًا شجاعًا، ولقد اتصل بنا بمجرد أن أصبحَ في طريق عودته، وقال: إنه سيتصل بنا ليخبرنا بشأن ما حدث، وببعض التحديثات المهمة، وإننا في حاجة إلى التأهب، وأخبرَنا أنه ذهب إلى هناك، وتصادف وجود بيغز وباف هناك أيضًا مع ليتل سيس وجونيور مافيا، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يلتقون فيها وجهًا لوجه بعد إطلاق النار على باك في نيويورك، ولم يكن باك سعيدًا برؤيته لهؤلاء الأشخاص، وقال: إنه استجوبهم، وبطريقة باردة وقاسية، أخبر باك بيغز أنهم كانوا في الجانب الغربي الآن، وكان الأمر كله يتعلق بباك، وبفرقة الأوتلو، وبديث رو، فقد كان شوغ هناك أيضًا، وربما شعر بيغز بتوتر الأجواء؛ لأنه حين قبل جائزته وحيا بروكلين، لم يرُق ذلك لأحد؛ بل أطلقوا جميعًا صيحات الاستهجان عليه لقول ذلك، ولم يعد هناك حب لبروكلين في المكان بعد أن بدأ الشقاق؛ لذلك على أي حال، عندما قال باك: الجانب الغربي، كان ليتل سيس في حالة سُكْر، وأخذ يصيح قائلًا: الساحل الشرقي! الساحل الشرقي! فقال باك: تمنيتُ لو أنك كنتَ هنا معي، يا مطاع... كان يمكنك التعامل بسهولة مع هذا الرجل وتحطيمه، وظلوا يتحدثون، ثم قال: إن أحدهم سحب مسدسه، وفي تلك المرحلة تدخل الأمن لإنهاء الأمر، وفرقوا الناس بطريقتهم الخاصة، وكان باك لا يزال مستاءً وهو في طريقه إلى المنزل؛ لذلك اتصل، وأخبرنا بما حدث، وأخبرنا أنه سيواجههم بقوة الآن.

كما قلتُ، كانت هذه هي اللحظة التي كنتُ أنتظرها... بل كان جميع أعضاء الأوتلو ينتظرونها حقًّا...؛ لأننا لم نحب هؤلاء الأشخاص على الإطلاق، وقد قال باك: إنه سيسجل فيديو لأغنية *2 of Ameri kaz Most Wanted* (أكثر أمريكيَّيْن مطلوبَيْن)، أغنيته مع سنوب في ألبوم (*All Eyez on Me*) وفي هذا الفيديو سيسخر من بيغ (*BIG*) وباف (*Puff*) بشخصيتين سيسميهما (*PIG*) و(*Buff*)، وفيه يظهر ما يدور في رأس باك حولَ الطريقة التي نصبوا له بها الكمين في تلك الليلة في كواد ستوديوز، ولقد كان أسلوبًا شديدَ الجرأة في ذلك الوقت، ولكن أنا وفرقة الأوتلو، كنا جميعًا مؤيدين له؛ فقد كنا شبانًا تغلي دماؤنا، ولقد حاولوا النيل من شخص لم نَرَ منه إلَّا الحب، ولم نَرَ مانعًا من تصعيد الأمور، فقد كنا نقف على طريق الحرب.

وفي غمار غضبه من المواجهة التي حدثت في حفل جوائز سول ترين، حان الوقت لباك لتكثيف الهجوم على خصومه في الساحل الشرقي، وأخبر سربَ فرقة الأوتلو الشابَّ بالتحصن؛ لأنه كان يستعد لإطلاق الهجوم، ومن أجل المرحلة التالية من الهجوم، ضم باك مخرج الفيديو البارز غوبي رحيمي، وكان هدفه الوحيد هو أن يُعاد - بالطريقة الأكثر تعاليًا، وإهانةً، واستفزازًا - إنتاجُ ما حدث

في تلك الليلة التي أصيب فيها باك في كواد ستوديوز، في حين كان ذا نوتوريوس بي. آي. جي. وبافي في الطابق العلوي[87]، وأصبح هذا السيناريو مقدمة للفيديو الرسمي لأغنية (*2 of Amerikaz Most Wanted*)[88]، التي تُعَدُّ تعاونًا تاريخيًّا بين باك وسنوب دوغ، ويبدأ الفيديو بمقدمة تظهر (بيغي) و(باف) اللَّذَيْن يمثلان ذا نوتوريوس بي. آي. جي. وبافي كومبس بطريقة ساخرة، ويظهر (بيغي) و(باف) يهنئ كلٌّ منهما الآخر على عمل نُفِّذَ تنفيذًا جيدًا (أي تنفيذ الهجوم على باك)، وهنا يدخل باك فجأة ليقطع محادثتهما، وهو ملطخ بالدماء ومربوط بالضمادات، وتتساءل شخصية بيغي بذهول إذا كان باك ما زال على قيد الحياة، ولكن بعد ذلك سرعان ما يغير السؤال إلى الاستفسار عما إذا كان آمنًا، ليرد باك قائلًا: إنه بخير، ويرن جرس الهاتف، وتكون مكالمة من القاتل المزعوم، وبينما يجيب (بيغي) على الهاتف، يمكن لباك أن يسمع القاتل يقول: إنه نفذ المطلوب (أي نفذ الهجوم)، لكنه يسأل (بيغي) عن الذي على الهاتف، فيرد (بيغي) قائلًا: إن زوجته كانت تطمئن عليه، ويصفه باك بأنه كاذب، ويتظاهر وكأنه يخرج مسدسًا من ضمادته، وعند هذه النقطة يتوسل إليه كلٌّ من (بيغي) و(باف) لئلا يقتلهما، وبدلًا من أن يُخرج باك مسدسًا، يسحب من الضمادة سيجارة، ويخبرهما أنه لن يقتلهما أبدًا، ويطلب منهما ألَّا يشكراه على إنقاذ حياتهما، ثم يشرع في المغادرة.

ولقد كان إصدار الفيديو استفزازيًّا، وهو ما أُريد له، وقد نفى ذا نوتوريوس بي. آي. جي. وبافي مرارًا وتكرارًا أن يكون لهما علاقة بإطلاق النار على باك، وقالا: إنه ليس لهما أي مصلحة في رؤيته يتعرض للأذى بأي شكل من الأشكال، وقد بيَّن لون - فنان سابق في باد بوي - حالةَ بيغي الذهنية في الفيلم الوثائقي (نابليون: حياة عضو في فرقة الأوتلو) بقوله: «عندما وقعت الحادثة لتوباك، لاحظتُ شخصيًّا أن بيغي بدا كما لو أنه يعاني بسبب هذا الأمر؛ لأنه أوضح نوعًا ما أن العلاقة التي كانت تربطه مع توباك كانت حقيقية، وكانت رائعة جدًّا»[89]. ومع ذلك؛ كما أخبر باك كثيرًا نابليون وفرقة الأوتلو، فقد كان النفيُّ اللفظيُّ غيرَ كافٍ، وكان باك يعتقد أنهما دبرا للحادثة، وأن عليهما أن يدفعا الثمن الآن، خاصة بعد إصدار أغنية (*Who Shot Ya?*)، وكان الفيديو الساخر هو القنبلة الأولى، وليس من المستغرب أن الفيديو استُقبل بصدمة شديدة، وقد أخذ باك الآن يُذْكي نيران الحرب علانيةً، وينشر ازدراءً كبيرًا لبيغي وبافي وباد بوي ريكوردس، وبفعل ذلك، فقد أشعل أيضًا أعنف منافسة معروفة على الإطلاق بين مغني الراب في الساحل الشرقي والساحل الغربي، وفي مقابلة مع مجلة فايب في عام 1996م، قال دكتور دري: «قريبًا جدًّا... لن يتمكنَ الناسُ في الساحل الشرقي من الحضور إلى هنا بأمان، والعكس صحيح»[90]، وفي الفيلم الوثائقي (نابليون: حياة عضو في فرقة الأوتلو)، علق كاسترو على الصراع بقوله: «بالنسبة إلي، لم أرَه حقًّا على أنه أمر يتعلق بصراع بين الساحل الشرقي والساحل الغربي... على الرغم من أنه في الواقع كان نوعًا ما كذلك...؛ لأنها كانت مشكلة للأشخاص من الساحل الغربي أن ينتقلوا إلى الساحل الشرقي والعكس صحيح، لكنك تعلم أنني من نيويورك...»[91]، وربما كان التنافس بين الساحل

الشرقي والساحل الغربي نتيجةً غير مقصودة لصراع باك الشخصي مع بيغي، ولكن مما لا شك فيه أن باك أطلق العنان لسمٍّ موسيقي غير مسبوق، ولكن ما زال في جعبته ما هو أكثر سميةً من ذلك.

وكانت تلك من أشد الأوقات عدوانيةً في حياتنا، وخاصة لباك، فكل ما كان حبيسَ صدره عندما كان مسجونًا أُطلق له العنان أخيرًا خلال صيف عام 96، وبدأ الأمر بمواجهة بيغز في جوائز سول ترين، ثم تطور إلى الفيديو الموسيقي الذي صوره مع سنوب، وقد قال: إن هذا لم يكن كافيًا، وإن عليه التصعيد إلى مستوى كامل الثقة والقوة؛ فطلب من فرقة الأوتلو أن يكتبوا أكثر كلمات الراب شراسةً وينالوا بها من بيغي وبافي وفرقة باد بوي، وغيرهم من مغني الراب في نيويورك؛ مثل جاي - زي، وموب ديب، ولقد فاض به الكيل، ولم يعد بمقدور أحد كبح جماحه؛ لذلك دعانا للمساعدة على شن الهجوم، ولبينا جميعًا نداءَه، وفي ذلك التوقيت جهزوا أغنية (*Hit 'Em Up*) وأنا شخصيًّا لم أشارك فيها؛ لأنني كنتُ أفرط في الاسترخاء حينها (يضحك) وأعتقد أنني ربما كنتُ أفرط في النوم أو كنتُ أفعل شيئًا آخر عندما كانوا يسجلون، ولم أتخيل مدى التأثير الكبير الذي ستحدثه الأغنية، وقد بدأ إي. دي. آي. مين والقذافي وفيتل يسجلون الأغنية، ومضوا فيها، وكانت الأغنية وحشية، ولن أخوضَ في التفاصيل، فأنت تعرفُها، ولو كان باك يسعى إلى الانتقام، فإن أغنية (*Hit 'Em Up*) كانت أكثرَ من انتقام، ولقد كانت محاولة لتقطيع أوصال مغني الراب الذين نالوا منه وانتزاع قلوبهم، وقد شعرنا أن ذلك كان أمرًا ضروريًّا في ذلك الوقت، فالسلام يتحقق من خلال شن الحرب؛ وفقًا لمكيافيلي.

وكان صيف 1996م بلا شك صيفًا لا يُنسى، خاصة في مجال الرياضة؛ فقد عادت الألعاب الأولمبية إلى أمريكا في أتلانتا، لكن ذلك الحدث الذي كان مقامًا للاحتفال بتلاقي البلدان المختلفة عكَّر صفوَه قنبلةٌ أنبوبيةٌ كان الإرهاب المحلي مسؤولًا عنها[92]، وعاد مايكل جوردان في أول موسم كامل له بعد اعتزاله المبكر في عام 1993م، وفي صيف عام 1996م، فاز فريق شيكاغو بولز ببطولة الدوري الأميركي لكرة السلة للمحترفين، وسجَّل أرقامًا قياسية في الموسم العادي في معظم الانتصارات[93]، وقد أثبت جوردان - كما حدث مع باك - أنه يمكن للمرء أن يصمد أمام المِحَن، ثم يخرج منها ليعيد ترسيخ هيمنته في مهنته، وفي مجال صناعة الموسيقا، لم يكن في ذلك الصيف حدث أبرز من إصدار أغنية (*Hit 'Em Up*)، التي عُدَّت من قبل الكثيرين أكثرَ الأغاني وقاحةً على الإطلاق، وقد أُصدرت الأغنية بعد أسابيع قليلة فقط من إصدار الفيديو الموسيقي الناري (*2 of Amerika's Most Wanted*) واحتوت الأغنية على اتهامات بذيئة، واغتيالات معنوية وحشية، وأعلنت الحربَ رسميًّا على كثير من مغني الراب في الساحل الشرقي (وهم: جونيور مافيا، وجاي - زي، ونوتوريوس بي. آي. جي، وموب ديب). وإمعانًا في الإهانة، اقتبسَت الأغنيةُ من أغنية (Get Money)، التي سجلتها مجموعة جونيور مافيا قبلَ عام واحد فقط، مع تغيير القفل (*get money*) إلى (*take money*) وكانت تداعيات إصدار الأغنية غير متوقعة، ولم يعرف أحد كيف ستؤثر في فن أو أسلوب موسيقا الراب، ولا كيف ستؤثر في صناعة الموسيقا، ولا كيف ستُستقبل

في الأحياء السوداء، ولكن بالنسبة إلى باك، كانت هذه أقلّ مخاوفه؛ فقد مثلت الأغنية له إعلان حرب رسميًّا؛ وكانت إيذانًا بأنه ماضٍ على طريق حرب لا مكانَ فيها للأسرى، وبالنسبة إلى نابليون وفرقة الأوتلو، كانت الأغنية إعلانًا بأنهم أكثر رفقاء باك ولاءً، وأنهم أقوياء، وجامحون، ومستعدون للقتال معه في الخنادق.

ومع ارتفاع شعبية باك وفرقة الأوتلو، انطلقوا في جولات مع ديث رو في جميع أنحاء البلاد: في الغرب الأوسط، وفي الساحل الشرقي، ومن دون شك في الساحل الغربي، وكانوا يقدمون عروضهم في الملاعب الممتلئة عن آخرها على الصعيد الوطني؛ وسط صيحات كثير من المعجبين برؤية باك وفرقة الأوتلو يؤدون عرضًا مباشرًا لأول مرة، وكان ألبوم (*All Eyez on Me*) مثيرًا للجدل بلا شك، ولكن ازدحام أماكن العروض كان يدل على حقيقة أنه على الرغم من القيود المجتمعية الضاغطة، فإن ديث رو كانت تفعل شيئًا صحيحًا، وكان الجدل جزءًا أساسيًّا من نموذج أعمال ديث رو؛ لأنه كان مربحًا، وكان النجاح الهائل للألبوم دليلًا على ذلك، وفي هذه الجولة الأخيرة، سعى شوغ إلى صب المزيد من الوقود على النار التجارية التي كانت ديث رو تُشعلها في جميع أنحاء البلاد، وتماشيًا مع نموذج أعماله، قرر دعوة مجموعة راب صاعدة، شكلها أحد أبرز مغني الراب في الصناعة ومن أكثرهم إثارةً للجدل، وكان اسم المجموعة هو (كوشن) وقد أسسها أوشيا جاكسون، الذي اشتُهر باسمه المسرحي آيس كيوب.

ولم يكن آيس كيوب تابعًا لديث رو، ولم يكن في حاجة إلى ذلك؛ فقد أثبت نفسه بالفعل بوصفه فنان راب أسطوريًّا، وكان آيس كيوب، المعروف على نطاق واسع بأنه أحد رواد موسيقا راب العصابات، عضوًا في مجموعة الراب (*Niggaz Wit Attitude*) الشهيرة (غالبًا ما يُشار إليها اختصارًا بإن. دبليو. إيه)، التي تشكَّلَت في عام 1987م[94]. وقد تشكلت إن. دبليو. إيه في الأصل من إيزي - إي، ودكتور دري، وآيس كيوب، وإم سي رين، ودي جي يلا، وقد تناول ألبومهم المثير للجدل (*Straight Outta Compton*) موضوعات أثَّرَت في مجتمع السود، ولكن «لم تكن قد عُرضت بصراحة بعدُ (في أمريكا) على مثل هذا الجمهور العريض في أي نوع من الموسيقا»[95]، ومع ذلك، لم يكن من بين جميع الموضوعات التي تناولتها أغانيهم ما هو مثير للجدل مثل قضية مواجهة اليد الثقيلة لسلطات إنفاذ القانون في المجتمع الأسود، وصدرت أغنية بعنوان (F - Tha Police) بوصفها احتجاجًا لاذعًا من إن. دبليو. إيه ضدَّ وحشية الشرطة، وتضمَّنَت صراحةً «سلسلة من التهديدات والتخيلات العنيفة حولَ الانتقام من الشرطة»[96]، وفي الحقيقة، عُدَّ هذا أمرًا مثيرًا للفتن وصارخًا في ذلك الوقت، حتى إن مكتب التحقيقات الفيدرالي أرسل خطابًا إلى إن. دبليو. إيه. يشكو من أن الأغنية «شجعت على العنف ضد ضباط إنفاذ القانون وعلى عدم احترامهم»، وأن «مجتمع إنفاذ القانون (يعترض) على مثل هذا التصرف»[97]. وبحلول الوقت الذي انضمت فيه كوشن إلى جولة ديث رو، كان آيس كيوب قد سطَّر اسمه بالفعل في سجلات الراب بوصفه أحدَ

الشخصيات المركزية والمثيرة للجدل؛ وأي شيء مرتبط به كان سيؤدي إلى تضخيم إثارة جولة الهيب هوب، التي كانت مثيرةً بالفعل.

وقد آتت كوشن ثمارَها؛ لأن آيس كيوب، مثل باك، قرر توسيع نطاق وصوله من خلال إنشاء مجموعة فرعية من شباب الراب الواعدين تحت رعايته، وأسس آيس كيوب شركته الخاصة (*Lench Mob Records*)، وأنشأ المجموعة التي تتكون من رونالد مور، الملقب بغونزو، وصديقَيْ مور: سي، وكايدو[98]، وكان غونزو في الأصل من لوس أنجلوس، وكان له أسلوبه الفريد في النظم الغنائي، الذي صقلته التجارب القوية التي مر بها في أثناء نشأته في لوس أنجلوس، وما كان لشوغ أن يُفَوِّتَ تلك الفرصة، فدعا غونزو وكوشن في جولة مع ديث رو. وأحب نابليون غونزو من أول لقاء، ووطَّدا علاقة من شأنها أن تستمر مدى الحياة.

وعندما كنتُ أكبر، مع بداية انتشار موسيقا الراب في المشهد الموسيقي، لم يؤثر فيَّ مغنو الراب في الساحل الشرقي؛ لأنهم لم يكونوا رجال عصابات بمعنى الكلمة، ولكن إن. دبليو. إيه. وكذلك آيس كيوب، كانا دائمًا من مغني الراب المفضلين لديَّ، وكنت أُكِنُّ لهما الكثير من الاحترام؛ نظرًا لتأثيرهما في المشهد الموسيقي، وعندما جاءَت مجموعته الشابة الجديدة، كوشن، في جولة معنا، كان ذلك رائعًا؛ لأننا كنا جميعًا في العمر نفسه تقريبًا، وكان نجمي المفضل غونزو في المجموعة، وقد أحب كلٌّ منا الآخر منذ أول لحظة، ولقد كان الأمرُ ممتعًا؛ لمقابلة شباب جامحين آخرين في لعبة الراب، وظللتُ أنا وغونزو دائمًا قريبَيْن، وكنتُ دائمًا أحترمُ حقيقةَ أنه لم يكن خائفًا من خوض غمار المتاعب، وكان يحمل روحًا قتالية، مثلي تمامًا، وكان شجاعًا، ولقد أثبتَ لي ذلك في حادثةٍ وقعَت في وقت لاحق؛ وذلك عندما اضْطُرَّ هو وأخي كامل إلى مواجهة ثمانية أو تسعة رجال في أحد الملاهي الليلية، ولقد أُصيبا بأذى شديد، واضطُرَّا إلى الذهاب إلى المستشفى، واحتاجت جروحهما إلى غُرَز والكثير من العناية، وكان عليَّ أن أنتقمَ لهما، ولكني احترمتُ غونزو بعد هذا الموقف؛ فالولاءُ في ذلك الوقت كان يعني كل شيء.

وقد حقق التعاون بين كوشن وديث رو نجاحًا كبيرًا، ومع الجولات التي كانت تجري على قدم وساق، والتي جذبت الجماهير في جميع أنحاء البلاد، انتهز باك كل فرصة للترويج، لا لأغانيه ولفرقة الأوتلو فحسب، بل أيضًا لرسالةٍ شخصيةٍ لاذعة للغاية، وفي جولة يوم 4 يوليو 1996م، قدم باك، وفرقة الأوتلو، وسنوب دوغ، وديث رو عرضًا حيًّا لا يُنسى في مسرح (*House of Blues*) في هوليوود، وقد أدَّوا كثيرًا من الأغاني الكلاسيكية، وكان أبرزها (*2 of Amerikaz Most Wanted*) و(*Hit 'Em Up*)، وكان باك في الغالب يتحدَّثُ مع الحشود بين الأغاني، ولكن في أحد هذه الأحاديث، أفصحَ عن عدائيته تمامًا[99]، ولقد كان الأمر شديدَ الوضوح: لقد كان في حالة حرب مع بيغي، وباد بوي ريكوردس، والساحل الشرقي، وأي شخص آخر ينوي إثارة الغضب، وما من أحد يستطيعُ فعل أي شيء لإيقافه.

ولم أستطع أن أصدق كيف نجحنا في الانتشار السريع في ذلك الوقت القصير، فلقد صرنا في كل مكان: في المذياع، والصحف، والمجلات، ونقيم الحفلات الموسيقية، وكانت مبيعات تسجيلاتنا تتزايد على نحو هائل، وبالنسبة إلى المراهق يقف على خشبة المسرح أمامَ الآلاف من الناس، وينظر إلى ملاعب كرة القدم المليئة عن آخرها بأشخاص أتَوْا ليرَوْنا نؤدي... كان الأمر غيرَ واقعي، وحين نسترجعُ ما مضى، بالنسبة إلى شخص بهذا العمر، كان الأمرُ يفوق الحدود، وقد بذل باك قصارى جهده لإبقائنا مركزين على عملنا، وقد شعرتُ أنه لا يمكن لأحد أن يقترب مني، ولقد شعرنا جميعًا في فرقة الأوتلو بذلك، وشعر باك بذلك، ولقد كسبنا الكثيرَ من المال، وفعلنا كلَّ ما نريد، ونذهب حيث نشاء، ونشتري كلَّ ما يحلو لنا، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل ما من مكان ذهبنا إليه، إلَّا وكنا نستفزُّ الساحلَ الشرقي بأكمله ليردوا علينا، وعلى الرغم من أن ذلك الوقت كان أكثر الأوقات نجاحًا بالنسبة إلينا، فإنه كان أيضًا الأكثرَ خطورةً، ولم يكن أحدٌ منَّا يعرفُ كيف ستكون نهاية هذا الأمر... لكنا كنا نعلمُ أنها لن تكونَ نهايةً جيدةً.

الفصل التاسع
اللؤلؤةُ المفقودةُ

«أصعبُ ألمٍ شعرتُ به على الإطلاق»

مطاع بيل

سجَّل مطاع وكامل وصولهما في مطار لوس أنجلوس، وانتظرا بصبر في صالة رجال الأعمال، وكانت الساعة الثانية صباحًا، وكانت رحلتهما ستغادر إلى نيوآرك في غضون ساعة واحدة؛ لذا سيصعد الركاب قريبًا، وآمل أن تتعافى الجدة، يا ربِّ، أتم شفاءها، وأرجوكِ يا جدتي، تماسكي، سأكون بجوارك قريبًا يا جدتي، وكان مطاع قد تلقى اتصالًا من العمة جميلة قبل أيام قليلة يفيد بأن الجدةَ نُقلت إلى وحدة العناية المركزة بالمستشفى، وأصبحَت فاقدة للوعي.

وفي أثناء جولة مطاع، كان يتلقى مكالمات دورية حولَ الحالة الصحية لجدته، وكانت حالتها تتدهور، وتدخل المستشفى، وتخرج منها على نحو متكرر، وقد كانت الجدةُ، كبيرةُ العائلة، البالغةُ من العمر 74 عامًا، تكافح مع ارتفاع ضغط الدم لبعض الوقت، وقبل اتصال العمة جميلة بأسابيع قليلة أُصيبت بنوبة قلبية ثانية، وكانت امرأةً قويةً، ولكن العلاج، والزيارات، والألم، كلُّ ذلك بدأ يُثقل كاهلها، وكانت كلما تحدث معها مطاع عبر الهاتف تؤكد له أنها ستكون بخير، وأنها ستتعافى، وكان هذا عادةً يطمئنه، وكانت تقول: إنه يعمل بجد في كاليفورنيا، ولا تريد أن تثير قلقه طوال الوقت، ولكنه عرف حقيقة الوضع هذه المرة.

وبعد أن أغلق الهاتف مع العمة جميلة قبل بضعة أيام، لم يكن يعرف ماذا يفعل، ولم يكن يدري بِمَ يجب أن يشعر، وفي حالات القلق، غالبًا ما يدعو الناس، وينتظرون الإجابة، ويجدون منافذ لإبعاد عقولهم عن الأمر؛ يلجؤون إلى الأصدقاء، ولكن مطاعًا سحب مسدسًا من طراز 357، وقال: إذا ماتت جدتي، فأقسم إني سأنالُ من شخصٍ ما، وأتوعد بذلك! صادف ذلك وجود القذافي في الغرفة معه.

فقال القذافي: «اهدأ يا مطاع، لماذا تسحب مسدسك؟».

قال مطاع وهو يُعبّئ مسدسه بالرصاص: «ليسَت الأمور على ما يُرام! جدتي يا رجل! لا، يا رجل!».

قال القذافي وهو يسند رأس مطاع على كتفه: «ستكون الأمور على ما يُرام يا مطاع، ستكون على ما يُرام يا رجل، فهل هذا ما سيحل المشكلة؟! أعطني هذا المسدس». وأخذ المسدس ببطء من يده المرتعدة، وأخرج الرصاص، ووضع المسدس على الطاولة أمامَهما: «ليست هذه هي الطريقة التي يجب أن تتعامل بها مع الأمور، ستكون بخير، وعليك أن تهدأ وتنتظر، وستتعافى الجدة».

اتصل مطاع بباك، وأخبره أنه يجب عليه العودة إلى نيوجيرسي على الفور، وأن كاملًا سيذهب معه أيضًا، وأعرب عن أسفه، وأن جدته في حالة سيئة، فأخبره باك أنه لا داعي للأسف، وأنه يتوجه بخالص الدعاء له ولها، وأنه سيكلف مولي؛ مساعدتَه الشخصية، بالترتيب لرحلة العودة في غضون ساعات قليلة، ولما سمع باك الخوفَ في نبرة صوت الشاب مطاع، أوصاه أن يظل قويًّا، وذكَّره بأنه كان بين أحضان الموت أيضًا... وأن القوة هي التي أطلقَته من ذلك الأسر، واتصلَت مولي بمطاع بعد ذلك بوقت قصير، وأعلمَته بخط سير الرحلة، وأخبرَته أن أول طائرة تمكنَت من حجز تذكرتَيْن عليها لن تُقلعَ في غضون الساعات القليلة القادمة، ولكن يُمكنُهما الانتظار بصالة رجال الأعمال بالمطار حتى المغادرة.

وقد كان الوقت الآن الثانية والنصف صباحًا، والصعود الآن للسادة ركاب الرحلة رقم UA 2041 المتجهة مباشرةً إلى نيوآرك، وعلى السادة ركاب الدرجة الأولى الانتقال إلى البوابة، مع توفير بطاقة الصعود إلى الطائرة في متناول اليد.

واستعد مطاع وكامل للصعود إلى الطائرة: سُوَيعات يا جدتي، ونصِلُ إليك، أعدُك بذلك، تماسكي أرجوكِ، يا إلهي، احفظها، فلقد كنتِ على ما يُرام في آخر مرة رأيتُك فيها، أرجوكِ، وبعد أن حصل نابليون لنفسه على مقعد مريح للغاية في الدرجة الأولى، حاولَ أن يُغمضَ عينيه وينام، ولكنه لم يستطع: أُحبك يا جدتي، وقد حاولَت مضيفة الطيران مرارًا وتكرارًا أن تُقدِّمَ له وجباتٍ، ولكنه رفض.

- «هل كل شيء على ما يرام يا سيدي؟».

- «أرجو ذلك...».

وبعد خمس ساعات مرهقة، هبطت الرحلة أخيرًا في مطار نيوآرك الدولي، وهبط مطاع وكامل من الطائرة، وحملا حقائبهما، وركضا خارجَ المطار، حيث كان مؤمن وريف في انتظارهما: لم يبقَ إلا 30 دقيقة ونصل إليك يا جدتي، وكان مؤمن منتظرًا بالخارج، متكئًا على سيارته الجديدة من طراز BMW 525 ذات اللون العنابي، ومن الواضح أنه أصبح ثريًّا.

وعندما رآهما مطاع، صاح: «مرحبًا مؤمن، مرحبًا ريف!»، وتوجه كلٌّ منهم سريعًا نحوَ الآخر، وصافح كلٌّ منهم الآخر، وتعانقوا عناقًا أخويًّا طويلًا.

وقال مطاع: «مرحى! مرحى! يا لها من سيارة رائعة يا أخي، تهانينا! أنت تستمتع بالقيادة الآن!». نظر مؤمن إلى الخلف إلى الـ BMW وهو يومئ برأسه، ويفتر ثغره عن ابتسامة تُرى أسنانُه بالكاد منها.

قال مؤمن: «أنتما تبدوان على ما يُرام يا أخوَيَّ»، ناظرًا إلى مطاع وكامل.

وقال ريف: «تُسعدُني رؤيتك، يا مطاع، كيف الأخبار يا كامل؟».

كان بإمكان مطاع أن يُدرك أن هناك شيئًا قد تغير؛ فقد كانوا عادةً يُلقون النكات، أو يمزح بعضُهم مع بعضٍ بطريقة ما؛ على قَصَّة شعر فلان المضحكة، أو أيدي فلان التي تعاني من حساسية تجاهَ المستحضر، ولم تكن هناك نكاتٌ، ولا ضحكٌ، ولم يكن ثمةَ شيء سوى الابتسامات المؤلمة.

«نعم، لوس أنجلوس كانت جيدة بالنسبة إلي، فلا أُنكر ذلك، وأنتما جميعًا تبدوان على ما يُرام، فكيف أخباركما؟ هل أنتما مستعدان؟ دعنا نذهبْ إلى المستشفى يا رجل، فيجب أن أرى الجدة في أسرع وقت ممكن».

نظر مؤمن حوله مدة وجيزة، وحدق في الأرض، ثم أومأ برأسه برفق بإشارة النفي قائلًا: «لم تصمد الجدة... لقد ماتَت هذا الصباح»، قال ذلك، وأطلق الدموع التي كان يحاول أن يحبسَها في عينيه.

يا للمصيبة! يا للمصيبة! لم أستطع أن أحظى بفرصةٍ لرؤيتها، فقد كنتُ مشغولًا للغاية في لوس أنجلوس، وكانت جدتي على فراش الموت، ولقد ماتت، حتى قبلَ أن تسنحَ لي الفرصة للهبوط... لم أستطع أن أصدق ذلك... ولم أكن أرغبُ في أن أبقى حيًّا بعدها، ولقد كان الخبر مزلزلًا لي؛ ولنا جميعًا، وبخاصة كامل؛ فقد اعتدنا جميعًا على النوم في غرفنا، عندما كنا أصغر سنًّا باستثناء كامل... كان ينام في السرير نفسه مع الجدة حتى بلغ سن التاسعة، ولقد كان مرتبطًا بها إلى حدٍّ كبير جدًّا، وكانت شديدةَ اللطف معنا جميعًا، ومهذبة، ولطيفة مع الغرباء، ولقد أحبَّتنا من صميم قلبها، وجعلتنا نركز على المدرسة، وأبقتنا بعيدًا عن المتاعب، وأعلم أن الجميعَ يقولون ذلك، ولكنني أشعر حقًّا أنها كانت أعظم جدة على الإطلاق، ولقد تمنيتُ حقًّا أن أراها قبلَ وفاتها، وكنتُ أود أن أخبرَها كم أحببتُها، وكم كانت تعني لي، وتمنيتُ حقًّا أن أتمكن من شراء المنزل الذي وعدتُها به، ولقد قُتل أبي وأمي عندما كنتُ صغيرًا، وقد تكون هذه مصيبةً كبيرةً لأي شخص، لكنني لم أكن مرتبطًا بهما بشدة، فقد كنتُ مجرد طفل، وربتني جدتي.

ومع رحيل أمي وأبي، أصبحَت الجدة كلَّ شيء بالنسبة إلي، ولكن هذا مُقدَّر ومكتوب، وقد سبق سهمُ القدر، وبعد موتها صرتُ ساخطًا على الدنيا، ولم يهدأ هذا الغضب قطُّ، بل ازداد مع كل شخصٍ جديدٍ فقدتُه.

ولقد حزِن باك أيَّما حزنٍ على موت جدة مطاع، وطلب منه ألّا يحملَ همَّ شيء، وأن يبقى قويًّا، وأخبره بأنه سيتكفل بجميع مصاريف الجنازة، ولقد أعرب عن رغبته في السفر إلى نيوجيرسي؛ لحضور مراسم الجنازة، ولكن التزاماتِه بالتسجيل حالت بينه وبين ذلك؛ فأرسل والدتَه؛ أفيني، نيابةً عنه، وكذلك سافرَت والدة كاسترو، غلو؛ لحضور مراسم الجنازة، وتقديم العزاء الواجب، وكانت الوحدة الأخوية، والدعم، والحب الحقيقي الذي منحه باك لفرقة الأوتلو أمرًا لا يُصدق ومثاليًّا.

وانتهَت مراسمُ الجنازة، ودُفِنت جدة مطاع في 15 يوليو 1996م.

الفصل العاشر
ليس هناك شيءٌ شخصيٌّ

«حبُّ الساحل الشرقي»

مطاع بيل

بدأتُ أفقد الإحساس بكل شيء، وبدأَت الحياة تفقد أهميتها. نعم، لقد كنتُ مشهورًا، ونعم، لقد كان لديَّ المال، وكنتُ أستطيع أن أفعلَ كلَّ ما أُريد، ولكن لا شيء من هذا يمكنه أن يعيدَ إليَّ جدتي؛ فقد رحلَت، وبدأتُ أشعر بغضب أفقدني الإحساسَ بكل شيء، وقد زاد الأمرُ سوءًا؛ لأنني بدأتُ أُسرف في الشرب؛ فقد كنتُ أحاول أن أنسى الألم.

وكلما شربتُ أكثرَ، قل شعوري، وكلما شربتُ أكثرَ، زادَت عدوانيتي، وزاد عدمُ اكتراثي، وأيًّا كان ما يحدث، لم أعد أشعر بشيء، فكل ما أردتُ فعله هو الاسترخاء في إيرفينغتون بعض الوقت؛ لاستيعاب ما حدث للتو، فلا شيء مثل الاسترخاء في المنزل وجمع شتات نفسك، والحديث مع ريف ومؤمن ورودي حولَ أخبارهم، والتسامر مع أصدقائي مايك، وراب، و(سي)، وشلبي، وإخبارهم بما كانت عليه الحياة في لوس أنجلوس. ونعم، كنتُ أجلس في المنطقة بالتأكيد، ولم تكن الشهرة لتجعلَني أسيرَ المنزل، وصحيحٌ أن هناك أشخاصًا سيحاولون إبراز أنفسهم بالنيل منك... ولكن كان هذا جزءًا من الأمر، وكنتُ مستعدًّا لأي شيء.

وسيبقى نابليون وكامل في إيرفينغتون بعض الوقت؛ لأنهما حَزِنا على فراق جدتهما، ولم يكن نابليون مضطرًّا إلى تقبُّل الطريقة التي سيَمضي بها قُدُمًا في تعامله مع الأمور فحسب، بل كان عليه أيضًا تقبُّل أن الشخصَ الوحيدَ الذي كان بمقدوره أن يجعلَ الحياة مستساغةً له قد رحل، ولم يستطع نابليون البالغ من العمر 18 عامًا أن يتأقلم مع تلك المصائب غير المتوقعة (فقدان صديقه... وابن عمه... والآن جدته) فلجأ إلى السُّكْر، وكان ذلك لأن اضطرابًا مثل هذا كان مربكًا ومؤلمًا: ليس لنابليون فحسب، بل لأي إنسان ذاق مرارة فَقْد أحد أفراد أسرته، فالناس يعالجون ألمَ الفقد بطرق مختلفة، ولكن في ذلك الوقت، كان السُّكْر والنشوةُ هما الشكل الوحيد المتاح له من العلاج.

والآن مع وفاة جدتهم، انصب تركيزهم على التواصل مع العائلة والأصدقاء، ورؤيةُ ما مر به باك جعلَت نابليون يُقَدِّر رفاقَه أكثرَ من ذي قبل؛ فأحيانًا لا يكتشف المرء حقيقة الصداقة إلَّا في الشدائد، وقد كان رفاقه معه دائمًا في السراء والضراء، وفي محنة باك، شهد نابليون عن قرب بعض (أصدقاء) باك يتخلَّون عنه عندما تصاعدت أزمته، وكان على نابليون أن يُظهر الحب لأصدقائه

المخلصين لبقائهم على إخلاصهم، وفيما يتعلق بالحياة في الحي، سرعان ما علم أن إيرفينغتون لم تتغير كثيرًا، فالناس لا يزالون يبيعون الكراك، ويتسكعون في المنطقة، والحياة لا تزال صعبةً، وكان الموت والخطر لا يزالان دائمًا قابَ قوسين أو أدنى، وعلى الرغم من انخفاض معدلات الجريمة انخفاضًا طفيفًا، فإن إيرفينغتون كانت لا تزال «تشهد معدلات جرائم عنف أعلى من مدينة نيويورك»[100]، وهي مدينة يزيد عدد سكانها 100 ضعف على سكان إيرفينغتون، ولم يكن ثمة شيء يثير قلق نابليون، ومع ذلك ملأ مؤمن وريف ورودي منطقة تشانسلر أفينيو والشوارع بجيشٍ على أتم الاستعداد من الجنود المتفانين.

نعم، عندما عدتُ، كان من الجنون أن أرى مدى سيطرة عائلتي على الأمور، فلقد بنَوْا لأنفسهم مكانةً، وقد أكدوا لي بمجرد أن وَطِئَت قدمي أرضَ إيرفينغتون أنهم قد اتخذوا إجراءاتِ تأمين إضافيةً من أجلي، وكنتُ قادرًا على النأي بنفسي عن المتاعب - بلا شك، لكنهم أدركوا أن ثمة بعضَ الحمقى الذين يسعَوْن للحصول على بعض لحظات الشهرة، ولو لثوانٍ معدودة؛ لكن كان عليهم أن يجتازوا الكثير من الأشخاص ليتمكنوا من فعل ذلك، ولقد فوجِئْتُ أيضًا باكتساب الهايتيين مكانةً في حيي، ولقد أصبحَت السيطرة لنا ولهم بالأساس، ولقد كان هذا الأمر غريبًا نوعًا ما بالنسبة إلي؛ لأنني لم أعهدهم على هذا النحو من قبلُ، وأخبرني مؤمن عندما كنا نتحدث عنهم ألا أُقللَ من شأنهم؛ فهم شجعان، وخاضوا بضعة اشتباكات معه، ومع ريف، ورودي، ومع منطقة تشانسلر أفينيو، ولا تُثنيهم أي تهديدات؛ لذلك كان هذا نوعًا ما مختلفًا، وفيما عدا ذلك، ظل كل شيء - إلى حد كبير - على حاله: كنا نتسكع في المنطقة، ونضايقُ الشرطة، ونشرب، وندخن الحشيش، ونثير المشكلات، وتلك الأمور المعتادة... ولم أكن أستمتع حقًّا بتدخين الحشيش؛ لأنني مررت بتجربة شديدة السوء في لوس أنجلوس (يضحك)، وكنتُ أقول: إن هذا الشيء سامٌّ، ولا يمكنني العبث به! ولكن خلال هذا الوقت من حياتي ربما لم أتحَلَّ بالرصانة يومًا، وكنتُ دائمَ الشجار مع شخصٍ ما؛ لأنني كنتُ دائمًا عدوانيًّا، وأحمد الله أن الأمور لم تصل قط إلى حد الخطورة؛ لأنه كان من السهل جدًّا أن تصل إلى هذا الحد، وكنتُ لا أزال أكتب في أثناء وجودي هناك؛ فقد كان باك على وشك بدء التسجيل لألبومه التالي (*Makaveli*)؛ لذلك كان عليَّ أن أُبقي مهاراتي الغنائية مصقولةً.

وذات يوم، بينما كان نابليون جالسًا في شرفته مع كامل وعدد قليل من رفاقه، سأله أحدهم: «يا نابليون، لماذا يفعل باك تلك الأشياءَ الجنونيةَ؟».

فردّ نابليون: «ماذا تقصد يا أخي؟».

- «يا أخي، إنه يهاجم الشرقَ بقوة، الذي هو منطقتك يا رجل، نحن لا نُكِنُّ أيَّ شيء سوى الحب لكم جميعًا ولباك».

- «نعم، يا رجل... ليس الأمر شخصيًّا، صدقني، ولكن لو أنك عانيت ما عاناه هذا الرجل ولو يومًا واحدًا، فسترى كل الحماقاتِ التي رآها، والرجال الذين ينالون منه بطريقة غير لائقة، ولقد مر بكل

هذا، ولا يتعلق الأمر بالساحل الشرقي حقًّا؛ فهو من نيويورك ونحن من الشرق! ولكن الأمر يتعلق بباد بوي، وبكل من يحاولون النيلَ منه».

- «نعم، أفهمُك يا مطاع، لكننا لا نعرِف كيف سينتهِي هذا على الحقيقة، فالأمر يزدادُ خطورةً هنا، والناسُ يُقتلون بسبب هذا».

- «ليس الأمر بهذه الخطورة؛ أعني أن باك لا يأبَه بذلك، وإذا أرادوا الانتقامَ فليفعلوا، ولكن في الوقت الحالي، الأمورُ مستقرةٌ، ولا يريد باك أن يَلحق ببيغز أيُّ أذى بسبب هذا، وأؤكد لك أني سمعتُ هذا منه بنفسي، وكان كل ما أراده أن يعرف الجميع كيف كان يشعر تجاهَ الأشياء التي حدثت له».

وفي الوقت الذي كان نابليون يحاول فيه تخفيف حدة التوتر بين الساحل الشرقي والساحل الغربي، كان ما يحدث على الساحة الموسيقية مختلفًا، فقد وجه باك صفعةً قويةً لمعظم الساحل الشرقي بأغنية (*Hit 'Em Up*)، وقد رُدَّت إليه صفعات مضادة، ما بين تلميح من طرف خفي، وأغانٍ كاملة مشحونة بالإهانات، ولم تُؤدِّ الإهانات التي وجهها باك - على الرغم من شراستها - إلى تثبيط مغني الراب في الساحل الشرقي؛ فقد أصدر ناز وجاي - زي أعظمَ الألبومات الكلاسيكية خلالَ صيف 1996م، وأصدر ناز ألبوم الأستوديو الثاني، الذي حصل على الشهادة البلاتينية المزدوجة، وأصدر جاي - زي ألبومه الأول (*Reasonable Doubt*)، الذي حصل على الشهادة البلاتينية، وقد أدخلته البراعة الشعرية في ألبومه في دائرة الأسماء التي تُطرَح في النقاشات حولَ أفضل مغني راب في مدينة نيويورك.

اتخذ جاي - زي وبيغي مسار التلميح في ردهما، ففي ألبوم (*Reasonable Doubt*)، تعاون أسطورتا الراب أخيرًا؛ ليُشيدا بمسقط رأسَيْهما في أغنية (*Brooklyn's Finest*) وقربَ نهاية الأغنية، يشير (ذا نوتوريوس بي. آي. جي.) إلى الشائعات القائلة: إن زوجته في ذلك الوقت، فيث إيفانز، كانت على علاقة بتوباك (أحد الادعاءات الواردة في أغنية *Hit 'Em Up*): «إذا أنجَبَت فيث توءَمًا، فمن المحتمل أن يكون لديها *Tu-pacs* (ابنان). أفهمت؟..*Tu-pacs*»[101].

أما موب ديب فاتخذوا النهجَ الأكثر صراحةً، وأطلقوا أغنية (*Drop a Gem on 'Em*)، التي كانت أغنية ترويجية لألبومهم الثاني (*Hell on Earth*) وكانت أغنية (*Drop a Gem on' Em*) ردًّا مباشرًا على إهانات باك في أغنيته (*Hit 'Em Up*)، وهو رد قال برودجي (عضو في موب ديب): إنه كان ضروريًّا للغاية: «قلتُ: إنه يتحدث عن صحتي، هو لا يعرفني ليتحدث عن (أمور) من هذا القبيل، ولم أدخل في أي صراعٍ مع توباك، ولم أذكر اسمَه مطلقًا... لذلك رأيتُ أنه أيًّا كان الأمرُ، فما عليَّ إلَّا أن أتعاملَ مع ذلك....»[102].

وقد كان نابليون الآن في حالة تأهب قصوى، يولي اهتمامًا كبيرًا للأغاني والكلمات الغنائية التي أُصدرت بغرض الانتقام، وكان لا بد له من جمع معلومات استخبارية مهمة؛ إذ كان هو وفرقة الأوتلو يستعدون لشن هجمات مضادة في أحدث مشروعات باك (*Makaveli*) وكان نابليون يتواصلُ على نحوٍ دوري مع إخوانه؛ للوقوف على آخر تطورات الأمور فيما يتعلقُ بالألبوم، وأخبره كاسترو أن الأمور تزداد جنونًا في الأستوديو، وأن على نابليون العودة للاستماع مباشرةً لما كان يحدث، وأنهى باك للتو أغنية بعنوان (*Hail Mary*)، وكان نظمه يسير في اتجاهات لم تطرق آذانهم من قبلُ، ولقد كان باك مختلفًا تمامًا، حتى إنه كان مختلفًا عما ظهر عليه في ألبوم (*All Eyez on Me*) وفي الواقع لقد انتهى باك؛ وأصبح الآن رسميًّا (الدون ماكافيلي).

وعلى الرغم من أن باك كان يشن حملة غنائية على أعدائه خلالَ هذا الوقت، لم يغب عن ذهنه أن أحد جنوده الأوفياء لم يتمكن من المشاركة في المعركة بسبب مصابه الأليم في جدته، وكان باك حزينًا على فقد الجدة ماري؛ فقد كان شديد الإعجاب بها؛ لعلمه كيف بذلَت جهدًا كبيرًا لتربية نابليون في ظل ظروف صعبة، ولكي يقدم احترامه لها، وإظهار حبه لها، وليضمن أن ملايين المعجبين سيتذكرون جدة نابليون، عندما يتغنَّوْن بموسيقاه، أخذ هدنة من حربه الغنائية؛ ليُكرِّمَ الجدة ماري:

(من أغنية *Lost Souls*)

ارقدي بسلام يا جدة مطاع[103]

(ومن فاصلٍ بعنوان *Ain't Nothin Wrong*)

أوجه هذه الكلمات لجدة مطاع،

وأوجه حبي لجدة مطاع،

ارقدي بسلام، ولتأخذ الملائكة روحَك[104].

أراد باك أن يُذَكِّرَ نابليون أنه حتى في غيابه، كان دائمًا معه لدعمه، وأن باك سيفي بالوعد الذي قطعه على نفسه عندما التقيا لأول مرة في نيويورك؛ بأنه سيكونُ سندًا لنابليون مدى الحياة، في السراء والضراء.

وفي الوقت الذي استعد باك وفرقة الأوتلو فيه لشن حملة مضادة، رحبوا بأحدث مجند ينضم للجبهة: نوبل، وقد كان نوبل يعيش مع فرقة الأوتلو في مجمع أوكوود بضعة أشهر، وقبلها كان قد اعتاد على إجراء زيارات متكررة لهم في عطلة نهاية الأسبوع، حتى اقترح باك أن ينضم إليهم على نحو كامل، وأعرب باك عن تقديره لرغبته في العودة إلى المدرسة، ولكنه اقترح تأجيل ذلك مؤقتًا؛ لاقتناص الفُرَص الأكثر ربحًا التي خطط لها باك، ولم يؤمن نوبل برؤية باك له فحسب، بل آمن

أيضًا بروح فرقة الأوتلو، وكما فعل إخوانه نقش كلمة (أوتلو) على ساعده الأيسر، التي ترمز إلى إخلاصه الأبدي للرمز.

وبعد الانتهاء من ألبوم (*All Eyez on Me*)، حدث توقُّف بعض الوقت، ولكن بدأَت الأمورُ تتحرك؛ إذ كانت فرقة الأوتلو تستعدُّ لتجهيز أغاني ألبوم (*Makaveli*) ودونَ علمهم، احتفظ نوبل في كثيرٍ من الأحيان بدفتر ملاحظاته الخاص الذي كان يستخدمه أحيانًا لكتابة أغاني الراب، وخلال نشأته، كانت الكتابة أمرًا علاجيًّا للغاية بالنسبة إليه، وكانت مرفًا إيجابيًّا يهرب إليه من صراعات الحياة، وفي أحد الأيام، كان إي. دي. آي، وكاسترو، وفيتل يستمعون إلى بعض أغاني الراب التي كتبها، والتي فاجأَتهم تمامًا، فكيف كنتَ معنا طوالَ هذا الوقت ولديك مهارات الراب تلك التي لا نعرف عنها شيئًا؟ أنت مذهلٌ يا أخي! أعجبهم، وذهبوا إلى الأستوديو معًا، وجربوا ما يمكنهم فعله معًا، ولقد أنتجوا أغنية تجريبية مجتمعين: نوبل، وكاسترو، وفيتل، وما إن شعروا بالرضا عن المنتج النهائي، حتى أطلعوا باك عليها، ولقد أذهلَت الأغنية باك: نوبل، أهذا الذي أسمعه في الأغنية هو أنت، أليس كذلك؟! أين كنتَ يا صديقي؟ طلب منه باك أن يُسمعه شيئًا آخر، وسحب نوبل دفتر ملاحظاته، الذي كان مليئًا بأغاني الراب التي كان يكتبُها مع مرور الوقت، واستمع إليها باك، وأحب نظمه، واقتنع به باك على الفور، ورحب رسميًّا بالعضو الأحدث والأخير في فرقة الأوتلو: يَنْغ نوبل.

وقد عاش معنا يَنْغ نوبل مدة من الزمن، وقد كنتُ أنا وهو مقربَيْن؛ لأننا تآلفنا منذ البداية، وعندما اتصلتُ بالشقة في يوم من الأيام، أظن أن فيتل أو كاسترو - لا يمكنني أن أتذكر - رد عليَّ قائلًا: لقد انضم يَنْغ نوبل لنا للتو، فقلت: انضم إلى ماذا؟ إلى فرقة الأوتلو؟ لقد فوجئتُ؛ لأنني لم أكن أعرفُ أنه يمتلك مهاراتٍ من هذا القبيل، ولكنني كنتُ سعيدًا؛ لأنه أثبت بالفعل أنه كان صديقًا مخلصًا طوالَ الأشهر التي قضاها معنا، بل إنه حصل على وشم فرقة الأوتلو قبلَ أن يُغَنِّيَ سطرًا واحدًا معنا؛ لذلك كان ملتزمًا. ولقد اتصل بي باك بعدَ أيام، وقال لي: هل أنت مستعد؟ فقلت: مستعد لماذا، يا باك؟ قال: استعد للعودة إلى هنا؛ لأننا على وشك الانتهاء! قلتُ: الانتهاء من ماذا؟ لا تقل: إنك تقصد الانتهاء من الألبوم! لقد بدأتم للتو!! قال: نعم! إنهم يعملون... وليس الأمر بلعبة، ونحن نأخذ الأمر على محمل الجد، ونعمل بلا هوادة؛ لذا انضمَّ إلينا في أقرب وقت ممكن؛ حتى تتمكن من المشاركة في هذا، يا مطاع، وفي ذلك الوقت، كنتُ في المنزل بضعة أسابيع أحاول إعادة تهيئة نفسي مع الحياة، ولكن كان الأوان قد آن بالتأكيد للعودة إلى الأستوديو، وقد كنتُ أتشوق للعودة، ولقاء إخواني في فرقة الأوتلو، وكنتُ متحمسًا للقاء نوبل بعدَ أن أصبح عضوًا في فرقة الأوتلو، وأن أرى كيف سنَمضي قُدُمًا بوصفنا مجموعةً انضم إلى صفوفها جندي جديد، واتصلَت بي مولي، ربما بعدَ يوم أو يومين، ورتبَت لسفري أنا وكامل على متن الرحلة التالية للعودة إلى لوس أنجلوس.

والآن بعدَ أن استُدعي نابليون رسميًّا مرة أخرى إلى لوس أنجلوس، بدأ الاستعداد لمغادرةٍ تشوبها مشاعر مختلطة؛ فمن ناحية، كان متحمسًا للعودة إلى باك وفرقة الأوتلو في أستوديو التسجيل؛ ومن

ناحية أخرى، كان قد بدأ للتو في الاستمتاع بالتواصل مع الأصدقاء والعائلة القدامى، وهو يحزم أمتعته استعدادًا للذهاب إلى المطار، دخل ريف ومؤمن إلى غرفته.

قال ريف، ونابليون يجهز حقيبته: «يا مطاع، لقد كان ذلك سريعًا، يا أخي، اعتقدتُ أنك ستمكث معنا بعض الوقت».

- «نعم، وأنا سأفتقدكم أيضًا، يا رجل، أحبكم جميعًا، ولكنني سأسافر، باك دخل في مرحلة الجد! أخبرني أصدقائي أن الأمور مشتعلة بالفعل في هذا الألبوم، ويجب أن أطرق الحديد وهو ساخن!».

فردّ عليه ريف: «فليكن إذن، اذهب، وباشر أعمالك، فباك رجل حقيقي».

فقال مؤمن: «لقد اشتريتَ ملابس مجنونة! ما هذا؟ هل أنت ذاهب إلى عرض أزياء؟!».

ضحك نابليون، وقال: «يجب أن أبدو أنيقًا، أنت تعرف أنه لا يمكنني أن أبدو مثل شحَّاذ يركب سيارة باك الرولز رويس!».

قال مؤمن وهو يضحك، ويرنو بعينيه ببطء نحو السقف: «نعم، لقد أصبحتَ ثريًّا الآن، لقد نسيتُ». توجه ريف نحوَ الحقيبة ليحملها إلى السيارة.

قال ريف: «أليسَت هذه الحقيبة ثقيلةً جدًّا، يا أخي؟ المطار يدقق في مثل هذه الأشياء يا رجل».

فردّ، وهو يبتسم مع غمزة بعينه لمؤمن وريف: «لا توضَع علينا تلك القيود يا رجل؛ فنحن من أصحاب الدرجة الأولى الآن، لا تقلق». حمل ريف الحقيبة، وغادر الغرفة متجهًا إلى السيارة.

سأله مؤمن: «متى ستعود؟».

«لا أعرف حقًّا... ربما في الشتاء، وقد نُجري جولة أخرى بعد ذلك. سوف أتصل بك بالتأكيد، وأُعلمك بالأخبار».

قال مؤمن وهو يصافح مطاعًا، ويعانقه عناقا قويًّا: «على أي حال، اعتنِ بنفسك، وابقَ آمنًا، فلا يمكننا تحمُّل فقدان شخص آخر... الحياة قصيرة، أحبك».

- «أنت تعرفُ بالفعل كم أحبك يا أخي... سوف أعتني بنفسي... وأنت أيضًا، اعتنِ بنفسك». وبعدَ أن تعانقا، نظر كلٌّ منهما للآخر لحظة.

قال نابليون: «وأنت، خذ حذرك من هؤلاء الفتية الهايتيين الذين يعادونك! قد يقطعون وجهك!»، وضَحِكا معًا.

شقَّ نابليون وكامل طريقَهما عائدَيْن إلى لوس أنجلوس، وكان أمام نابليون رحلة طويلة؛ لذلك حرص على الحصول على قسط كافٍ من النوم، فسوف يدخل في المعمعة ما إن تطأ قدمه أرض مطار لوس أنجلوس؛ لذلك كانت فكرةً جيدةً أن يغتنم الفرصة لاستعادة طاقته، وبعد بضع ساعات من الطيران، هبط أخيرًا، ونزل من الطائرة، وأخذ أمتعته من صالة تسلُّم الأمتعة، وشرع يغادر المطار، وعلى الرصيف مباشرةً أمامَ بوابة الخروج من المطار كان كاسترو، وإي. دي. آي. ويَنْغ نوبل يقفون ويتحدثون فيما بينهم بجوار السيارة المرسيدس بنز السوداء، التي وفرتها لهم ديث رو، وكان من المفترض أن يكونَ فيتل أيضًا معهم، ولكن كان عليه أن يسافر في أمر طارئ إلى نيوجيرسي؛ لذلك لن يكون في لوس أنجلوس بعض الوقت، وشاهد نابليون كاسترو، وإي. دي. آي، ويَنْغ نوبل قبلَ أن يلاحظوه خارجًا من أبواب المطار.

صاح نابليون: «مرحبًا، كاسترو، مرحبًا إيدي، مرحبًا نوبل! كيف أخباركم؟!». وعندما سمعوا صوت نابليون استداروا على الفور تجاهه.

فصاحوا جميعًا صيحةَ رجل واحد: «مرحبًا مطاع! مرحبًا كامل!».

قال كاسترو، وهو يستقبلهما بالأحضان: «كيف حالكما؟ تسعدني رؤيتكما يا رجل».

قال نابليون: «بخيرٍ يا رجل، سعيد بالعودة إلى لوس أنجلوس».

قال إي. دي. آي.: «تسعدني رؤيتك يا رجل».

قال يَنْغ نوبل: «مرحبًا بعودتكما، أيها الجنديان». وتناوبوا جميعًا على المصافحة والعناق.

ردّ نابليون: «ونحن كذلك يا أخي، سعيدان برؤيتكم».

قال كامل: «نعم، تُسعدني رؤيتُكم جميعًا، فكيف أخباركم؟».

وفي حين كان كاسترو يساعد نابليون على وضع حقيبته في صندوق السيارة، مازحه قائلًا: «ما هذا الوزن الجنوني؟! ماذا؟! هل تُخبِّئُ داخلَها بعضَ الأشخاص؟!».

يقول نابليون ضاحكًا: «لا، لا، ليس فيها إلا ملابس فحسب يا أخي».

قال كاسترو: «عزائي في وفاة جدتك، أعلم أن الأمرَ لم يكن سهلًا عليك».

وقال يَنْغ نوبل متأثرًا: «نعم، يا رجل، رحم الله روحها، يا مطاع».

قال إي. دي. آي.: «لقد كانَت امرأةً طيبةً، يا رجل، عاملتنا كأسرتها... سلام على روحها».

توقف نابليون، وشَرَد لحظة، ثم قال: «أشكرك يا أخي».

كان عليه أن يتوقف لحظة؛ ليُعيد استيعاب حقيقة أن جدته قد ماتت، اللعنة... لقد رحلَت جدتي، يا رجل، شكرهم كامل أيضًا على تعازيهم، وبعد أن وضع كاسترو الحقيبة في السيارة، ركبوا جميعًا في السيارة، وسرعانَ ما ذهبوا إلى مجمع أوكوود.

وعندما وصل أعضاء الأوتلو إلى الشقة، كان باك موجودًا بالفعل، ولكن بدلًا من إقامة حفلة ترحيب بنابليون، حياه باك وحيا كاملًا، وأخبرهما أنه يفتقدهما، وطلب من نابليون أن يستريحَ قليلًا؛ لأنهم سيدخلون إلى الأستوديو في غضون نصف ساعة، وكان باك قد انتهى تقريبًا من تسجيل جميع الأغاني، وكان المهندسون للتو يضعون اللمسات الأخيرة على التسجيلات، ومع وصول نابليون، أراد باك أن يسارع في إنهاء أغنية أخيرة، ولا يريد أن يضيع أيَّ وقت، واستطاع نابليون أن يشارك في أغنية (*Life of an Outlaw*) آخر أغنية في الألبوم، وبعد تسجيلها كان ألبوم (*Makaveli*) قد انتُهِيَ منه في سبعة أيام فقط[105]، وأثار إنتاج باك الإبداعي دهشة شوغ نايت؛ ففي غضون أشهر قليلة تمكن من إنتاج ثلاثة من ألبومات الأستوديو الأربعة التي اتفقا عليها في أثناء توقيع (عقد المنديل) بسجن كلينتون ماكس.

والآن بعد أن أنهى باك الألبوم، كان يستعد لرحلة، برعاية شوغ نايت وديث رو، إلى جوائز إم تي في الموسيقية في نيويورك، التي ستُستضاف فعالياتها في 4 سبتمبر في قاعة موسيقا راديو سيتي، وكان باك في العادة يُناوب بين من سيرافقه في رحلاته عبرَ البلاد، ولما رأى أن هذه ستكون المرة الأولى التي يعود فيها إلى نيويورك بعد إثارة التوترات الساحلية بأغنيته (*Hit 'Em Up*)، قرر أن يأخذ نابليون، ويَنْغ نوبل، والقذافي، وإي. دي. آي، وسيبقى كاسترو في الشقة، في حين سيتوجه فيتل من نيوجيرسي للقائهم عند وصولهم إلى نيويورك، ومع وجود رصيد هائل لهم في الشارع، كان لدى نابليون، والقذافي، ونوبل جيش من الجنود الأوفياء في نيوجيرسي على أتم الاستعداد، وجاهزون لحماية باك وفرقة الأوتلو، حين يأتون إلى الشرق، وبالنسبة إلى باك، كان هذا ضروريًّا؛ لأنه كان على وشك الدخول في منطقة معادية، وبحلول الوقت الذي وصل فيه باك مع شوغ على طائرته الخاصة، كان نابليون قد دعا بالفعل أكثرَ جنوده ولاءً من إيرفينغتون؛ لحمايته في مدينة نيويورك، وقد لبَّى نداءَه 20 من رجال العصابات الحقيقيين في إيرفينغتون، ودعا القذافي ويَنْغ نوبل وفيتل جنودهم الأوفياء من مونتكلير، ولبى دعوتهم 25 صديقًا، وفي المجمل، كان هناك ما يقرُب من 45 تابعًا، جميعهم من الساحل الشرقي، وجميعُهم مستعدون لخوض الحرب دفاعًا عن باك وفرقة الأوتلو.

وقد كانت قاعة موسيقا راديو سيتي تعجّ بالمشاهير في مجالي الرياضة والترفيه: من دينيس رودمان إلى شارون ستون إلى فرقة أيروسميث إلى إل. إل. كول جيه[106]، وفي تلك الليلة التقى ممثلون، وممثلات، وموسيقيون، وعارضات، ورياضيون، في بيغ أبل للاحتفال بالموهبة الإبداعية، وقد حقق حفل توزيع جوائز إم. تي. في. نجاحًا كبيرًا، وعلى الرغم من أن باك لم يفُزْ بجائزة أفضل فيديو راب لهذا العام التي رُشّح لها عن فيديو (*California Love*)، كان لا يزال يشارك بدرجة كبيرة

في الاحتفالات؛ لكونه مرشحًا إلى جانب سنوب دوغ لأفضل فيديو هارد روك في جائزة العام، وكان مجرد وجود باك بمنزلة تأكيد على أنه نجح بالفعل؛ ومع الجدل الذي كان يُثيره، لم يكن أمام التيار السائد سوى قبوله في مرتبته العليا.

وكان نابليون وفرقة الأوتلو حاضرين، ومستعدين لأي شيء قد يحدث، ولكن تبين أن الحفلَ كان هادئًا نسبيًّا، ومع انتهاء العرض، كانوا جميعًا يستعدون لحضور حفلة ضيوف إم تي في، التي كانت ستُعقد في متنزه براينت على بعد خطوات[107]، وغادر نابليون المكانَ، والتقى أصدقاءه من إيرفينغتون خارجَ قاعة الموسيقا، وكانت الخطة بالنسبة إليهم الانتظار في الخارج لمرافقة باك إلى المتنزه، ومع استعداد باك للمغادرة، سيبدأ بعضهم في السير على الأقدام إلى المتنزه، في حين سيقود بعضهم الآخر سياراتهم، مع التأكد من جعل سيارة باك الليموزين في المنتصف؛ لتكون السيارات أمامَه وخلفَه، وكان يَنْغ نوبل، والقذافي، وفيتل بالفعل خارج قاعة الموسيقا، يسيرون في الأرجاء، مستعدين للتوجه إلى المتنزه حين يصدر الأمر، وكان نابليون ورفاقه يقفون خارج القاعة أيضًا، ومع اصطفاف حاشية فرقة الأوتلو بأكملها على جانبَي الشارع، بدأَت سيارة باك الليموزين تتحرك ببطء، واقترب وسلم على يَنْغ نوبل والقذافي وفيتل وهم يقفون في الشارع، وصاح باك من نافذة السيارة وهو يُنزل زجاجَها: «مرحبًا، أرى الأصدقاء من مونتكلير هنا، هل أنتم بخير؟!».

قال يَنْغ نوبل، والقذافي، وفيتل معًا: «نعم، نحن بخير يا باك!».

وأضاف القذافي: «نعم، نحن بخير».

وقال يَنْغ نوبل: «كلٌّ شيء على ما يُرام!»، وأومأ باك برأسه، واستمر في القيادة قليلًا، ثم توقف عندما وصلَت السيارة إلى نابليون، وأخرج رأسه من النافذة، وصاح قائلًا: «مرحبًا يا مطاع، كيف الحال يا صديقي؟».

فصاح نابليون: «ما أخبارك، يا باك؟! كيف حالك، يا أخي؟ كان العرض مثيرًا! لقد نجحت!».

قال باك: «كل شيء على ما يُرام، أليس كذلك؟! أنت بخير؟!». فأمسك نابليون بأسفل قميصه الأبيض، ورفعه قليلًا حتى وصل فوق خصره، فبدا خلفَ حزام سرواله المقبض الأسود اللامع لمسدس ماغنوم 357.

وقال نابليون: «نحن بخير يا باك»، وأومأ برأسه، وربت بحذر على خصره وهو يترك قميصه لينسدل، ونظر إلى الوراء إلى أصدقائه من إيرفينغتون، يستطلعهم بسرعة للتأكيد، ثم نظر إلى باك، وكرر: «نعم، نحن بخير».

قال باك: «هذا ما أتحدث عنه! مونتكلير وإيرفينغتون يحميانني! سأراكم جميعًا هناك بعد قليل!»، ورفع زجاج النافذة، وانطلق.

وفور وصولهم، شق باك، وفرقة الأوتلو، وشوغ، وسنوب، وأتباع ديث رو، وحاشية فرقة الأوتلو، طريقهم داخل متنزه براينت، وفي أثناء توجههم إلى منطقة صالة الضيوف، سمع باك أحدهم يناديه باسمه، فقد كان ناز، وكان متوجهًا نحوَه من مسافة بعيدة، وكان ناز أيضًا قد أحضر معه حاشية كبيرة من نحو 20 من الأصدقاء المقربين، وكان خلافٌ صغيرٌ قد وقع خلف الكواليس بين مجموعة باك ومجموعة ناز في حفل جوائز إم تي في، قبل فترة وجيزة[108]، ولم يُسفر هذا الخلاف عن شيء كبير، لكن هذه المرة أراد باك أن يرى ما الذي يريد ناز قولَه، فقد كان لديه موقف يجب أن يُنهيَه.

نعم، أنا وفرقة الأوتلو كنا هناك في حفلة ضيوف إم تي في، وكنتُ أنا، ونوبل، والقذافي، وفيتل، مسلحين، وكنتُ أنا وأصدقائي من إيرفينغتون؛ وفيتل، ونوبل، والقذافي وأصدقاؤهم من مونتكلير، في حالة تأهُّب قصوى لأي حدث قد يحدث، ولكن كانت الأمور هادئةً، وأعتقد أن باك كان يُجري مقابلةً في ذلك الوقت، وفجأةً توقف ومشى، فقلتُ: إلى أين هو ذاهب؟ نظرتُ حيث مضى فإذا ناز يشق طريقه إلينا، فقلت: لا! ما أَغنى ناز عن كل هذا! لقد اشتبكنا للتو مع أحد رفاقه منذ فترة قصيرة، وباك على وشك أن يُلقِّنه درسًا، ويضعَه في حجمه إلى الأبد؛ لذلك تبعْنا باك، نحو 40 أو 50 شخصًا، وكان مع ناز أيضًا عددٌ قليلٌ من الجنود يقفون خلفَه، ربما 20 أو 25 شخصًا، والتقى باك وناز في المنتصف، ووقف كلُّ جيشٍ خلفَ قائده، وكان المشهد أقربَ لفيلم، يلتقي فيه ملكان في المنتصف وجيشاهما وراءَهما في انتظار إشارة البدء لإطلاق العنان للجحيم، هذا ما بدا عليه الأمر، وكنا نفوقهم عددًا؛ لذلك أحطنا بهم نوعًا ما، وأتذكرهم في الواقع يقولون لباك: رجالك يضيقون علينا الخناق، ويقتربون جدًّا منا، فقد كنا ننظر إليهم، ونحدق فيهم، وهم ينظرون إلينا، ويحدقون فينا، ونشتمهم ويشتموننا، وهكذا طوالَ الوقت ونحن جميعًا نضعُ أيديَنا على مسدساتنا متأهبين لأن يعطينا باك الإشارة، وقد كان باك وناز لا يزالان يتحدثان، لكننا لم نتمكن من سماع ما قالاه بسبب الضوضاء، وظننا أن الأمورَ على وشك أن تندلع، ثم فجأةً رأيتُ باك وناز يتصافحان ويعانق كلٌّ منهما الآخر كأخوَيْن، وصرف ناز رجالَه، وفعل باك الشيء نفسَه، لقد صُدمت! قلتُ لنفسي: ماذا يحدث؟! ألن ننال من هؤلاء الأوغاد؟! عاد باك إلينا، وقال: إن الخلافات قد انتهت، فلقد التقيا كما يلتقي الرجال الكبار، وكان الأمر برمته مجرد سوء فهم كبير، ولقد أبدى الاحترامَ لناز، وقال ناز: إنه لا يُكِنُّ لباك سوى الحب، فكنتُ دهشًا؛ لأني لم أتوقع ذلك على الإطلاق، ولكن يجب عليَّ أن أقولَ: إن باك رجلٌ بمعنى الكلمة، وتعامل مع خلافاته تعاملَ الرجال... وأنهاها كما يُنهيها الرجال.

وعندما التقى باك وناز معًا للمرة الأولى، ساد التوترُ في البداية، واعتقد باك أن أحد الأبيات في إحدى أغاني ناز حديثة الإصدار *The Message* (الرسالة) من ألبومه الثاني *It Was Written* (كان مكتوبًا)، كان يُلمِّحُ إليه بالإهانة[109]، وردًّا على ذلك، كان باك يستعدُّ لشن هجوم شامل على ناز بأغنية بعنوان *Against All Odds* (ضد كل الصعاب)، التي ستظهر في ألبومه القادم (Makaveli) ولكن ناز أوضح بسرعة لباك أنه ليس مقصودًا بتلك الأبيات في أغنية (The Message)، وأنه يُكِنُّ احترامًا كبيرًا لباك، ومع استمرارهما في الحديث في وسط متنزه براينت،

أصبح من الواضح على نحو متزايد أن العداء بينهما كان ببساطة بسبب سوء الفهم؛ وأن أيًّا منهما لا يحمل سوء نية تجاه الآخر، وأكدا احترامهما المتبادل، ومع صفاء الأجواء الآن، وعد باك ناز أنه عندما سيعود إلى لوس أنجلوس، سيزيل بعض الكلمات من أغنية موجهة لناز؛ فقد دُفنت الأحقاد بينهما إلى الأبد، وتصافحا، وتعانقا عناقًا أخويًّا، وفي الواقع، عرض باك لقاءه مرة أخرى في فيغاس بعد أيام قليلة لو كان هناك، وهو العرض الذي رحب به ناز[110].

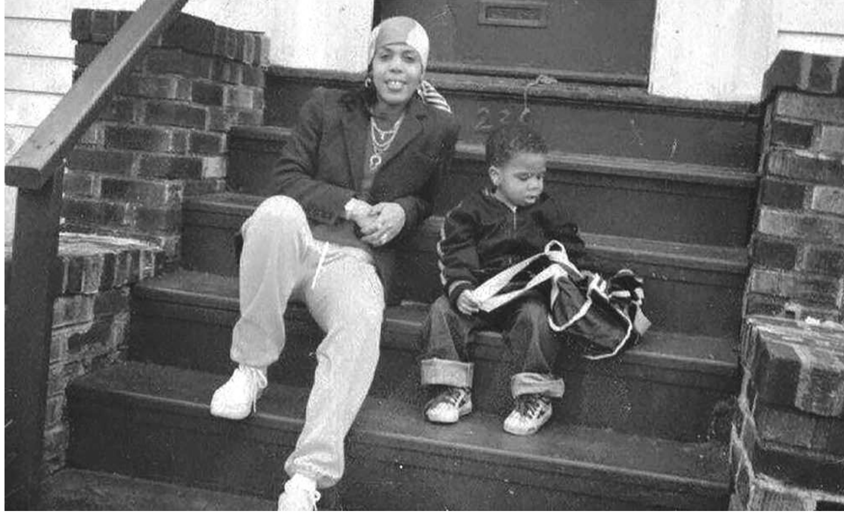
ومن المهم جدًّا توضيح أنه لم يكن هناك خلافات حقيقية مع الساحل الشرقي بأكمله... بل كان الأمر شخصيًّا مع عدد قليل من مغني الراب الذين تصادف كونهم من نيويورك، وكما قلتُ من قبل: لقد وُلد باك في نيويورك، وبدا الأمر كما لو أن وسائل الإعلام هي التي روَّجت لتلك المزاعم أكثرَ من أي شيء آخر، وهذا مثال ممتاز على مدى حبه للشرق حدث بعد فترة وجيزة من تلك الحادثة مع ناز، ربما في اليوم التالي أو الذي يليه؛ ولستُ أمزح حين أقول: إن باك أخذ بضعة آلاف من الدولارات في رُزَم من فئة المئة دولار، وكان يسير في شوارع مانهاتن، ويوزع 100 دولار على كل شخص[111]، وظل يقول: أترى؟ أحب الناس هنا يا رجل! ليس بيني وبينهم شيء شخصي! أحب نيويورك! من دون شك صُدم الناس من رؤية هذا الرجل يقدم أموالًا مجانية، ولكن هذا ما كان عليه باك، وإذا كان هناك ما أصفه به، فقد كان رجلًا حقيقيًّا بمعنى الكلمة، وكان ما في قلبه هو ما على لسانه، ولم يكن حقًّا يثير أي خلافات بين منطقتَي الساحل الشرقي والساحل الغربي، بل كان يُظهر الحب الذي لديه.

وثمة سبب آخر يجعلني أعرف على وجه اليقين أنه لم يكن هناك خلاف مع الساحل الشرقي بأكمله، وهو أنني أتذكر أنني كنتُ دائمًا رائعًا معجبًا بفات جو، أسطورة نيويورك، وفي الحقيقة، في ذروة كل هذه الأحداث، لم أكن أستمعُ إلى مغني الساحل الشرقي كثيرًا باستثناء فات جو وبيغ بون[112]، فقد كانا كلاهما من بورتوريكو، وكان احترامي لتراثي البورتوريكي ولفات جو احترامًا كبيرًا، وكنتُ أعرف أن بالساحل الشرقي من يحبون باك، وسمعتُ ذلك مؤخرًا من فات جو شخصيًّا[113]، وقد أخبرني أنه كان يُجري حديثًا إذاعيًّا على محطة Hot 97، في الوقت الذي كان باك فيه محبوسًا، وسُئل عن الخلافات الساحلية، وكان فات جو يحب بيغز، ويعرفه جيدًا، ولكن في الوقت نفسه لم يكن لديه مشكلات مع باك، وفي المقابلة، بدلًا من أن يلعب على الجانبين، ولكونه من برونكس، قال فات جو: إنه لا يفهم سبب كراهية الناس لنيويورك، ولسوء الحظ، سمع رجاله في السجن الذي كان فيه باك ذلك، وظنوا أنه ينالُ من باك، ووصل الكلام إلى فات جو من خلال غريغ نايس، الذي كان مقربًا من باك، أنهم يصعبون الأمور على باك في السجن، فقال فات جو: إن الأمور لن تصل إلى هذا الحد، وقال: إنه ليس لديه مشكلات مع باك على الإطلاق، ولم يكن هذا ما قصده عندما تحدث عن الخلافات في - المذياع، وفي الواقع بسبب مكانة باك وما يمر به، أخبر فات جو رجالَه في السجن أن يهتموا بباك، ويعتنوا به، وكان هذا كله حبًّا من فات جو، وقد أخبرني باك أن الأمر لم

يكن متعلقًا بنيويورك ولا بالساحل الشرقي؛ وقد كان اعتناء فات جو به دليلًا رائعًا على ذلك، وكان باك دائمًا ينظر لذلك بعين التقدير.

ومع تصفية الخلاف مع ناز، ونشر الحب في نيويورك، كان باك جاهزًا للانتقال إلى المرحلة التالية في حياته، ولم يكن يقصد قط أن تصل الخلافات بين الساحل الشرقي والساحل الغربي إلى الحجم الذي وصلَت إليه، وكان يأمل في توضيح هذا الموقف أكثر فأكثر مع مرور الوقت، ومع ذلك، كان عليه أن يُرجئَ جولات الصلح بعض الوقت؛ إذ كان على باك وفرقة الأوتلو الاستعداد لرحلة مهمة أخرى: هذه المرة إلى فيغاس، فقد حثّه شوغ بشدة على حضور مباراة على لقب البطولة في لاس فيغاس بين مايك تايسون وبروس سيلدون، التي كانت في السابع من سبتمبر في ساحة إم جي إم غراند، وعلى الرغم من انشغاله بارتباطات شخصية مُلِحَّة كان يريد حضورَها، فوافق باك على مضض، وعاد إلى لوس أنجلوس للاستعداد.

مَعرِضُ الصُّوَر



مطاع بيل وأمه عقيلة بيل.



مطاع مع تريفون (تري) لين.



مطاع يستجم في دبي مع شبل أسد أبيض نادر.



من اليسار إلى اليمين: نابليون مع أصدقائه مكادوشيس، وموبريم شاكور، وكامل بيل، وبيغ سايك.



نابليون مع ستيف لوبيل (أقصى اليسار) في صالون حلاقة بلاتينوم كوتز.



من اليسار إلى اليمين: مؤمن بيل (موني)، وكامل، ومطاع.



من اليسار إلى اليمين: فرقة الأوتلو يقفون لالتقاط صورة، إيدي مين، وكاسترو، ونابليون، ويَنْغ نوبل.



مؤمن ومطاع في رحلتهما الى المملكة العربية السعودية.



من اليسار إلى اليمين: التسكع في المنطقة مع كامل، وعليم، وآنت، وشاتك (يجلس القرفصاء)، وجيل.



نابليون مع المنتج الأسطوري جوني.



مطاع مع شوغ نايت.



في ساحة تسوق في الرياض، المملكة العربية السعودية.



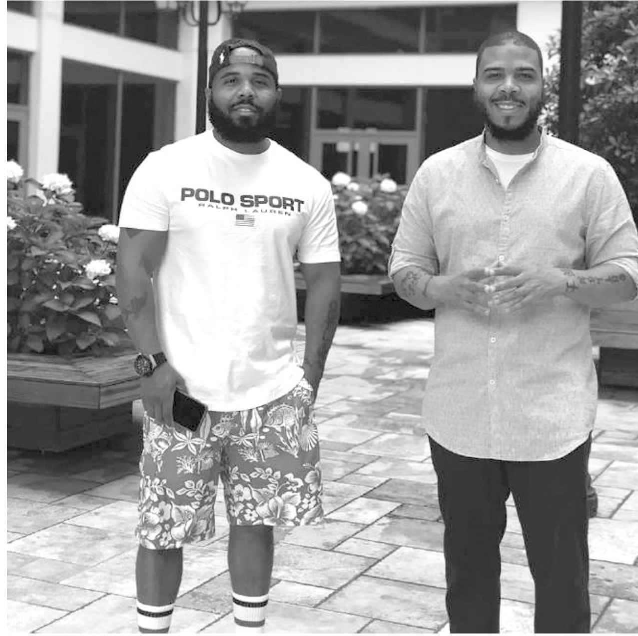
بعد أشهر قليلة من اعتناق الإسلام.



مطاع مرتديًا ماركة الملابس Thirty3 رسميًّا، وهو مشروع تجاري بدأه مطاع، مع محمد الأفغاني، وسليمان جنكيز.



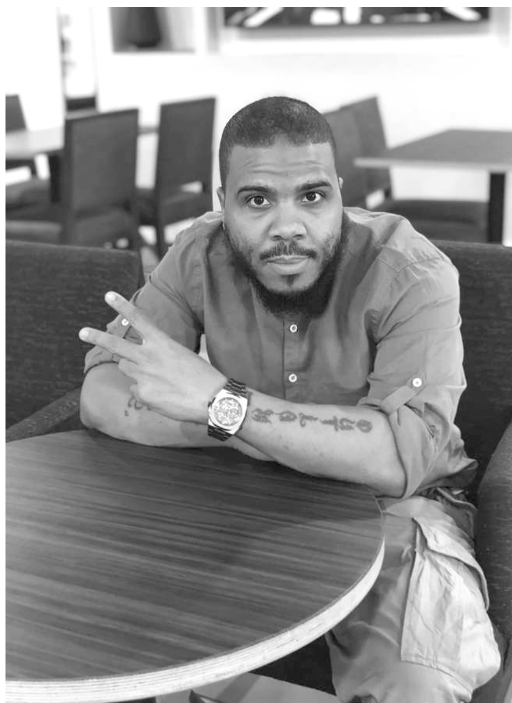
مطاع ينظر إلى البحر في أحد مطاعم تركيا.



مؤمن ومطاع في باحة فندق في تركيا.



ملصق إعلاني لألبوم (Ride wit Us or Collide wit Us).



الاستجمام في بهو فندق في ناشفيل، تينيسي.



مطاع متكئًا على سيارة مؤمن المرسيدس بينز، في أستوديو سيتي، بكاليفورنيا.



الاستمتاع بالطقس بجانب البحر في تركيا.



نابليون في أوكوود أبارتمنتس.



مطاع وأخواه كامل ومؤمن مع ابن عمتهم الأكبر جيروم في منزل عمتهم بيتي.



في أثناء فترة الاستراحة في دورة تحفيزية في بلجيكا.



لقاء مطاع مع صديقه وشريك العمل في الرياض، المملكة العربية السعودية.



المؤلف سليمان جنكيز ومطاع بيل في مقهى في الرياض.

الجزء الثالث
التحولات

الفصل الحادي عشر
لاس فيغاس

«لتذرفْ سيلًا من الدموع»

توباك شاكور

عندما عُدنا إلى لوس أنجلوس، كان هناك استعجالٌ إلى حدٍّ ما؛ لأن باك يجب أن يكونَ في لاس فيغاس على الفور لحضور معركة تايسون، وقد اعتاد باك التحدث معي دائمًا عن تايسون ومدى الاحترام والحب الذي كان يكنّه له، وأعتقدُ أنه طرأ شيءٌ ما، وأراد باك بالفعل الذهاب إلى أتلانتا لمتابعة بعض الأعمال، ولكن في النهاية أقنعه شوغ بالذهاب إلى فيغاس، وهذه المرة اختار باك أن يأخذ إي. دي. آي. وكاسترو؛ لأنهما لم يأتيا معنا إلى نيويورك، وبقي فيتل في نيوجيرسي، ولكن باك قرر أيضًا أن يأخذ القذافي معه؛ لأن لديهما أشياء مهمة كان عليهما التحدث عنها؛ لذا انتهى الأمر بي وبنوبل إلى البقاء في قصر باك، عندما غادر إلى فيغاس.

ومنذ اللحظة التي تحدث فيها عن الذهاب، حتى الوقت الذي صافحتُه فيه، وعانقته عندما غادر إلى المطار... كان يراودني شعور غريب بأن هناك خطبًا ما، ولكني لا أستطيع أن أحدد ما هو.

وكان مايك تايسون بالفعل بطل WBC للملاكمة للوزن الثقيل، وقد قدم بروس سيلدون، بطل WBA للوزن الثقيل في ذلك الوقت، طريقًا سهلًا لتايسون أيضًا للفوز بحزام WBA في الوقت الذي كان فيه يستمر في تعزيز عودته، وكما حدث مع باك، سُجن تايسون بتهمة ارتكاب جرائم جنسية في عام 1992م، ولكن أُفرِجَ عنه في عام 1995م، بعدَ أن قضى ثلاث سنوات من عقوبة السجن البالغة ست سنوات[114]، وكان يحقق تقدمًا في مسيرته في الملاكمة بانتصاره على بيتر مكنيلي، وباستر ماتيس جونيور في أواخر عام 1995م، وبعد بضعة أشهر حصل على لقب WBC في مارس 1996م في مباراته مع الملاكم البريطاني فرانك برونو[115].

وعلى الرغم من أن مباراة سيلدون كانت مباراة بطولة، فإن سيلدون مُنِي بهزيمة ساحقة، وخسر 22-1[116].

وعلى مر السنين أصبح باك قريبًا جدًّا من تايسون منذ التقيا في عام 1991م[117]، وقد عزَّز تحمُّلُهما لتجارب السجن المؤلمة نفسِها علاقتهما، وجعل بين روحَيْهما نَسَبًا، وكان باك يحترمه كثيرًا، حتى إنه كرمه في أغنية (*Ambitionz az a Ridah*)، بل وافق على تسجيل مقطوعات موسيقية

حصرية لدخول تايسون ساحة الملاكمة[118]، وعلى الرغم من احترامهما وإعجابهما المتبادَل، لم يكن باك متحمسًا للغاية للذهاب إلى فيغاس لمشاهدة هذه المباراة بالذات؛ فقد كان لديه ارتباطٌ عائليٌّ مُلِحٌّ في أتلانتا، وكان يريد بشدة أن يحضره، ومع ذلك، نظَّم شوغ نايت حفلةً دعائيةً لديث رو في ملهاه (662)، ولكونه من نخبة فناني ديث رو، كان وجود باك ضروريًّا، وكان باك مترددًا، ويحتاج حقًّا إلى الذهاب إلى أتلانتا بدلًا من ذلك، ولكن في النهاية قرر الذهاب إلى المباراة في لاس فيغاس[119].

وطوالَ فترة غيابه لم أكن مرتاحًا، فقد شعرتُ أن خطبًا ما سيقع، ولا أعرف لماذا؛ لذلك أردتُ أن أصرفَ تلك الأفكار عن ذهني، وكنت أستجم أنا ونوبل لبعض الوقت في القصر، ولكنني كنتُ في حاجة إلى الخروج... ربما لأتجول... أو لأذهب لأفعلَ شيئًا، وبحلول هذا الوقت كنا نعيشُ طوالَ الوقت في قصر باك، وليس في أوكوود، ولا أعتقد أنني تحدثت قطُّ مع نوبل حولَ هذا الموضوع، ولكنها كانت ليلةً مخيفةً، والشيءُ الوحيدُ الذي أمكنني فعلُه هو محاولة الشرب؛ لأطرد القلق.

وقد كانت المعركة مخيبةً للآمال في أحسن الأحوال؛ فقد أسقط مايك تايسون بروس شيلدون أرضًا مرتين في الجولة الأولى، وكان ما أحبط الجماهير أن المباراة انتهت بعد دقيقة واحدة و49 ثانية فقط[120]؛ وذلك بعد أن فاز تايسون بالضربة القاضية الفنية، ليُتَوَّج رسميًّا بطلًا جديدًا لـ WBA، والآن بعد انتهاء القتال، شرع شوغ وباك وحاشية ديث رو يغادرون ساحة إم جي إم غراند، من خلال الردهة الرئيسة، في طريقهم للعودة إلى الفندق للاستعداد للحفلة التالية في (662)، وكان يرافق باك تريفون (تري) لين، حارس شخصي موثوق به تابع لديث رو، الذي تصادف أنه من فصيل بيرو من عصابة بلدز، وهو الفصيل نفسه الذي ينتمي إليه شوغ نايت[121]، ومن الطرق التي كان شوغ يُظهر بها تقديرَه للولاء، أن يمنح الأعضاء رفيعي المستوى في مؤسسته هدايا، من بينها جواهر في بعض الأحيان، وقد منح شوغ هديةً ذهبيةً لتري؛ وهي سلسلة ديث رو المرصعة بالماس، وكانت هذه الجواهر تُمنَح إما لفناني الصف الأول في ديث رو، أو للأشخاص الذين كسبوا قبول شوغ واحترامه؛ ولأن الحصول عليها لم يكن بالأمر السهل، كانت سلسلة ديث رو رمزًا مرغوبًا للغاية.

وبينما كان تري وباك يسيران عبر الردهة؛ إذ نظر تري بعيدًا، فرأى شخصًا ما يعرفه، وما إن رآه حتى انتبه، واضطرب عند رؤيته، وهذا الشخص كان أورلاندو أندرسون، من فصيل ساوثسايد من عصابة كريب، الذي واجهه تري قبلَ أسابيع قليلة من معركة تايسون، ولا شكَّ أن لساوثسايد كريبس أهميةً أساسيةً في فهم الأحداث التي كانت على وشك أن تتكشف في ردهة إم جي إم غراند، ولمن لا يعلمون، فإن ساوثسايد كريبس، الذين كانوا فرعًا من كومبتون من العصابة سيئة السمعة، كانوا منافسين شرسين لبيرو بلدز، وظلوا كذلك عقودًا[122]، وحين يجتمع كلا الجانبين في مكان واحد، سرعان ما تشتعل الأعمال العدائية، والأمر الثاني أنه تردد على نطاق واسع أن بافي وبيغي استأجرا في كثير من الأحيان ساوثسايد كريبس[123]؛ لتولي حمايتهما كلما جاؤوا إلى الغرب؛ فمع وجود عصابة بلدز المرتبطة بديث رو في لوس أنجلوس، سيكونون دائمًا عرضةً للأذى، وفيما

يتعلق بكرييس مقابل بلدز في أستوديوهات ديث رو، فقد حقق شوغ أداءً جيدًا نسبيًّا في الحفاظ على السلام (على كلا الجانبين) في عائلة ديث رو؛ فقد كان يكسبُ المال بوصفه عضوًا في بلدز، مع فنانين مثل نيت دوغ، وسنوب دوغ، وذا دوغ باوند، الذين كانوا ينتمون إلى كرييس، ولكن ساوثسايد كرييس كانت حالةً شاذةً؛ فقد كانوا مكروهين على نحو خاص من شوغ نايت وديث رو؛ بسبب تاريخهم المحدد مع بيروز؛ ولارتباطهم بباد بوي ريكوردس، وقد بدَت مظاهرُ هذه الكراهية كاملةً في وقت لاحق من تلك الليلة في بهو إم جي إم غراند.

وقبل بضعة أشهر في متجر أحذية فوت لوكر بمركز تسوق ليكفيو في لوس أنجلوس[124]، رأى أورلاندو أندرسون ورفاقه تري يتجول مرتديًا سلسلة ديث رو، فما كان منهم إلَّا أن اعتدوا عليه، وحاولوا انتزاع السلسلة من رقبته، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك[125]، وفي أثناء المشي عبرَ ردهة إم جي إم غراند، تعرف تري إلى أورلاندو، وبدا جليًّا أن أورلاندو يشكل تهديدًا، وهو ما أثار غضب باك، ومن المهم أن نتذكر أن باك لم يكن لديه أي انتماء رسمي لأي عصابة؛ وكانت علاقته ودية مع كلا الجانبين: بلدز وكرييس، وكانا يبادلانِه الحبَّ والاحترامَ، فصديقه المقرب؛ بيغ سايك، كان تابعًا لإمبريال فيليدج كريب، وبوغارت كان تابعًا لسكوليارد كريب، وكان شوغ وتري من بيرو بلدز، ولم يكن باك قطُّ تابعًا لعصابة، وما استوعب سياسة العصابات؛ ومع ذلك، تغير شيءٌ ما في تلك الليلة، وبدا الأمر كأن حبر وشم (*Thug Life*) الموجود على بطنه بدأ يتسرب إلى مجرى دمه، ويلوث كلَّ عرق يمر به، ليسمم تصرفه في النهاية، وانطلق باك، وأطلق لنفسه العنان، وركض على الفور نحوَ أورلاندو، وبدأ معه حديثًا مقتضبًا، وقبل أن يتمكن أورلاندو من الرد، وجه باك لكمةً لوجه أورلاندو، وأسقطه أرضًا، وعلى الفور، انتهز الفرصة شوغ والبيروي الآخر اللذان يشاهدان ما يحدث من بعيد؛ فاندفعا، وبدأا يركلان جسد أورلاندو، ويدوسان على وجهه، حتى تمكن أمن إم جي إم غراند من السيطرة على الموقف العدائي، وشهد الناسُ الذين رأَوا المشاجرة نسخةً أكثرَ شراسةً من باك في تلك الليلة، ولقد رأَوْا نسخته الأكثر قتامةً؛ باك الذي لا يعتذر، باك ديث رو، وكان بالكاد يستطيع التحكم في حماسته حولَ ما حدث؛ وكان عليه أن يُعلمَ أصدقاءه من فرقة الأوتلو الموجودين في لوس أنجلوس أنه كان قاسيًا في فيغاس، كما كانوا هم في نيويورك.

يروي نوبل ذلك قائلًا[126]:

نعم، كنتُ في المنزل؛ في قصر باك، وتلقيتُ مكالمة، فقلت: مرحبًا! فسمعتُ: مرحبًا، كيف الحال يا نوبل؟ ما الأخبار؟ أين مطاع؟ فقلت: باك؟ كيف حالك يا رجل؟ كيف حال فيغاس؟ فقال باك: أين مطاع؟ أحضره أيضًا، فيجب أن تسمعا جميعًا هذا، وافتح مكبر الصوت! كان يلهث وصوته يرتعد من الإثارة، فقلتُ، إن مطاعًا في الطابق العلوي، وصحتُ مناديًا له؛ لينزلَ، وعندما جاء مطاع، بدأ باك يخبرنا كيف نال من أحد الأشخاص، ولكنه لم يدخل في تفاصيل بشأن سبب ما حدث؛ لذلك اعتقدنا أن باك هناك فقط يتابع عمله، ولم نفكر كثيرًا في ذلك، وطلب منا أن نبقى بأمان، وألَّا ننساق

وراء نزواتنا (يضحك) ويجبُ ألّا نتحدثَ عن ذلك، فأنت تعرف ما يقصده، وأوصيناه كذلك أن يبقى بأمان، ولكننا لم نظنَّ قطُّ أنه كان معرضًا للأذى.

والآن بعد أن أصبح الشجارُ تحتَ السيطرة، حرص الأمن على إخلاء المنطقة في أقرب وقت ممكن عن طريق أمر الحشد بالتفرق على الفور، فوجَّهَ شوغ باك وديث رو للمغادرة على الفور وهم يندفعون للخروج من الساحة، وكان عليهم العودة إلى الفندق بسرعة؛ للاستعداد للحفل في (662) فقد أخرَتهم تلك المشاجرة قليلًا، وذهب باك إلى فندق Luxor حيث كان يقيم، في حين عاد شوغ إلى مقر إقامته الخاص[127]، وعلى الرغم من أن أورلاندو ورفاقه قد غادروا المكان بالفعل، فإن العارَ والخزيَ الذي تعرَّض له بأن لكمه مغني راب في وجهه لم يفارقه، وكان لذلك عواقب وخيمة؛ فقد علَّم باك نابليون في وقت سابق في (*House of Blues*) أن لوس أنجلوس ليست كإيرفينغتون، وأن الأمور تسيرُ هناك وفقًا لمجموعة مختلفة تمامًا من القوانين؛ لذلك كان على نابليون أن يحكم تصرفاته على نحو أفضل، ففي بعض الأحيان في الحياة، يكونُ الحكيم في أمسّ الحاجة إلى اتباع النصائح التي يمنحها للآخرين.

والآن حين أسترجعُ ما حدث... أعلم أن أحد الأشياء الرئيسة التي تعلمتُها من وجودي في لوس أنجلوس ومخالطتي لبلدز وكريبس هو أن الانتقامَ هو قانون الأرض؛ لأن العصابات الحقيقية تعرف أنك إذا اعتديتَ على واحد منهم، فمن الأفضل أن تعتقد أنهم سيعتدون على واحد منك، وهذا هو قانون البقاء على قيد الحياة، وهو ينشئُ نظامًا متوازنًا؛ لذا فإن رجال العصابات يُجرون حركات محسوبة، ويفكرون في ثلاث خطوات، أو أربع، أو خمس، أو ست خطوات إلى الأمام لرؤية ما إذا كان هذا حقًّا شيئًا نريد أن نفعلَه، وهل نريد حقًّا أن نفقدَ الكثير من الأرواح بسبب هذه المشكلة؟ وهل هذا الأمر يستحقُّ حقًّا كلَّ هذا العناء؟ ربما يُجري رجال العصابات هذه الحسابات على نحوٍ يومي، وبسبب الثأر والانتقام، غالبًا ما يكون العنفُ هو الملاذ الأخير... وليس الأول.

وقد عاد باك إلى الفندق، حيث التقى أخيرًا بإي. دي. آي. وكاسترو والقذافي، وكان يبحث عنهم، وكان قلقًا للغاية من أن يتأثروا على الفور بعواقب المشاجرة[128]؛ فقد كان هناك كثير من الأمهات اللائي سيسألنه؛ أمهات قد عهدن إليه بأبنائهن؛ لذلك أراد التأكد من الاعتناء بهم دائمًا، وطوال بقية الليلة، جعلهم تحتَ عينيه، وذهب إلى غرفته، وبعد أن غيّر ملابسه، وجدد نشاطه، نزل باك مع فرقة الأوتلو وحارسه الشخصي فرانك ألكسندر؛ لينتظروا في منطقة توقيف السيارات المخصصة لشوغ، وسيصل شوغ في غضون لحظات قليلة في سيارته الـ BMW 750 السوداء الجديدة، وعلى الرغم من أن الوقت الذي أعقب الشجار لم يتجاوز الساعة إلا بقليل، بدا باك هادئًا، رابطَ الجأش، متماسكًا، ويتطلع إلى ليلة مليئة بالأحداث في ملهى (662)؛ فلديه الكثير ليحتفل به: وصول ألبوم (*All Eyez on Me*) إلى الشهادة البلاتينية الخامسة[129]، وجوائز سول ترين، والظهور في عرض جوائز إم تي في، وتايسون، والحرية، والحياة، وفي إجراء احترازي، فورَ وصول شوغ أخيرًا، أعطى باك مفاتيح سيارته الخاصة لفرانك، وأمره بأن يكون السائق المخصص لفرقة الأوتلو؛ «لأن

الليلةَ ستكون ليلة احتفالية، وسيسودها الكثير من الشرب والمرح»[130]، ودخل المرافقون إلى سياراتهم: باك وشوغ بمفردهما في سيارته الـ BMW الجديدة، وكان شوغ في مقعد السائق وباك يجلس بجواره، وركب فرانك وفرقة الأوتلو السيارة، وساروا خلفَهما عن قرب، وواصلوا السيرَ إلى لاس فيغاس ستريب على طريق فلامينغو متوجهين إلى ملهى (662).

ولرفع الحالة المزاجية، وإبعاد عقلَيْهما عن تلك المشكلة التي وقعَت في إم جي إم غراند، قرر شوغ وباك منحَ لاس فيغاس فرصةً حصرية للاستماع لألبوم باك (*The Don Killuminati: The 7 Day Theory*) الذي أُنتج حديثًا، ولكنه لم يصدر بعدُ، فشغلا الأغانيَ، ورفعا الصوتَ لأقصى مستوى على نظام مكبرات صوت السيارة الـ BMW الجديدة، بما يتجاوز الحدودَ القانونية، وبحسب ظنهما، سيكونُ كل سكان لاس فيغاس سعداء لأنهم سيتذوقون طعمًا من تألق باك القادم، ولكن هذا لم يكن رأي شرطي الدراجة البخارية الذي كان يُجري دوريات في القطاع، فأوقفَ شوغ عند إشارة المرور، ليتوقف احتفالُهما لحظات، وبعد أن طلب من شوغ تقديم رُخَصه، وبعدَ فحص السيارة، سأله: لماذا - إضافة إلى تشغيل صوت الموسيقا فوق المستويات القانونية - لم يكن لسيارته لوحاتٌ مرخصةٌ؟ فأوضح شوغ أن السيارة كانت جديدة تمامًا، وأنه لم يتسلَّم اللوحات بعدُ.

وكان هذا قانونيًّا بما يكفي للضابط، ولم يستشعر أي شيء مريب، فسمح لهما بالذهاب في طريقهما؛ لتعود الأجواء الاحتفالية، وواصلا القيادة على طريق فلامنغو حتى اقتربا من إشارة حمراء عند إشارة المرور في كوفال لين، وفي أثناء تباطُئِهما، أُتيحت الفرصة أخيرًا لسيارة مكشوفة مليئة بالسيدات اللواتي كنّ يتابعنهما للحاق بهما على الجانب الأيمن من السيارة الـ BMW، وصرخْنَ من النافذة يُخبرن باك كيف أنهن من أشد معجباته، وكنَّ في حالة هستيرية؛ لأنهن على بعد ذراع من أيقونة الراب، فقال: إنه يشعر بالإطراء، ويُقدِّرُ لهن ذلك الحب، وتمنى لهن الاستمتاع بليلتهن؛ لأنه أيضًا كان في طريقه إلى حفل، وانعطفَت سيارتهن يمينًا في كوفال لين، في حين ظل باك وشوغ في انتظار تحوُّل الإشارة إلى اللون الأخضر.

وبعد مدة وجيزة من انعطاف السيارة المكشوفة يمينًا، زحفَت سيارة كاديلاك بيضاء في الممر نفسه الذي كانت عليه السيارة المكشوفة، وتحركَت ببطء شديد حتى أصبحت موازيةً للسيارة الـ BMW، وكان باك وشوغ يتناقشان حولَ المحادثة التي أجرياها للتو مع السيدات، فأدار باك رأسه بعيدًا عن نافذته ناحية شوغ، وفي تلك اللحظة، انزلقَت إحدى نوافذ السيارة الكاديلاك ببطء، وتسللت من ظلمة السيارة يدٌ سوداءُ لأحد الركاب، تُلَوِّحُ بفوهة مسدس من طراز غلوك 40 [131]، وما إن أدار باك رأسَه في اتجاه النافذة، فإذا به يرى من الذي سحب مسدسه للتو بالقرب منه، حتى انطلقَت الرصاصاتُ في تتابع سريع من المسدس الغلوك: طلقة، فالثانية، فالثالثة، فالرابعة، فالخامسة... فدوَّى صوتُ الرصاص في الهواء كالرعد، متبوعًا بجلجلة معدنية أحدثها اختراق الرصاصات للباب الجانبي للسيارة، وارتطام أغلفتها بالأرض، فحاول باك على نحو محموم أن يصل إلى المقعد الخلفي؛ فقد كان الرصاص يخترق الباب، ويخترق جسده، والطلقة السادسة، فالسابعة، فالثامنة،

فالتاسعة، فالعاشرة، ولم يستطع الوصولَ إلى المقعد الخلفي بالسرعة الكافية، فانتفض جسدُه صعودًا وهبوطًا في مقعده من قوة الرصاص الذي أصاب جسده، والطلقة الحادية عشرة، فالثانية عشرة، فالثالثة عشرة، وهنا تعودُ اليد ببطء إلى السيارة، فقد أُنجزَت المهمة، وانطلقَت السيارةُ الكاديلاك.

ووقف شوغ، والقذافي، وإي. دي. آي، وفرانك بلا حول ولا قوة في حالة رعب يشاهدون المهاجمين يُطلقون النار من السيارة الكاديلاك البيضاء على السيارة الـ BMW ثلاثَ عشرة مرة، ما أدَّى إلى تحطيم النوافذ وتدمير باب السيارة من جهة الراكب، فنظر شوغ إلى باك، الذي كان ساقطًا على الأرض، وقد أُصيب بجروح قاتلة، ونزيف شديد من جذعه: يا إلهي، يا إلهي! لقد أُصبتَ! بعدَ أن رأى مقعدَ الراكب مغمورًا بالدماء على نحوٍ واضحٍ، فقاد السيارةَ بأقصى سرعة ليوصله سريعًا إلى المستشفى، وبذل قصارى جهده للتنقل في حركة المرور في منتصف الليل، متخطيًا الحواجز، ويقودُ بسرعة جنونية، وقد أسفرَت مناوراته تلك على الأرصفة عن ثَقب جميع الإطارات الأربعة في هذه العملية، فتوقفَت السيارة على جانب الطريق، فرأى شوغ أن القميص الأسود والأبيض الذي كان يرتديه باك قد أصبح مصبوغًا الآن باللون الأحمر، وكان باك غارقًا في دمائه، وكان ثمة سباقٌ مع الزمن لإيصاله إلى المستشفى، فاتصل شوغ برقم 911، وحاول أن يتماسكَ حتى تصل سيارةُ إسعاف، وفعل كلَّ ما في وسعه لمنع باك من النزيف، وكان الدم في كل مكان، فقال باك: «لا أعتقد أني سأنجو هذه المرة»[132]، ومع انسلال الحياة بعيدًا عنه شيئًا فشيئًا، وصلَت سيارة إسعاف أخيرًا، ونقلَته إلى المركز الطبي الجامعي في جنوب نيفادا، وأُدخل إلى وحدة العناية المركزة للطوارئ[133].

فما الذي يمكنني أن أقولَه يا رجل؟!... لقد ازداد هذا الشعورُ بعدم الارتياح قوةً بمجرد أن أخبرني أنه اضطُرَّ إلى الاشتباك مع شخصٍ ما هناك، وبدأَت غرائزي التي رافقَتني في إيرفينغتون تثورُ، ولم أستطع أن أدفعَ تلك الرغبة الملحة في أن أكونَ هناك إلى جانبه لدعمه، كما فعلتُ دائمًا، ودائمًا ما كنتُ أرغبُ في أن أكون مستعدًّا في حالة حدوث أي شيء... كما هو الحال في نيويورك تمامًا، فلم يكن باك مجردَ صديق، ولم يكن مجرد شخص كنتُ أحترمه؛ بل كان من أهلي، وكنتُ على استعداد أن أموت فداءً له؛ فهو من أهلي، وبعد أن عدتُ إلى المنزل من خروجي مع كارل محاولًا تصفية ذهني، عدتُ إلى المنزل، وصعدت إلى غرفتي، وفجأة سمعتُ رنين الهاتف في الطابق السفلي، ثم سمعتُ نوبل يصرخ: «لقد أطلقوا النار على باك! لقد أطلقوا النار للتو على باك! فعلينا أن نذهب! ستأتي ياسمين إلينا الآن!». أُسقط في يدَيَّ، ولم يُرِدْ قلبي أن يُصدِّقَ ما سمعَتْه أُذُني للتو.

بالعودة إلى لوس أنجلوس، تلقى يَنْغ نوبل مكالمةً أخرى في القصر، فربما يكون باك يطمئنُّ عليهم مرةً أخرى للتأكد من عدم انسياقهم وراء نزواتهم، وعندما التقط يَنْغ نوبل الهاتف، لم يكن باك المتحدث، بل كانت مولي تحمل أخبارًا فظيعة؛ قائلة: إن باك كان يركب السيارة مع شوغ في شارع لاس فيغاس ستريب، عندما توقفَت سيارة بجانبهما، وفتحَت النار، وأُصيب باك برصاصات عدة، وهو الآن في حالة حرجة، في وحدة العناية المركزة في المركز الطبي الجامعي، وإن ياسمين في

طريقها لاصطحابهما لنقلهما مباشرةً إلى المستشفى في لاس فيغاس، ولم يستطِع يَنْغ نوبل تصديقَ ما سمعه، وقال: يا إلهي، ليس مرةً أخرى، وكان نابليون في الخارج مع كارل، ولكنه عاد بحلول الوقت الذي تلقى فيه يَنْغ نوبل المكالمة، وكان في الطابق العلوي في غرفته عندما صَرَخَ يَنْغ نوبل عليه: لقد أُصيب باك وهو في حالةٍ حرجة، وكانَت ياسمين على وشك القدوم لاصطحابهما في رحلةٍ تستغرقُ خمسَ ساعات بالسيارة إلى فيغاس.

وصرخ نابليون غيرَ مصدق: ما الذي تتحدثُ عنه، يا رجل؟! وقال في نفسه: لا، مستحيل، ليس مرة أخرى! فقد كان لديَّ شعورٌ فظيع، يا رجل، لقد كان لديَّ شعورٌ فظيع، يا رجل، لا يمكن أن يحدُثَ هذا، في حين كان يَنْغ نوبل ونابليون في غرفتهما يتحدثان، ويحاولان استيعاب الأخبار، وكانا كذلك في حالة من الذهول، حتى إنهما لم يعرفا ما الذي يجب تجهيزه للرحلة، ولا فيمَ يجب أن يفكرا، ولا بِمَ يجبُ أن يشعرا، فكانَت استجابتهما الغريزية هي توفير الحماية.

نعم، عندما وصلَت ياسمين أخيرًا، استقبلناها، ولكن يمكنك أن تلمحَ نظرة القلق على وجهها، وكنا جميعًا قلقين، ولكنها كانت عضوًا في حزب الفهود، وبدأَت غريزة البقاء عندها تُستثار، وكنا من نيوجيرسي؛ لذلك فنحن كنا قد تحولنا بالفعل إلى العقلية العسكرية، وبدأنا في تحميل السيارة بأكياس كتبنا، التي ملأناها بالمسدسات، ولم يكن هناك ما يُشير إلى ما ينتظرنا في فيغاس، ولكن أيًّا كانوا، فلن يصادفوا منا شيئًا سوى الرصاص إذا فكر أيٌّ منهم في الاقتراب من المستشفى، ولن نتردد في ذلك، وسحبتُ مسدسي من طراز الغلوك، ومسدسي من طراز 357، وأمسكتُ واحدًا بيدي، ودسستُ الآخرَ في حزامي، واستعددتُ للتحرُّك.

وبعد تحميل السيارة، ركبَت ياسمين، ويَنْغ نوبل، ونابليون السيارةَ وانطلقوا، وكان ذلك بعد الفجر مباشرةً، وكان أمامهم رحلةٌ طويلةٌ؛ ومع ذلك فإن طولَ الرحلة هو بالضبط ما احتاج إليه الجميع، لبدء معالجة ما حدث للتو، ولإعداد أنفسهم ذهنيًّا لما ينتظرهم، ولن يحدث هذا، وتماسك يا باك، فأنت شجاع، وقد كانت السيارة ممتلئةً بألم مكتوم، وأفكار هامسة في أثناء قيادتهم السيارة ساعات في صمت يصم الآذان، وكانت ياسمين تنظر إلى الأمام، بعينين لا تديرهما عن الطريق، ويَنْغ نوبل ينظر من نافذته، بلا حراك، ويُعيدُ تذكُّرَ المكالمة الهاتفية التي تلقاها من مولي مرارًا وتكرارًا، فيما نظر نابليون من نافذته محدقًا في الصحراء القاحلة التي مروا بها بالسيارة، وأتمنى أن يكون بخير، يا رجل، وسوف يصمد: باك، لقد وعدتَني بأنك لن تدعَهم يأخذونك مني... ولم تُخلف وعدًا وعدتني به قطُّ منذ أن عرفتُك، وأعلم أنك لن تفعلَ ذلك الآن.

وعلى الرغم من أن الطريق امتد أميالًا وأميالًا لا تقع عين الناظر فيها إلا على صحراء، لم يستطع نابليون أن يرفع عينيه عنها، وكان ذلك عزاءَه الوحيد في ذلك الوقت؛ فقد أتاح اتساعُها لعقله المساحة التي يحتاج إليها ليحاول بسهولة الربط بين ما كان يحدث.

وبعد رحلة طويلة، وصلَت ياسمين ويَنْغ نوبل، ونابليون أخيرًا إلى لاس فيغاس، متعبين ومرهقين من الرحلة، فذهبوا مباشرةً إلى الفندق الذي أقامت فيه أفيني وفرقة الأوتلو، وأُطلعوا على الفور على الوضع الحالي، ولم يُسمح لأحد بزيارة باك في المستشفى؛ لأنه قد خضع للتو لعمليتين جراحيتين طارئتَيْن، وسيتبعُهما كثير من العمليات الجراحية على مدار الأيام القليلة المقبلة، وسيتمكنون من الذهاب لرؤية باك في الوقت المناسب، ولكن كان يجبُ أن يرتاحَ، وعندما نظرَت ياسمين إلى أفيني، لمحَت في وجهها قوةَ الأمومة التي تحملُها مئةُ امرأة، وأخبرَتها أفيني أن باك سيكونُ على ما يُرام، وسوف يتعافى.

وعندما رأيتُ أفيني، رأيتُ فيها قوةَ الصمود؛ فقد كانت مثل ياسمين تمامًا، تتألقُ منها قوة الفهود، ولكن يمكنني أن أقولَ: إنها كانَت تعاني من ألم لا يُوصَف يمكنك أن تلمحَه في عينيها، وكذلك كنا جميعًا؛ فهذا ابنها الوحيد يا رجل... عرفتُ أنها كانت تتألم، ولكن حين سألتُها عن حالته؟ أكدَت لي أنه بخير، وأنه خضع إلى بضع عمليات جراحية، وسيكون على ما يُرام، وكانت سيكيوا هناك أيضًا، وأعادت التأكيدَ على ما كانت تقوله أمها، وقد أراحني ما سمعتُه بعضَ الشيء، ولكن كان عليَّ أن أراه بنفسي، وكنتُ أتمنى أن أكونَ هناك لحمايته... كان هذا هو الشيء الوحيد الذي يدور في ذهني، وأؤكد أني لو كنتُ هناك لقتلتُهم بالرصاص، ولضحَّيْتُ بنفسي فداءً لباك. نعم، يا رجل... لم أشعر بذلك الشعور تجاه أي شخصٍ آخر، وأعرف أن فرقة الأوتلو كانوا يشعرون بالشيء نفسِه، فإنه لا يستحق هذا، ولقد كان التوقيت لا يُصدَّق؛ فلقد فقدتُ جدتي قبلَ بضعة أشهر فقط، والآن يحدث هذا، فلا أستطيع تحمل مرارة الفقد مرةً أخرى.

والتقى نابليون ويَنْغ نوبل بإي. دي. آي. وكاسترو والقذافي في غرفتهم بالفندق أسفلَ القاعة، وقصوا على نابليون ويَنْغ نوبل ما رأَوْه بأعينهم مما حدث في شارع ستريب، وكان صوت الألم المرتسم على وجوههم صارخًا، على الرغم من أنهم تحدثوا بهدوء، ومع ذلك، لم يكن هناك وقت للعاطفة؛ فلقد تلقوا تهديدات بالقتل على نحو متكرر في المستشفى؛ لذلك اضطروا إلى تنظيم أنفسهم بسرعة في نوبات على مدار الساعة لحراسة غرفة باك، وكان لديهم كل ما يلزمهم من الأسلحة، وكان على الجميع توخي المزيد من الحذر، وبعد أن انضم نابليون ويَنْغ نوبل إلى المجموعة، وعرفا التوجيهات، شرعوا يتناولون بعض الطعام الذي طُلب لهم، وأخذوا غفوةً قصيرةً؛ فسيذهبون جميعًا إلى المستشفى في غضون ساعات قليلة.

وعندما استيقظوا، كانت أفيني قد غادرت بالفعل إلى المركز الطبي الجامعي، واستعدَّت فرقة الأوتلو بسرعة، ولحقوا بها، وشقوا طريقهم إلى المستشفى، وعند وصولهم، كانت قاعات المستشفى تعج بالمشاهير: مايك تايسون، وجاسمين غاي، وجيسي جاكسون[134]، وداني بوي[135]، وبالنسبة إلى نابليون، لم يشعر برهبة الوجود في حضور الكثير من المشاهير في ظل حقيقة أن باك كان في حالة حرجة للغاية، يقاتل من أجل الحياة، وكان قلبُ نابليون يُدوِّي فيه القلقُ، ويعتصرُه الألم، فلم يكن

هناك مكانٌ لأي عاطفة أخرى، وبعد مدة، كان دوره أخيرًا للدخول إلى الغرفة لإلقاء نظرة على باك؛ فأشارَت إليه أفيني ليدخل.

وعندما دخل، أول ما لفت انتباه نابليون هو أنه رأى رجلًا كان يؤدي معه على خشبة المسرح؛ رجلًا كان دائمًا يبعث الحياة في الأجواء؛ رجلًا كان بمقدوره أن يعمل دون كلل ساعات وساعات في أستوديو التسجيل.. رآه ممددًا بلا حراك، وكان باك فاقدًا للوعي، يتحرك جسده المتورم ببطء لأعلى ولأسفل مع كل نفس يكافح لالتقاطه، وكان مستلقيًا تحت شبكة من الأنابيب البيضاء والأسلاك الطبية، وكان بالكاد يمكن التعرف إليه، فوجهه منتفخ ومتورم، وعيناه مغلقتان، وكان نابليون يريد أن يقول لباك الكثير مما أراد أن يقولَه له، ولكن لم تُتَح له الفرصة لإخباره به، ولكن ليس الآن، فربما في غضون أيام قليلة، فقد كان عليه أن يستسلم لحقيقة أن باك الآن في حالة مختلفة، ولم يخطر يومًا ببال نابليون أن يرى باك على تلك الحال؛ فقد كان باك بطلًا خارقًا، والأبطال الخارقون لا يُقهرون، ولا يبدون على تلك الهيئة، ولا يمكن أن يبدوا على تلك الحال.

فلم أستطع يا رجل،... لم أستطع... لم أستطع تحمل رؤيته على هذا النحو، ولن أنسى أبدًا كيف بدا متورمًا وكم كان يعاني! أتذكر ذلك كما لو كان بالأمس القريب، ولم أستطع التحمل، يا رجل، واضطررت إلى المغادرة.

هدَّأَت سيكيوا نابليون وهو يغادر الغرفة، وهو لا يستطيع السيطرة على بكائه.

فلم يتخيل قطُّ رؤية باك على هذا النحو، وقد ظلَّ باك فاقدًا للوعي ساعات، في حين كان الأطباء يدخلون ويخرجون لتقييم حالته، ثم حدث تطور رئيس آخر؛ إذ كانت رئته اليمنى محطمة، وكان يجب إزالتها على الفور، وكان عليه أن يخضع لعملية جراحية أخرى، وبعد هذه الجراحة يمكن إبقاؤه على قيد الحياة مؤقتًا فقط من خلال وضعه على جهاز التنفس الصناعي[136].

وفي هذه الأثناء، ذهب نابليون خارجَ المستشفى، وأمسك بمسدسه الغلوك، وذهب إلى موقعه، وكانت نوبته في المشاركة مع يَنْغ نوبل والقذافي، وكانوا يمسحون المنطقة يمنةً ويسرةً كلَّ بضع ثوانٍ؛ للتأكد من عدم وجود أي سيارات مريبة في الجوار، وحتى تلك اللحظة كانت هناك بعضُ الاضطرابات، ولكن المستشفى عزَّزت أيضًا إجراءات الأمن خلالَ النهار في ضوء تهديدات القتل التي كانَت تُتَلَّقى[137]، وأما في الليل، فكانت الأجواءُ متوترةً للغاية في الأيام القليلة التالية؛ فقد كانوا يقفون في نوبات الحراسة لمدة 12 ساعة؛ وذلك لأن المستشفى لم توفر قدرًا كبيرًا من التأمين كما هو الحال في النهار، واعتقد أعضاءُ فرقة الأوتلو في أنفسهم أن باك سيكون فخورًا برؤية أولئك الشباب الذين ساعد على تشكيلهم ينجحون في المهمة، وفور أن يتحسن، لن يستطيعوا الانتظار لإخباره كيف استطاعوا حراسة المستشفى بأكملها بأنفسهم.

وقد أصبحنا الآن في اليوم السادس، 12 سبتمبر، وأطلعَت أفيني شوغ ونابليون والشباب في فرقة الأوتلو على بعض التطورات، وبحلول هذا الوقت، كان جسد باك يتشنج بعنف؛ لذا وفقًا لتوصية الأطباء، خُدِّرَ لحمايته من إصابة نفسه[138]، وكان لا يزال فاقدًا للوعي، وينزف داخليًّا؛ وكانوا يفعلون كل ما في وسعهم لإيقاف النزيف، ولكن الأمور كانت تبدو غير مبشرة؛ فقد انخفضت فرصة بقائه على قيد الحياة من 50٪ إلى 20٪ في غضون أيام[139]، ونظرَت أفيني شاكور، تلك الأم الأبية، والعضوة القوية في (الفهود السوداء) إلى ابنها الوحيد... وتهيَّأت للأسوأ.

وترددت أصداء دعوات الجميع طوالَ الليل؛ أملًا في حدوث معجزة، وكان باك شجاعًا، حتى مع وجود فرصة بنسبة 20٪ للبقاء على قيد الحياة، وإذا كان بإمكان أي شخص أن ينجوَ، فسيكون باك، فقد أُطلق عليه الرصاص من قبلُ خمسَ مرات، وعاش ليصبح أكثرَ شهرةً، وليكسب المزيد من المال، وليصبح أقوى، وسيفعل الشيءَ نفسَه هذه المرة، ولكن مع حلول الليل، لم تتحسن حالة باك، بل في اليوم التالي، كانَت جميعُ المؤشرات تشير إلى حقيقة أن قلبه كان يضعف، وأنه سيتوقف قريبًا، وبعد الظهر بقليل، وقع ما لا مفر منه، فقد أصبح مخطط القلب الكهربائي مسطحًا، وقد توقف قلب باك عن الخفقان، وبدأ الأطباء على الفور في إنعاشه بصدمات كهربائية على صدره، ولكن المخطط ظل مسطحًا، وكرروا الصدمات الكهربائية، وهذه المرة بجهد أكبر، فظهرَت إشارات نشاط على مخطط القلب، ولكنها لم تدُم، وعاد مسطحًا مرة أخرى، وفي هذه المرحلة، اقترب الأطباء من أفيني، وطلبوا منها تحديد ما يجب فعله، فسوف يستمرون في محاولة إنعاشه حتى تأمرهم بالتوقف.

وفي مقابلة على قناة إيه بي سي في برنامج برايم تايم لايف، أوضحَت أفيني أسبابها المنطقية في تلك اللحظة العصيبة والحاسمة:

شعرْتُ حقًّا أنه من المهم بالنسبة إلى توباك، الذي قاتل بقوة، أن يتمتع بروح حرة، وشعرتُ أنه من المهم أن تُمنحَ روحه الحرية؛ لذلك ابتهجت معه، مع إطلاق روحه ابتهجت حينها، وأنا أبتهج الآن، حين لا أبكي[140].

وقد أكدت أفيني شاكور قرارها مع الأطباء؛ إذا فشل قلبه مرة أخرى، فليتوقفوا، وليدعوه يذهب في سلام، وفي 13 سبتمبر 1996م، فشل إنعاش توباك أمارو شاكور بعد أن أُصيب بفشل تنفسي وسكتة قلبية رئوية[141]، وفي الساعة 05:4 مساءً في ذلك اليوم أُعلنت وفاته.

الفصل الثاني عشر
لا يمكن أن تكون الحياة هكذا

«أحدق للعالم في مرآة سيارتي»

توباك شاكور، وإي. دي. آي. مين، والقذافي

لقد فقدتُ باك، يا رجل، ولقد اقتُلِعَ جزءٌ من روحي؛ حتى إني أصبحتُ في هذه المرحلة من حياتي في سن الـ 18، وبدأتُ أخشى الاقترابَ من أي شخص، فكل من أحببته... وكل شخص مهم بالنسبة إلي مات: أبي، وأمي، وجدتي، والآن باك، واعتدتُ أن أسألَ نفسي: ليت شعري، ماذا تعني الحياةُ إذا كان كل ما فيها هو الموت؟! فقد كان كل ما أعرفه هو الموت، ولم أكن أعرف قطُّ ما الهدف من الحياة، واضطررتُ إلى الشرب الآن أكثر من ذي قبل، فقد كان الألم يزداد، وكلما ازداد احتجتُ إلى تخدير عقلي أكثر؛ حتى إني لم أكن أفكر كيف أحيا بعد باك؛ لأنني لم أتخيل حياة من دونه في المقام الأول، وكان موت باك ضربة موجعة لي، وشديدة الصعوبة، وكان كذلك ضربةً للقذافي ولجميع أعضاء فرقة الأوتلو ولعائلة ديث رو، بل كانت فاجعةً للعالم كله.

وبعد ظهر يوم 13 سبتمبر 1996م، لم توقف المحطات التلفازية والإذاعية في جميع أنحاء الوطن برامجها لتذيعَ الخبر فحسب، بل كادت تُوقِفُ القلوبَ.

توباك شاكور، مغني الراب والممثل الذي بنى مسيرة مهنية مثيرةً للجدل، يلقى مصرعه متأثرًا بجراحه إثر حادثة إطلاق نار من سيارة مجاورة[142]، فقد وقفت الأمة في ذهول، وبالنسبة إلى بعضهم، كان هذا تأكيدًا على أن موسيقا راب العصابات كانت شديدة التدمير؛ فقد كان ذلك النوع الموسيقا يُحرِّض على العنف، وينشر الجريمةَ المرتبطةَ بالعصابات في المجتمعات السوداء، وأصبحَ موت توباك الآن دليلًا ملموسًا على ذلك، وبالنسبة إلى بعضهم الآخر، كان فقدانًا لعدسةٍ واقعيةٍ حقيقيةٍ تُسلِّطُ الضوءَ على التجارب الأمريكية السوداء؛ فعلى الرغم من أن موسيقاه كانت في بعض الأحيان تحتوي على عناصر مثيرة للجدل، فقد قدَّمَت أيضًا عرضًا مهمًّا للتجارب الحية لكثير من السود، والطريقة التي رأى بها هؤلاء الأشخاص العالم، والطريقة التي اعتقدوا أن العالم كان يراهم بها، ولكن آخرين رأَوْا موته موتًا لأصواتهم؛ ونظرًا لأن السود ما زالوا غيرَ قادرين على التحكم تحكمًا كاملًا في الصورة المطروحة لهم في وسائل الإعلام بحلول عام 1996م، ظلَّت أغاني الراب لسانَ حالهم؛ لضمان وصول محنتهم إلى جميع أنحاء العالم، وكان توباك يمتلك «أحد أكثر الأصوات بلاغةً في الموسيقا الحديثة؛ شاعر الحي الذي أَسَرَت حكاياته عن الاغتراب الحضري

الشبابَ من جميع الأعراق والمشارب»[143]، وبفقدان توباك؛ ذلك الفنان ذي الشعبية الواسعة، أُسكت صوتٌ رئيسٌ كان يدعو إلى العدالة الاجتماعية، ولا شك أن مغني الراب الموهوبين كانوا لا يزالون موجودين بعد وفاته، ولكن قلة منهم اهتمت ببذل جهد واعٍ لتسليط الضوء على العلل المجتمعية، ونقل الرسائل الواعية اجتماعيًّا، إلى المستوى الذي حققه توباك، بعد فقده، كان على العالم أن يبدأ في تحديد كيفية المُضي قُدُمًا في الحياة من دونه، كما فعل نابليون وفرقة الأوتلو.

وبعد إعلان وفاة باك في المستشفى، سارعت فرقة الأوتلو إلى تحديد الخطوة المقبلة في حياتهم، فعلى المدى القصير، عقد شوغ اجتماعًا طارئًا مع أفيني وفرقة الأوتلو، وقرر أنهم سيبقون جميعًا في قصر باك في الوقت الحالي، وسوف تتحمل ديث رو جميع النفقات المنزلية، وفي الوقت المناسب، سيجتمع شوغ أيضًا مع جميع فناني ديث رو؛ لمناقشة تداعيات وفاة أحد أكبر أعضائها على الجميع، وبالنسبة إلى فرقة الأوتلو، فقد بدأت تعقيدات صناعة الموسيقا في الظهور الآن؛ إذ لم يكن لديهم عقد رسمي مع ديث رو؛ لذا ذهب مستقبلهم مع الشركة بالفعل أدراج الرياح، وكان باك قد نصحهم بعدم التوقيع على أي شيء رسمي؛ حتى يُوقِّعُوا تحتَ اسم شركة الإنتاج الخاصة به (*Euphanasia*) (التي طلب من ياسمين فولا تشغيلها)[144]؛ لأنه أراد التأكد من تمتعهم بمزيد من الاستقلالية والحرية تحت قيادته، ولكنه تُوفي مع الأسف قبلَ إبرام أي اتفاق رسمي؛ لذلك كان مستقبل فرقة الأوتلو ضبابيًّا وغيرَ مؤكد على أحسن الأحوال.

وبعد أيام قليلة من وصولهم إلى لوس أنجلوس، أُحرقت جثة باك، وعُقد حفل تأبين صغير حضره كثير من أقرب أصدقائه وأقاربه على شاطئ خاص، وقد ذكَّر وجودُ كثير من النجوم نابليونَ بأنه على الرغم من أن باك كان لديه أعداء، فقد كان لديه الكثير من الأصدقاء، وكان مدى وصوله وتأثيره أكبرَ بكثير مما كان يَتصوَّر نابليون، ولقد أدرك أن باك سوف يرحل، ولكن بسبب العدد الهائل من الأرواح التي أثر فيها، من المؤكد أنه لن يُنسى، وكان الحدثُ مفعمًا بعبارات التأبين النابعة من القلب، واستمرَّت المراسم بضع ساعات، ومع انتهاء المراسم، تعانق الجميع، وعزى بعضهم بعضًا، وتمنى كلٌّ منهم الخير للآخر، ونصح بعضُهم بعضًا بأن يظلّوا أقوياء، وأن يحافظوا على سلامتهم، ولقد أصبحَت الحياة الآن دون باك قاسيةً لا يمكن تصورها، ومضى كلٌّ منهم في طريقه محملًا بتلك المشاعر؛ لتستمر الحياة.

وفي وقت لاحق من ذلك الأسبوع، دعا شوغ إلى اجتماع في مكتبه جمع فيه جميع فناني ديث رو جنبًا إلى جنب مع فرقة الأوتلو، وكانت مناسبة لتذكر باك، وفرصة لأعضاء مختلفين؛ للتحدث عن التأثير الذي أحدثه في حياتهم ومسيرتهم المهنية، وقد بدأ الاجتماع بأن أظهر شوغ لهم جروحَ رصاص في صدره ورأسه[145]، أُصيب بها أيضًا من إطلاق النار؛ وأخبرهم أن الموت كان قاب قوسين أو أدنى منه، ولكن قُدِّرَ له أن يعيشَ ليحكي القصة، وقد ذكَّرَت هذه المقدمةُ القاتمةُ الحاضرين بأنهم كانوا على بعد أيام قليلة من مأساة حقيقية، وتحتَ قيادة شوغ، تناوب كل عضو في التعبير عن احترامه لمغني الراب الراحل، حتى سنوب دوغ، ولقد اتضح أنه قبل وفاة باك مباشرةً،

أن باك وسنوب لم يكونا على وفاق، وعلى الرغم من أنهما حققا نجاحًا هائلًا في تعاونهما المشترك في ألبوم (*2 of Amerikaz Most Wanted*)، فقد تعرضت علاقتهما لتدهور كبير بعد أن أجرى سنوب مقابلة مع أنجي مارتينيز في نيويورك خلال حفل توزيع جوائز إم تي في، وهي مقابلة أُجريت قبلَ أيام فقط من وفاة باك[146]، وفي ذروة العداء بين الساحل الشرقي والساحل الغربي، سُئل سنوب خلال المقابلة عن علاقته مع بيغي وباد بوي ريكوردس؟ وفي الوقت الذي كان فيه باك، وفرقة الأوتلو، والآلاف من عشاق الهيب هوب يتابعون المقابلة، أعلن سنوب أنه ليس لديه أي مشكلة مع أيٍّ منهم؛ لا مع بيغي، ولا مع بافي، ولا مع باد بوي[147]، فأُصيب باك بالصدمة؛ فبحلول الوقت الذي انتهَت فيه مشكلاتُه القانونيةُ والشخصيةُ التي لا تُحصى، أصبحَت مسألةُ عدم الولاء له شديدة الحساسية؛ لذلك لم يمر تعليق سنوب مرورَ الكرام، بل مثَّل انتهاكًا كبيرًا للثقة من وجهة نظر باك، وتوعد بالانتقام، وعبَّر في الغالب عن هذا الشعور لنابليون في الأيام التي سبقَت مقتله، وفي اجتماع شوغ، عندما حان دور نابليون للتحدث، كان لديه شيءٌ مكتوم في صدره يريد أن يُنفِّسَ عنه.

وبعدَ انتهاء مراسم تأبين باك، بدَت الأمورُ غيرَ مُخطَّطٍ لها وغيرَ مستقرة؛ فقد كنا جميعًا مصدومين مما حدث للتو، وكنا جميعًا في حالة ذهول نحاول معرفة الخطوة المقبلة، ورتَّب شوغ اجتماعًا ليلتقيَ الناسُ بعدَ وفاة باك لتأبينه ببضع كلمات، وكان الجميع هناك: سنوب، ونيت، وذا دوغ باوند، وداني بوي، وإم سي هامر، والجميع، وكان الجميع يُثنون على باك، حتى سنوب، وعندما طَلب مني شوغ أن أتحدث، انتهزتُ الفرصة لتوضيح شيءٍ ما كان يتحرَّق في صدري، وقلتُ بصراحة في الاجتماع: إن باك كان لديه مشكلة مع سنوب، وإن ذلك كان بناءً على تعريف باك لمفهوم الولاء، وأوضحْتُ أنه قبلَ حفل جوائز إم تي في بقليل، كان سنوب وباك يسجلان أغاني مهينة لبيغي وباد بوي، ثم ذهبنا جميعًا إلى نيويورك من أجل العرض، وأجرى سنوب هذه المقابلة مع أنجي مارتينيز، وعندما كان باك يستمع إليه على المذياع، قال سنوب فجأةً: إنه ليس لديه مشكلات مع بيغي أو بافي أو باد بوي! ولم يُعجِب باك هذا الكلامُ على الإطلاق، ولم يعجبني كذلك، فقد شعر بالخيانة، فكان لسان حاله: لقد كنتَ معي في خندق واحد نُوجِّهُ لهما الإهانات؛ فكيف تقول الآن بعدم وجود مشكلات؟! لقد تساءل متعجبًا: ما الذي يجري؟! هناك أمرٌ غيرُ منطقي، ولقد أوضح سنوب في الاجتماع أنه يحترمُ باك، ولكنه كان يتبنى نهجَ مارتن لوثر كينغ فيما يتعلقُ بخلافات الساحل الشرقي والساحل الغربي أيًّا كانت، في حين كان باك أشبهَ بمالكوم إكس، وعلى أي حال، أعتقد أن باك لو كان حيًّا، فمن المحتمل أنهما كانا سيُسويان هذا الخلاف، ويُنهيان كل ما يتعلق به، ولكن في ذلك الوقت قلتُ ما قلتُه، وكان من المهم بالنسبة إلي أن أوضح من كان في صف باك ممن لم يكن، ولقد تأثرتُ تأثرًا شديدًا وقتها؛ لأني فقدتُ شخصًا عزيزًا عليَّ.

وعلى الرغم من التوتر الذي أحدثَته تعليقات نابليون في الغرفة، شعر بالارتياح؛ لأنه تمكن من الدفاع عن صديقه المقتول، ووضع الأمور في نصابها، وكانت الأجواء متوترةً، ولكنها على الأقل أصبحَت واضحةً، وبعدَ أن انتهى نابليون من حديثه، جلس وسمح للآخرين بمواصلة الحديث عن

التأثير الإيجابي الذي أحدثه باك في حياتهم، وفي غمرة المعاناة من الصدمة، شارك كثير من الفنانين الحديث عن مدى هشاشة الحياة؛ فالمرءُ يكون معنا اليوم، ثم يرحل عنا غدًا.

وقد استمر الاجتماع مدة ساعة، وفي طريق شوغ إلى الخارج، أخبرهم بأنه سيكون على اتصال معهم بخصوص التطورات المستقبلية، ومع تفرق الجمع، كان من الواضح أن ديث رو ستمضي قُدُمًا في النهاية، ولكن الجميع كانوا يعلمون أن الأمور ستكون مختلفة مع فقد أحد أكبر نجومها وأكثرهم إثارة للجدل.

وعلى الرغم من أن نابليون كان لا يزال لديه عائلته وفرقة الأوتلو، ولكنه شعر أنه شديد الوحدة، فقد انهدم عمودان أساسيان من الأعمدة التي بنى عليها حياتَه إلى الأبد، ومع حقيقة أن الجدة ماري وباك لم يعودا بعدَ الآن حوله، كان نابليون قلقًا بشأن مستقبل ضبابي، ولكن كان عزاؤه الوحيد أنه عرف أن الدروس التي تعلمها منهما ستفيده في بقية حياته: كن جيدًا مع الناس، ولكن ثق بالقليل منهم، ولا تضع كل بيضك في سلة واحدة، ولكن اعمل بجد عندما تُتاح لك الفرص، وكن حذرًا في الشوارع وحكيمًا في اختيار معاركك، وقبلَ كل شيء، كن حقيقيًّا، وابقَ مخلصًا، ولا تَخْشَ أحدًا.

ستكون هذه الدروس مفيدة في وقت ما، ولكن في أعقاب وفاة باك، احتاج نابليون أكثر من أي وقت مضى إلى تذكر الدروس التي تعلمها حول البقاء على قيد الحياة، وبعد مقتل باك على يد عصابة، تحولت لوس أنجلوس إلى حمام دم؛ ونظرًا للطبيعة الحساسة لقتله على يد أورلاندو أندرسن[148]، المنتمي لعصابة ساوثسايد كريب، اندلعَت حرب عصابات بين كريبس وبلدز، فلا صوت يعلو فوق صوت الانتقام، وقد أفادت التقارير بأنه في كومبتون:

... اندلعت حرب دموية بين الجانبين الشمالي والجنوبي، وخلال الأيام القليلة التالية، أحصت الشرطة 12 حادثة إطلاق نار وثلاثة قتلى، وسادت الأعمال الجنونية في الحي، وتردَّدت شائعاتٌ بأن عصابة بلدز كانت تمنح 10 آلاف دولار مقابل كل فرد يُقتل من عصابة كريب بالجانب الجنوبي[149].

وقد حمي الوطيس في شوارع لوس أنجلوس، واشتعلت الأحياء بعنف العصابات، ولم تكن الحياة اليومية محفوفةً بالأخطار لأعضاء العصابات فحسب، بل كانت أيضًا محفوفة بالأخطار بالنسبة إلى فرقة الأوتلو؛ لأنهم لم يكونوا يعرفون ما إذا كانوا مستهدفين بالانتقام؛ بناءً على ارتباطهم بباك وديث رو.

وذات مرة، شعر القذافي وواك ديوس بالملل، فقررنا الذهاب إلى مركز تجاري في لوس أنجلوس، ويجب أن تفهم أننا كنا في حالة تأهُّب قصوى؛ لأننا لم نكن نعرف ما إذا كان الرجال يستهدفوننا، وواك ديوس كان صديقًا مقربًا، فكنتُ أذهب إليه في منزله طوالَ الوقت في كومبتون؛ لذا ذهبنا لقضاء بعض الوقت في منطقة الجلوس في المركز التجاري في المطاعم على ما أعتقد، ورأينا

بعض الأشخاص في أقصى الجانب يحدقون بنا، ونظرتُ إلى القذافي، ونظر إليَّ، وثارت فينا غرائز الحي بسرعة، وبدأنا على الفور في البحث حولَنا عن شيء يمكننا الدفاعُ به عن أنفسنا؛ لأننا لم نكن نحمل مسدساتنا في ذلك الوقت، فقد كانوا قرابة أربعة أو خمسة وكنا ثلاثة؛ لذلك أحكمنا قبضتنا بقوة على بعض الكراسي، وبدؤوا يتحركون نحونا، وكنتُ أنظر إلى القذافي بانتظار الإشارة منه؛ لألتقط كرسيًّا، وأهشمه على رأس أحدهم، واقتربوا أكثر، وبدأتُ أضطرب بعض الشيء، وقلتُ لنفسي: دعك من القذافي، فلو اقتربوا خمس خطوات أخرى في اتجاهي، سوف أحطم الكرسي عليهم، وخطوة، فالثانية، فالثالثة، فالرابعة، واتخذ أقربهم إلينا خطوته الخامسة حين سحبت الكرسي، فرآني القذافي، ففعل كما فعلتُ على الفور، وكنا على وشك بدأ الشجار معهم، حين سمعنا: «لا، لا، يا أخي! اهدأ! لقد أتينا في سلام يا رجل! نحن نعرف من أنتم! ولا نُكِنُّ لكم إلا الحب!»، فنظرتُ أنا والقذافي وواك ديوس بعضُنا إلى بعضٍ وضحكنا، لقد كنا على وشك أن نتشاجرَ مع هؤلاء الرجال دون سبب، ولم نكن نعلم أنهم عرفونا عن طريق بيغ سايك وبوغارت، وما حدث يُظهر لك مدى توتر الأمور في ذلك الوقت، ومدى استعدادي لإيذاء شخصٍ ما.

وبعدَ وفاة باك، عانى الجميعُ عاطفيًّا في محاولة للتكيف مع حقيقة أن باك قد رحل، وكان الناس عصبيين، وأحدثت الحدةُ في بعض الأحيان لحظاتٍ من التوتر، حتى بين أعضاء الأوتلو، وتتذكر ستورم إحدى تلك المرات بوضوح[150]:

نعم، بعد وفاة باك، كنا جميعًا شديدي الغضب، وقساة، وعصبيين، وكان الأمر كما لو كنا نتصيدُ لشخصٍ ما (حتى فيما بيننا) ليقولَ شيئًا خاطئًا!

أتذكر أننا كنا في أحد الأيام في الشقة، وبدأ مطاع يسخر من أحد الرجال الذين كانوا حولَنا في ذلك الوقت، وكان مطاع يجيد السخرية من الناس (تضحك)! لذلك ضحكتُ؛ لأن الأمر كان مضحكًا، ومن دون شك لم يرُدَّ الرجل على مطاع بأي شيء، ولكنه نظر إليَّ وعَدَّني هدفًا سهلًا يُنفِّس فيه عن غضبه، وقال: «علامَ تضحكين أيتها العَاـــ؟!». فخرجتُ عن شعوري على الفور، وقلتُ: «إلى من تتحدث بهذا الأسلوب القذر؟!». فأمسك بي مطاع، وقال: «اهدئي يا ستورم، اهدئي». ولقد وجدتُني دون أن أشعر أسحب مسدسًا من جيبي، عيار 22 أو 25، ومن بين جميع الناس كان مطاع هو الذي هدأني، وأخبرني أن الرجل أخطأ بالفعل، وكان من غير اللائق أن يصفني بتلك الكلمة، ولكن الأمر لم يكن يستحق ما كنتُ على وشك فعله، وذهبَ إلى الغرفة الأخرى، وتحدَّث إلى الرجل، واعتذرَ الرجل لي في الواقع، وكان مطاع دائمًا هو الشخص الجامح المتأهب للانطلاق، ولكنه كان يتمتع دائمًا بقلب طيب على الرغم من كل ذلك، وفي تلك اللحظة عمل عملًا صالحًا، وأنهى الخلاف.

قد تكونُ الأمور قد أصبحَت متوترةً بين فرقة الأوتلو، ولكنها كانَت أشدَّ توترًا في شوارع لوس أنجلوس، وقد عزل قصر باك في كالاباساس نابليون وفرقة الأوتلو إلى حد كبير عن الكثير من ذلك التوتر، ولكن ما إن عزموا على الرحيل، حتى بدأَت الحقيقة القاتمة للحياة خارج كالاباساس تتراءى

لهم، ومن نواحٍ كثيرة، كان باك حصنًا لنابليون وفرقة الأوتلو من الخطر عندما كان على قيد الحياة، وقد تركهم موتُه مكشوفين.

وكنا نقيم في قصر باك بعض الوقت، ولقد اعتنَت شركة ديث رو وشوغ بكل شيء، وكانت الأجواء مفعمة بالحب، وكان لا يزال من الجنون أن أكون في لوس أنجلوس خلال هذا الوقت، وفي مرحلةٍ ما، شعرَت أفيني أن الوقت مناسب للعودة إلى الشرق، وإلى منزلها في أتلانتا، فوافقها على ذلك إي. دي. آي. وكاسترو، وأما أنا، ونوبل، والقذافي، فأردنا العودةَ إلى المنزل، والعودة إلى المنطقة؛ لذلك غادرنا جميعًا، وذهب كلٌّ منا في طريقه، ولم يعُد فيتل إلى الغرب قطُّ؛ لذا كان بالفعل في نيوجيرسي، وإنه لأمرٌ مضحكٌ يا رجل، فقد كنتُ أتشوق للعودة إلى إيرفينغتون، وهو الشعور نفسُه الذي كان لديَّ عندما ماتت جدتي، ولكن هذه المرة... لم أعُد أهتم بأي شيءٍ، وكنتُ كالمخدَّر يا أخي... وكان هذا الجزء من حياتي ضبابيًّا، وأصدقك القول؛ ذلك لأني لم أكن قطُّ رصينًا، وكل ما أتذكره هو أنني كنتُ مستعدًّا لعداء أي شخص، وأردتُ أن يشعرَ الناس بألمي؛ لذلك كانت استثارة غضبي سهلة جدًّا، وكان أي شيء - ولو صغيرًا - يزعجني، وحين أتذكر ما مضى، أعلم أن مروري بما مررتُ به في مثل هذه السن الصغيرة، كان يشير بوضوح إلى أنني أعاني من بعض المشكلات الخطيرة التي لم يُتعامَل معها، وكان العنف والغضب هما اللغةَ الوحيدةَ التي أُجيد التفاهم بها لفترة طويلة في حياتي.

والآن بعدَ أن غادروا لوس أنجلوس، اضطرت فرقة الأوتلو إلى تغيير مسار حياتهم؛ فذهب إي. دي. آي. وكاسترو إلى أتلانتا مع أفيني، بينما عاد يَنْغ نوبل، ونابليون والقذافي إلى نيوجيرسي، وظل فيتل في مونتكلير منذ عرض جوائز إم تي في، وكان يأخذ استراحة من الموسيقا، ولكنه بقي على تواصل مع فرقة الأوتلو، يطمئن عليهم من وقت لآخر، وكان من المفترض أن تكون عودة نابليون والقذافي إلى نيوجيرسي عودةً إلى المألوف، ولكن هذه المرة كانت رحلتهم إلى المنزل مختلفةً على نحو ملحوظ، وكان الجميع لا يزالون يحاولون معالجة ما يعنيه فقدان باك، فقدْ فقدَ العالم فنانًا موسيقيًّا موهوبًا ذا وعي اجتماعي، وفقدَت أمريكا السوداء المتحدث باسمها، وفقد الأصدقاء المقربون والعائلة شخصًا حنونًا بمعنى الكلمة، وفقدَت أفيني ابنها الوحيد، وفُجعت الرابطة الأخوية داخل فرقة الأوتلو بعضوها الأول، وفقدوا قائدًا كان دائمًا يُعلي مصالحهم، غير أن الصدمة ضربت نابليون والقذافي بشدة.

وبعد أسابيع قليلة من الحادثة، بدأ الألمُ النفسي الناجم عن التفكير في تلك الحادثة العنيفة التي أدت إلى موت باك يزداد سوءًا، خاصة بالنسبة إلى القذافي؛ لأنه رأى الأحداث تقع أمامَ عينيه، وفي الوقت الذي صعدوا فيه إلى الطائرة في لوس أنجلوس، كان الدمار الذي خلفته المأساة لا يزال شديد القسوة، وقد بدأ بالفعل يوهن قدراتهم العقلية والعاطفية، ولقد منحهم طولُ الرحلة المزيدَ من الوقت لتخفيف الألم، والتفكير في الذكريات، وسؤال أنفسهم حولَ ما كان بوسعهم فعله، وبدا الأمر كما لو أنهم كلما فكروا في تلك الأمور، زاد الوهن مع كل ميل يقطعونه، ووصلوا إلى مطار نيوآرك،

وكانوا أشبهَ بكائنات ضبابية منهكة القوى تمشي على الأرض، ولم يعودوا يعرفون الهدف من أي شيء.

وعلى الرغم من شهرتهم وسهولة وصولهم إلى ملذات الحياة، كانت قدراتهم العقلية تتآكل، ولم تكن تعمل على نحو صحيح، ولم يكن الأمر يتعلق بعدم قدرتهم على التمييز بين الصواب والخطأ؛ بل لم يكن لديهم القدرة العقلية أو الطاقة العاطفية للاهتمام بذلك، وأصبح إيجاد مُتنفَّس من معاناتهم هو الشاغل الأكثر إلحاحًا، وفي هذه المرحلة شديدة التدهور من حياة نابليون والقذافي، كانت جاذبية العودة إلى حياة الشارع في نيوجيرسي أمرًا رائعًا للغاية، وبالنسبة إليهما، أصبحَت تلك العودة علاجية على نحو غريب، وكانت هي الشيء الوحيد الذي شعروا أنه يمكن أن يساعدهم على التعامل مع الألم.

وكنتُ أنا والقذافي نتحدث كثيرًا، ولقد تأثر بوفاة باك تأثرًا كبيرًا، حتى إنه تأثر أكثر مما تأثرتُ؛ فلقد شاهد الحادثة، ووقعَت أمام عينيه، وأنا متأكد من أن ذلك المشهد تكرر في عقله مرارًا وتكرارًا، ولقد بدأ يتناول الحبوب المخدرة، وأنا كنتُ أسرفُ في الشرب، ولم نكن نفعل شيئًا سوى التجمع ومحاولة الهروب من الألم معًا، وكانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي تعاملنا بها مع الأمور؛ وهي أن نعتزل العالم بعض الوقت، بل في بعض الأحيان، كان الأمر يزيدُ معه عن هذا الحد، فيذكر أنه لا يجد شيئًا يستحق العيش من أجله، وأعتقد أننا سجلنا أغنيةً، أو أنه كتب أغنية أو شيئًا ما يدور حولَ مطاردة الموت، وهذه هي الحالة التي كنا عليها بالضبط، وكان من الصعب عليَّ أن أسمعه يقول أشياء من هذا القبيل؛ لأنني كنتُ أحبه حبًّا جمًّا، ولكنني كنتُ أعرف الألم الذي كان يعانيه؛ فقد كان الأمر قاسيًا، وكنتُ أعرف شعور الفقد، ولكنني كنتُ أقف بجانبه كما وقف دائمًا بجانبي، خاصة عندما قررنا أن نخرج إلى شوارع نيوجيرسي، وكنا نتسكع في المنطقة كلَّ يوم، أنا في حالة سُكْر، وهو غائب العقل من تعاطي الحبوب، وكنا نتشاجر مع أي شخص، ومع كل شخص، وكنا نتلمس أيَّ سبب للانفجار في شخصٍ ما، فقد كان الأمر كما لو كان أحدُنا علاجًا للآخر، ويدعمُ كلٌّ منا الآخر ونحن نحاولُ تجاوزَ الأمور، وعندَ هذه النقطة، وبعدَ فقد أي شخص آخر في حياتي، لم يعُد أحدٌ يعنيني أمرُه - إلى جانب إخوتي وأبناء عمومتي - أكثر من القذافي.

وكان وصول نابليون إلى منزله في إيرفينغتون، أشبه بحالته الحلوة والمرة التي عايشها قبلَ بضعة أشهر، فقد كان مؤمن وريف وسيكي وكامل ورودي سعداء برؤيته ومعرفة أنه آمن، ولكنهم صُدموا جميعًا بوفاة باك، وشعروا بالحزن؛ لأنه كان سبب عودته إلى المنزل هذه المرة، وتأملوا جميعًا مدى هشاشة الحياة، وأهمية توخي الحذر الشديد في حماية النفس خلال هذه الأوقات المضطربة، ومن المفارقات، أن الطبيعة العنيفة التي أحاطت بوفاة باك لم تكن مرعبةً بما يكفي لردع أي واحد منهم عن الاستمرار في الانخراط في أنشطة خطيرة، بل بدا موت باك بالنسبة إلى نابليون والقذافي، كأنه شجعهم على أن يكونوا أكثرَ تهورًا في كفاحهم لإيجاد هدف ذي معنى في الحياة.

وخلال هذا الوقت، كان القذافي يأتي في كثير من الأحيان من مونتكلير لزيارة نابليون في إيرفينغتون، وفي إحدى الزيارات، قدَّم نابليون القذافي لابن عمه رودي، الذي تصادف وجوده في المنزل في الوقت نفسه، وكان نابليون يرغب منذ زمن طويل في تقديم كلٍّ منهما للآخر، ولكن في كل مرة كان يأتي فيها القذافي، وكان رودي يخرج لكسب المال في الشارع، ولم يكن قط موجودًا، وبحلول الوقت الذي التقى فيه القذافي في النهاية رودي، كان هناك أحداث مهمة قد وقعت في حياة رودي، أهمها وفاة والدته العمة سميرة، التي كان لها دور فعال في رعاية نابليون ومؤمن وكامل وتدليلهم بعد مقتل والدَيْهم، ولقد كان لها أيضًا دورٌ مهمٌّ في حياتهم؛ لأنها كانت المسلمة الوحيدة في المنزل، وأرادت لهم أن يظلوا على صلة بالعقيدة الإسلامية، كما كان يتمنى شقيقها الراحل سالك، وبحلول عام 1992م أُصيبت فجأة بالتهاب رئوي، وسرعانَ ما تدهورت صحتها، وبعد صراع قصير، استسلمت للمرض، وماتت عن عمر يناهز 38 عامًا؛ ولأن نابليون ورودي قد كبرا معًا، فقد كانا عمليًّا أخوَيْن، يثق كلٌّ منهما في الآخر، ويتمازحان، ويحمي كلٌّ منهم ظهرَ الآخر في المعركة، وكانت صلتهما قوية لا تنفصل، وعلى الرغم من أنه ترك إيرفينغتون لمتابعة مهنة الراب، كان نابليون دائمًا على اتصال مع عائلته هناك، خاصةً مؤمنًا ورودي، وقد لاحظ نابليون في الأيام التي أعقبت وفاة والدة رودي، أن الكآبة لا تفارقه أبدًا.

وكان في العادة نابضًا بالحياة ومحبًّا للمزاح، ولكنه أصبح الآن حزينًا وكئيبًا على نحو ملحوظ، وكان من الواضح أنه يتألم، ونتيجةً لذلك، سرعان ما أصبح مفتونًا بالمسدسات، ووجد في حياة الشوارع مُتنفَّسًا له، ولجأ إلى تعاطي الحبوب المخدرة؛ طلبًا للراحة، وعلى الفور كان تعاطي الحبوب المخدرة وحب الشوارع هو نقطة الاتصال بين رودي والقذافي، وبعد لقائهما الأول، بدأا يقضيان وقتًا طويلًا معًا.

وبالنسبة إلى نابليون، أصبحَت الحياة في إيرفينغتون دائرةً مستمرةً من العنف؛ يتشاجر في الحي مع من ينظر إليه نظرةً لا تعجبه، وينتقم لصديقه الذي اعتدى عليه أشخاصٌ من منطقة أخرى، ويلتحق بأخيه في معاركه ضد المناطق الأخرى، ومن بين جميع هذه المواجهات العنيفة، كانت هناك مواجهة لها أهمية خاصة.

أخبرني ابن عمي رودي ذات مرة أنه كان هو وصديقي بوه في المنطقة خارج المنزل ذات مرة يلعبان النرد مع بعض الأشخاص الآخرين من منطقة مختلفة، وكان الفوز حليفَ رجال المنطقة الأخرى إلى حدٍّ كبير، فاستمروا في اللعب حتى وصلوا إلى مرحلة ما، دخلوا فيها في جدال حادٍّ حول إحدى الرميات، وعند هذا الحد كان رودي وبوه قد خسِرا فعليًّا؛ لذا بدأا يتشاجران مع هؤلاء الأشخاص، ويعتديان عليهم بالضرب، واستمر الشجارُ، ولكن الغلبةَ كانت لرودي وبوه، وانتهى بهما الأمر إلى أن استردا أموالهما بعد المشاجرة، وغادر الرجال، ولكن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد، فقد قال هؤلاء الرجال: إنهم قد تعرضوا للغش، ما يعني أنهم سوف يعودون، وما هي إلا سويعات، فتوقفت سيارة بها خمسة أو ستة أشخاص أمام المنزل، في اللحظة التي كنتُ أقف فيها أمامَه، ولم

يكن رودي موجودًا، ولكن كنتُ أنا وريف هناك، وعلى الفور أزلتُ جميع جواهري، ومنها الساعة التي أهدانيها باك؛ لأنني اعتقدتُ أنهم لصوص، وبحثوا عن رودي، ولكن لم يتمكنوا من العثور عليه؛ لذا غادروا، ولقد غاظني ذلك يا رجل! فكيف يتجرؤون عليَّ في منطقتي؟! فصعدتُ على الفور إلى الطابق العلوي، حيث كان ابن عمي ريف، ولقد حان الوقت لأستخدم مسدسي، فبحثت عن أكبر مسدس يمكنني الحصول عليه، وكان ماغنوم 44، فملأتُه بالرصاص، وعدتُ إلى الطابق السفلي مباشرةً، ولم أُضِع أيَّ وقتٍ، فوقفتُ في الخارج قليلًا، وظهرَت الشاحنةُ نفسها مرةً أخرى، وخرج منها عددٌ قليلٌ من الرجال، فلم أسيطر على نفسي! سحبتُ مسدسي على الفور، وبدأتُ أمطر الشاحنة بوابل من الرصاص، وكنتُ أطلق على كل مكان في السيارة، محطمًا النوافذ، ومصيبًا الأبوابَ، ولم أكن أحاول قتل أي شخص، ولكني أردتُ أن أوصل إليهم رسالةً ليعرفوها على وجه اليقين: إياكم أن تفعلوا هذا الهراء في منطقتي مرةً أخرى، وسرعان ما وصلتهم الرسالة، ففروا في سيارتهم هاربين، ولقد كانت حياتي تأخذ منحى جنونيًّا يا رجل!

«جعلني المال أشعر كالنجم، لكن القتل جعلني أشعرُ بأن موتي قريب». كانت أصداء تلك القوافي تتردد حولي يا أخي.

فالمسدسات، والمخدرات، والكحول، والعنف، كانت هذه هي حياة نابليون، وكانت هذه هي حياة القذافي، وكانت هذه هي حياة الآلاف، بل ربما كانت هي حياة مئات الآلاف من شباب الأقليات في الأحياء السوداء، وكانت حلقة مفرغة من الخطر الذي بدا بلا نهاية، ولسوء الحظ، كان هذا هو الواقع الجديد لنابليون والقذافي، فكل يوم كسابقه: سكر أو تعاطٍ للمخدرات، وعداوة واحتيال لكسب المال في المنطقة، وكان يتخلل روتينَهم هذا مشاجرات بين الحين والآخر في الحي، أو تنفيذ هجمات انتقامية عبرَ المدينة، وعلى الرغم من كل هذه الأحداث، كانوا يحاولون إيجاد وقت للاسترخاء وقضاء وقت ممتع، فذات يوم، اتصل كوروبت من ذا دوج باوند بنابليون في أحد الأيام، وأخبره بأنه سيكون في فيلادلفيا، حيث موطنه الأصلي، يزور العائلة، ويود لقاءه في أثناء وجوده في الساحل الشرقي، وكان نابليون دائمًا يحب كوروبت، ووافق على ذلك على الفور، وأخبره أن كل شيء على ما يرامُ، وأن عليه أن يستعدَّ لقضاء وقت رائع في نيوجيرسي، وكان نابليون لا يُبارَى فيما يتعلق بالأجواء الاحتفالية وتسلية الناس، وبدأ في الاستعدادات لتطويق الحي بأكمله؛ لوجود الكثير من المعتدين والسُّكارى، وليحققَ أقصى قدر من التأمين؛ ففي خضم هذا الصراع بين الساحل الشرقي والساحل الغربي، أراد نابليون أن يُرسلَ رسالة مفادها أنه لا يمكن لأحد أن يُخيف ضيفَه، ودعا العائلةَ ومن هم محل ثقته من العصابات في الحي؛ لضمان سلامة كوروبت بأي وسيلة ضرورية.

وعندما جاء كوروبت كان الأمر رائعًا، ولكنه كان أيضًا وقتًا مجنونًا وحرجًا، وأود أن أقول: إنه كان في الواقع نقطة تحول في حياتي؛ لذا حضر كوروبت إلى الشرق؛ لأنه كان في زيارة لعائلته في فيلاديلفيا، فوصفتُ له الاتجاهات إلى كتلتي السكنية في إيرفينغتون ووصل، وقد قضينا وقتًا ممتعًا في التواصل والاطمئنان على الأخبار، وتذكر كيف تغيرت الحياة سريعًا لنا جميعًا، وبعد مُضي

بعض الوقت، سأل عن فيتل والقذافي ونوبل، فقلتُ: إنهم بخير، وإنهم كانوا في مونتكلير على بعد 15 دقيقة، وعرضتُ عليه أن نذهب إلى هناك، ونلتقي بهم أيضًا؛ لذا ركبنا جميعًا سياراتنا، وبدأنا نشق طريقنا إلى مونتكلير، وما إن تحركنا حتى أوقفتنا سيارة شرطي، ولم يكن لديَّ أي فكرة عن السبب، ولكن جرَت العادة في ذلك الوقت بأن يكون وجود مجموعة من الشباب السود في سيارات عدة معًا أمرًا مريبًا بالنسبة إلى الشرطة؛ لذا فحصوا سياراتنا، وفجأةً عثروا على أكياس حشيش في سيارة كوروبت، فقلتُ في نفسي: لا بد أن هذه أكياس كوروبت! فلم أكن أعلم أنه خبأها في سيارته، ولكن لا يمكنني أن أتركه يذهب إلى السجن بعدَ أن دعوتُه إلى نيوجيرسي! فكيف ستبدو صورتي؟ لا يمكنني أن أقبلَ بهذا، وعندما سأل رجال الشرطة عن صاحب أكياس الحشيش هذه؟ قلتُ: إنها لي؛ لذا سمحَت الشرطة للجميع بالرحيل، إلا أنا، فاقتادوني على الفور إلى سجن مونتكلير.

وتحول ما كان مفترضًا له أن يكون مناسبة احتفالية ليأخذ منعطفًا حادًّا نحو الأسوأ، ولم يكن نابليون يعرفُ أن ضيفه لديه حشيش الماريجوانا، وفي طريقهم إلى مونتكلير أوقفتهم الشرطة، وفي أثناء فحصهم للسيارات، اكتشفوا أكياس الماريجوانا الخاصة بكوربوت في إحداها، وعندما سألوا عن صاحبها؟ فكر نابليون على الفور في الأمر من منطلق المروءة؛ فلم يكن له أن يسمحَ بسجن كوروبت بعدَ أن دعاه ليحلَّ ضيفًا عليه في نيوجيرسي؛ فسيكون هذا بمنزلة الخيانة، وبدلًا من أن يُعرِّض كوروبت لذلك، اختار نابليون أن يَفديَه بنفسه، وأن يتحمل هو الأمر عن صديقه، وكان الاعترافُ بحيازة المخدرات غير المشروعة يعني إلقاء القبض على نابليون على الفور وإرساله إلى السجن، وعلى الرغم من ذلك لم يتراجع، فقد قال: إن أكياس الحشيش كانت له، وفي غضون دقائق، وضعَته الشرطة قيد الاعتقال، ووضعوه في المقعد الخلفي من سيارة الفرقة، واحتجزوه في سجن مقاطعة مونتكلير؛ لحيازته مواد غير قانونية.

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يُحتجز فيها نابليون وراءَ القضبان، ولقد سمع قصصًا مرعبةً من باك ورفاقه الآخرين؛ لذلك كان يعرف بالفعل ما يمكنه أن يشعر به من ضيق، وكان أكثرَ من مستعد لتحمله، ومع ذلك، عندما وصل إلى زنزانة الحجز، أدرك بسرعة أن التجربة ستكون أبعدَ ما تكون عن الرعب؛ فعندما نظر حوله في الزنزانة، عرف جميع من كانوا معه فيها؛ وكان ذلك لأنه كان في مونتكلير، ومعظم - إن لم يكن جميع - رجال العصابات ومحتالي الشوارع يعرفون فيتل، والقذافي، ويَنْغ نوبل، ولقد التقى عددًا غير قليل منهم من قبل، واستقبله النزلاء المتفاجئون، وعبروا عن صدمتهم من كونه داخل القضبان لا خارجها، وقال: إن الأمر كله سوء فهم، وإنه يأمل أن يخرج قريبًا.

نعم، لقد كان الأمر جنونيًّا، عندما احتُجِزتُ في مونتكلير، ورأيتُ أن من في الزنزانة هم أصدقائي، وكان الأمر أشبهَ بحفلة للم الشمل! (يضحك) وعندما نظرتُ حولي، كان معظمهم من الرفقاء أو أصدقاء الكراك، وظللتُ هناك بعض الوقت في أثناء نظر قضيتي، وفي الواقع لم أُنقَل إلى السجن الفعلي، وهو ما أشعر، حين أتذكره، بالامتنان تجاهَه؛ لأنه من يدري كيف كان يمكنُ لحياتي أن

تتحوَّلَ؛ فزنزانة الاحتجاز شيءٌ؛ والسجن شيءٌ آخر تمامًا، ومكثتُ هناك مدة أسبوعَيْن تقريبًا؛ لذلك كان هذا الوقت فرصةً للتأمل والتفكير فيما صارَت إليه حياتي؛ وفي حبسي في زنزانةٍ بعدَ أن كنتُ أقفُ على خشبة المسرح أنظر إلى الآلاف والآلاف من الأشخاص، ولقد بدأتُ موسيقا الراب؛ لأهربَ من كل هذا... ليس من المعقول أن أكون هنا، وكنتُ أعرف أيضًا أن الأمور في الشوارع كانت شديدةَ القسوة، وأنه في يوم من الأيام سيحدث شيءٌ سيِّئٌ، ففي الشوارع، تجد المشكلات سبيلها إليك، وفي أثناء التحدث إلى بعض الأصدقاء في الزنزانة، قالوا: إن لديَّ الكثير لأعيش من أجله، وإني جيدٌ في موسيقا الراب، فلماذا لا ألتزمُ بذلك؟ ليس هناك ما يجعلك رجلًا حقيقيًّا أو رجل عصابات في أن تقبع خلف القضبان، فقلتُ: هذا كلام صحيح، أنتم محقون، وهذا ما بدأتُ أشعر به على أي حال؛ لذا قلتُ لنفسي: يجبُ أن أخرج من هنا، ويجبُ أن أعود إلى لوس أنجلوس أو أتلانتا أو إلى مكانٍ ما، أي مكان إلَّا نيوجيرسي، وسوف أتصل بالقذافي أيضًا، وأخبره أننا قطعنا شوطًا كبيرًا في مهنة موسيقا الراب، فلماذا لا نستمر في ذلك؟

خرج نابليون سالمًا نسبيًّا من تجربته في السجن، وكان وقته هناك وقتًا للتأمل والتنوير، ومثلت التجربة في النهاية علامةً مهمةً للمرحلة التالية في حياته، وعلى الرغم من أنه كان يعتقد أن العودة إلى الشوارع ستساعده على التعافي بعدَ وفاة باك، لم يجد في تلك العودة ما كان يرجوه من علاج، وإن كان لتلك العودة أي أثر فيه، فقد زادَت من محنته؛ لأنه سرعانَ ما اكتشف أنه سيكون إمَّا ميتًا، أو قابعًا في السجن، إذا استمر على النحو الذي كان عليه، وكان في حاجة إلى أن يرسم لنفسه اتجاهًا جديدًا في الحياة، ولحسن الحظ، بعد أيام قليلة في القسم، أُخطر بأنه سيُفرَجُ عنه، فقد صودرت الماريجوانا، وأُسقطت عنه التهمة، ولما علم أن سراحه سيُطلق قريبًا، اتصل على الفور بالقذافي ليقولَ: إن المشكلة قد حُلَّت، وإنه في طريق عودته، فسَعِد القذافي بسماع الأخبار، وعرف أنه سيكون بخير، وأخبره أنه احتجز كوروبت رهينةً في قبو منزله طوالَ الوقت؛ حتى يُطلق سراح نابليون، فقال القذافي لكوروبت مرات عدة على سبيل الدعابة: إنه لن يغادر حتى يخرج نابليون من السجن؛ عقابًا له على أنه أوقعه في المشكلات في المقام الأول، وقال كوروبت: إنه لن يذهب إلى أي مكان على أي حال؛ لأنه أراد أن يشكر نابليون شخصيًّا على تضحيته بنفسه من أجله، وقد كان هذا لكوروبت إخلاصًا منقطعَ النظير، يندُر أن يُوجَدَ مثله في تلك الأيام.

وبعد أن أُطلق سراح نابليون أخيرًا، ذهب مباشرةً إلى منزل القذافي، حيثُ كان الجميع ينتظرونه، وعندما وصل، استقبلوه واحتفلوا بعودته السعيدة، وأطلعهم نابليون على ما لاقاه في تجربته الأولى في السجن، وبعدَ أن أمضى بضعَ ساعات في الاطمئنان على الأخبار، حانَ الوقتُ ليعود نابليون إلى إيرفينغتون، ولكن قبل مغادرته تحدَّث مع القذافي، وأخبره أن الوقتَ الذي قضاه في محبسه جعله يفكر مليًّا في المسار الذي يتخذونه في الحياة، وعلى الرغم من أنهم كانوا واقعيين، وعلى الرغم من أنهم أحبوا حياةَ الشارع، لم يكن لديهم هدفٌ، ولقد كان لديهم مستقبلٌ عليهم أن يفكروا فيه، وكانوا لا يزالون صغارًا، ولديهم الكثير مما يمكنهم العيش من أجله، وعلاوةً على ذلك، كانت مسيرتهم المهنية قد انطلقَت للتو، وإذا استطاعوا أن يتخلصوا من أثر موت باك على عقولهم، فسيمكنهم

العودة إلى موسيقا الراب، وإلى جانب ذلك، كان باك سيسعد بأن يحملوا الرايةَ بعدَه، ويستمروا في رفع المستوى في لعبة الراب، وكان ما قاله نابليون هو ما كان يريد القذافي قوله، فوافق القذافي، وقال: إن مكانهما ليس في نيوجيرسي، وإن عليهما فعل الصواب.

وأخبره نابليون أنه سيتحدث مع بقية فرقة الأوتلو في أتلانتا، وسيمكثُ معهم بعض الوقت، ثم يقترحُ عليهم محاولة إعادة تجميع صفوفهم، والبدء في التسجيل مرة أخرى، واقترح على القذافي أن يفعل الشيء نفسه، فوافق القذافي على الفور، وطلب من نابليون التوجه إلى أتلانتا قبله؛ لأنه كان لديه بعض الأمور التي يجب أن يعتني بها أولًا، وسينضم إليه هناك بعد ذلك بوقت قصير، وعاد نابليون إلى إيرفينغتون سعيدًا؛ لأن صديقه الحميم اتفق تمامًا مع رؤيته الجديدة في الحياة.

وفور عودة نابليون إلى إيرفينغتون، تواصل مع عائلته، وعلى الفور تقريبًا حكى لهم عن تجربته في السجن؛ واعترف بأن عليه أن يُجريَ تغييرًا جادًّا في حياته؛ لأن نيوجيرسي كانت تزداد سوءًا، وعلى الرغم من استماع مؤمن ورودي وريف وكامل له باهتمام، وفهمهم لوجهة نظره، لم يستطيعوا تبني وجهة النظر نفسها، فقد كانت إيرفينغتون هي كل ما يعرفونه، وكان اقتراح مغادرتهم لها أشبه بمطالبتهم بقطع أيديهم، واتصل نابليون بأفيني وفرقة الأوتلو الذين كانوا معها في أتلانتا، وشرح سبب انقطاعه عن التواصل معهم، وأخبرهم بما حدث، وأخبرهم أنه يجب أن يجمع شتات حياته، وأن الذهاب إلى أتلانتا سيكون خطوةً في الاتجاه الصحيح، ولقد عرفوا مدى قسوة الوضع في نيوجيرسي، وكان كلٌّ من أفيني وفرقة الأوتلو يتمنَّوْن في أنفسهم أن يعودَ نابليون والقذافي إلى أتلانتا، عندما غادروا جميعًا لوس أنجلوس؛ لذلك عندما سمعوا أن نابليون يريد البقاء معهم، رحبوا به مرة أخرى بأذرع مفتوحة، وقدَّر نابليون دعوتهم، وكان متحمسًا لبدء مرحلة جديدة في حياته، وفي الوقت الذي كان يستعد فيه لقلب صفحة جديدة من صفحات حياته، كانت هناك أخبار مهمة تتعلق به وبفرقة الأوتلو؛ وهي أن شوغ نايت كان سيُصدر ألبوم باك الأخير (*The Don Killuminati: The 7 Day Theory*)، أبكرَ بكثير مما كان مُتوقَّعًا له؛ إذ كان من المُقرَّر إصداره في مارس 1997م، ولكن شوغ قرَّر إصدارَه في 5 نوفمبر 1996م[151].

وقد قُوبل إصدار الألبوم على الفور بإشادة النقاد؛ فقد قَدَّم أخيرًا باك باسم ماكافيلي؛ ما أعطى العالم لمحةً عن شخصيته الجديدة التي أصبح عليها خلالَ فترة وجوده في سجن كلينتون ماكس، ولسوء الحظ، لم يتمكن باك من تعديل أغنية (*Against All Odds*)؛ لذلك كانت الأغنية تحتوي على الإهانات الموجهة لناز، التي قال باك: إنه سيحذفها عندما التقيا في متنزه برايانت في مدينة نيويورك، وقد أعاد الألبوم كذلك سردًا واعيًا اجتماعيًّا، وأعادَت أغنية (*White Man'z World*) النظرَ في كثير من الموضوعات التي تناولها باك في أغانيه من قبلُ، ومن بينها احترام النساء السود، وتنمية تقدير الشخص لذاته واعتزازه بـ (سواده)، والتساؤل عن سبب وجوب إثبات السود لأنفسهم في عالمٍ أبيض، وكانت الأغنية أيضًا مُشبَّعةً بالدرس المستفاد من تجربته في السجن، ما يضيفُ طبقة من التوجيه التحفيزي لكل هؤلاء الأشخاص السود الذين يمرون بأوقات شديدة

الصعوبة؛ بأنهم سوف يجتازون الصعاب، ويثابرون عليها، كما فعل هو، ولأن هذا الألبوم أكثرَ أعمال باك تأثيرًا... (و)أكثرها إثارةً للجدل، فقد «حصل في النهاية على الشهادة البلاتينية الخامسة»[152]، فلقد كان الألبوم تذكيرًا صارخًا بأنه مع حلول الوقت الذي قُتل فيه باك، كان يملك قدرًا هائلًا من البراعة الغنائية في خزانته الإبداعية.

ومع الإصدار المفاجئ لألبوم باك الأخير والإشادة النقدية التي تلقاها، أصبحَ نابليون الآنَ أكثرَ حماسًا للعودة إلى لعبة الراب، والبدء في التسجيل مرةً أخرى مع فرقة الأوتلو، وكان لدى المجموعة القدرةُ على أن تكونَ واحدةً من أعظم مجموعات الراب في كل العصور، وكان نابليون حريصًا على ركوب أحدث موجة من موجات النجاح، ولكن لسوء الحظ، أصبحَت المجموعة الآن أصغر، بعد أن فقدت كلًّا من فيتل وستورم، اللذَيْن قررا متابعة اتجاهات مختلفة في الحياة بعد وفاة باك[153]، ومع تأهب نابليون لبدء فصل جديد في الحياة مع الأعضاء المتبقين، غادر إلى أتلانتا، حيث أعادَ الاتصال سريعًا مع أفيني وفرقة الأوتلو، وعندما وصل، سَعِدوا جميعًا برؤيته، ولأنهم كانوا معًا منذ أسابيع قليلة، لم يكن هناك الكثير من الأخبار ليتحدثوا عنها، غير أن الجميع تحدثوا عن الضجة والإشادة التي حظي بها ألبوم باك بعد وفاته، وكان الألبوم مُذكِّرًا بوجود الكثير من الفُرَص المتاحة لهم، وأنهم لا يمكنهم أن يُديروا ظهورَهم لجميع تلك الفُرَص التي تنتظرهم.

وبالنسبة إلى نابليون، كانت الحياة في أتلانتا مع أفيني وفرقة الأوتلو روتينيةً وهادئةً نسبيًّا، وهو تغيير مُرحَّبٌ به لوتيرة إيرفينغتون المحفوفة بالأخطار، فقد كانت أفيني تُعدّ لهم الطعام، وكانوا جميعًا يقضون وقتًا في المزاح، ومشاهدة الأفلام، أو تذكر الوقت الذي قضَوْه معًا في لوس أنجلوس؛ حتى إن الوقت الذي كان نابليون يقضيه معهم أصبح بمنزلة جلسات علاج مستمرة؛ لأنهم كانوا جميعًا يتذكرون الأوقات الجيدة التي قضَوْها مع باك، وما إن صفَت الدنيا لهم، وبدأت الحياة الطبيعية تعود إليهم، حتى تلَقَّوْا مكالمةً غير متوقعة في الساعات الأولى من الصباح.

وكان جميع أعضاء فرقة الأوتلو نائمين في غرفة المعيشة، عندما رن جرس الهاتف، فردّ يَنْغ نوبل على الهاتف وهو يترنح ولم يُفِق تمامًا، فقد كانت طالبة؛ صديقة مقربة من صديقة القذافي، وكانت تبكي بكاءً هستيريًّا، وقالت له: إن القذافي ملقى خارج باب الشقة، ومصاب بطلق ناري في الوجه، وينزف بغزارة، وصاح يَنْغ نوبل مذعورًا: «ماذا؟! ماذا تقصدين؟!». فاستيقظ من في المنزل جميعًا: «أتقولين: إن القذافي أُصيب للتو في وجهه؟!».

كان نابليون بين النوم واليقظة، ولا يمكنه إدراك ما سمعه للتو.

انتظر... ماذا؟! لا يمكنك أن تكون جادًّا! يا إلهي!

الفصل الثالث عشر
العودة إلى كاليفورنيا

«يبدو أن الأسى يُولِّدُ المزيدَ من المآسي»

سليمان جنكيز

في 10 نوفمبر 1996م، بعد شهرين فقط من مقتل توباك شاكور بوحشية أمام القذافي، أُصيب يافيو فولا برصاصة في رأسه في ردهة مجمع سكني في أورانج، بنيوجيرسي[154]، وما هي إلَّا ساعات بعدَها حتى أُعلنت وفاته، وادعى رودي أن الأمر كان مجرد لعب عنيف، وأنه كان في حالة سُكْر، ثم انقلب الأمر على نحوٍ مريع؛ وقال: إنه هو والقذافي كانا يلعبان في الرواق بمسدس عندما انطلقَت منه عن طريق الخطأ رصاصة لتستقر في وجه القذافي، وعندما سُئل رودي عما حدث؟ أكد أنه مجرد حادثة، وليس هناك أيُّ نية سيئة.

ولم يكن ثمةَ شهود عيان آخرون سوى رودي، وعدم وجود شهادة على الواقعة سوى شهادته في مثل هذا الموقف الحساس قد يفتح الباب لكارثة، ونتيجةً لذلك، اندلع الخلاف والعداوة بين عائلة القذافي وعائلة نابليون، في الوقت الذي كان فيه كلا الجانبَيْن يسعى جاهدًا لمعرفة ما حدث بالضبط في تلك الليلة، فقد فقدَت ياسمين فولا ابنها الوحيد، وكانت في حاجة إلى إجابات واضحة، وفَقَدَ نابليون أحدَ أقرب أصدقائه، ومن بين جميع الناس وقع ذلك على يد ابن عمه، ولم يقِف الأمر عند مأساة القذافي المفاجئة وغير المتوقَّعة، بل أصبح نسيجُ الرابطة الأسرية بين أفيني وياسمين وفرقة الأوتلو مهددًا بالتمزق إلى الأبد.

ولا أعرف حتى من أين أبدأ؟ ولماذا أنا يا رجل؟! ولماذا يحصل معي هذا دائمًا؟ كانت تلك أفكاري عندما سمعتُ لأول مرة نوبل يرد على المكالمة، ولم تعُد لديَّ رغبةٌ في العيش، يا رجل، ولم أَعُد أريد الاستمرار في العيش، وإذا كان كل شخص قريبٍ مني، وكلُّ شخصٍ أحببته، يموتون أمامي، فلا أُريد العيشَ بعدَهم، ولقد صُدِمْتُ عندما سمعتُ الخبر، ثم أضف إلى ذلك، أنه وقع على يد ابن عمتي! ولا يمكن أن يُصبحَ الأمرُ أكثرَ سوءًا من ذلك. يا إلهي، كيف حدث هذا؟! فقد كان الأمر أشبهَ بكابوس سيئ ازداد سوءًا على نحو كبير، وعدتُ إلى نيوجيرسي لمعرفة ما حدث، وبحثْتُ عن رودي على الفور بعدَ أن وصلتُ إلى إيرفينغتون، وكذلك حضر أعضاء فرقة الأوتلو وأفيني وغلو إلى نيوجيرسي، فقد كان عليهم أن يمدوا ياسمين بالدعم المعنوي الذي هي في أمسّ الحاجة إليه؛ لأنها كانت بمفردها، وبعد أن قضيتُ بعض الوقت في البحث عن رودي وجدته مختبئًا، خَجِلًا

وخائفًا مما حدث، ونظرتُ إليه مباشرةً، وقلت: يا رودي؟ ما هذا يا رجل؟! اصدقني القول، ماذا حدث؟ فأخبرني أنه كان حادثة، فقال: إنهما كانا مخمورَيْن غائبَيِ العقل، ولعبا بمسدس، وانطلقت منه الرصاصة عن طريق الخطأ، فنظرتُ إليه، ونظرتُ في عينيه، وكانت هذه روايته، وكلمة الرجل سيف على رقبته، فقلتُ له: إذا كان هذا هو قولك، فسأعاملك بناءً عليه، ولكن مع ذلك، حتى لو كان حادثة، فعليك أن تُسلِّمَ نفسك، وما تفعله خطأ يا رجل، ما تفعله خطأ؛ وستظل الحادثة حادثة، لكن لا يمكنك الاختباء منه يا رجل، فكيف ستبدو صورتك وأنت تهرب من هذا؟ إن هذا يجعل موقفك أسوأ، ويجب أن تفيق يا رجل، وتُسَلِّم نفسك.

لقد أحببتُ القذافي، وكذلك أحببتُ رودي؛ لذلك علِقْتُ بينهما، ولم أعد أرغب في العيش بعد الآن، يا رجل، ولم أكن أريد الانتظار لمزيد من مفاجآت الحياة، فلقد فاض كيلي بها.

وكانت تداعيات الأمر لا تُصدَّقُ، فياسمين، والدة القذافي، المرأة التي كنتُ أعدها عمةً لي طوالَ حياتي؛ المرأة التي كانت دائمًا تهتم بنا؛ المرأة التي لن أنساها أبدًا؛ المرأة التي أعدَّت لنا السباغيتي، عندما زرتُهم لأول مرة في مونتكلير، فاعتقدَتْ أنها كانت جريمةَ قتل، ولقد سُلبَ ابنها الوحيد منها، وأتفهم أن هذا كان مؤلمًا جدًّا، وكان مؤلمًا لنا جميعًا، صدقني: لأفيني، ولفرقة الأوتلو، ولي، ولرودي، ولعائلتي، وللجميع، ولكن لا يمكنني أن أقول إلا ما قاله لي رودي؛ لذلك قلتُ حينَها ما أقولُه الآن حتى يومنا هذا تمامًا: إنه كان حادثة، ولكن نظرًا لأني لم أتهم رودي بقتل القذافي عمدًا، اتخذَت ياسمين مني موقفًا معينًا، ولكن لم أَكُنْ أُكِنُّ لها إلا كل خير، وشعرْتُ - بوصفي رجلًا، وبوصفي صديقًا مقربًا للقذافي - أني فعلتُ كل ما يمكنني فعله، ولقد مزقني ذلك يا رجل؛ فقد مات صديقي الحميم، وأمه غاضبةٌ مني، معتقدة أنه ربما يكون لي علاقة بالموضوع، وأما أفيني فقد دعمتني دعمًا قويًّا، قائلةً: إنه ليس لي أي علاقة بأي شيء، وإنها لن تتبرأ مني، وإننا جميعًا عائلة واحدة، ولكن هذا الأمر مزقنا جميعًا؛ فقد أصبح لدينا أفراد من العائلة من كلا الجانبين يهدد كلٌّ منهم الآخر.

وكان هناك توعد بالانتقام؛ حتى إني لم أستطع أن أحضر جنازة ياك؛ لأن الأجواء كان يسودها الكثير من التوتر، ومرة أخرى أشعر بالألم، فما الذي يُفترَضُ بي أن أفعله؟ لقد فقدتُ أقرب أصدقائي، وابن عمي هو من قتله، ولقد شعرتُ بأني تائه، يا رجل، ولقد كنتُ حائرًا، حتى الآن... ماذا يمكنني أن أقول؟ لقد كان كل شيء مأساويًّا.

وظلت التوترات شديدةً في الأيام التي أعقبت وفاة القذافي، وفي 14 نوفمبر، بناءً على نصيحة نابليون، سلم رشاد كلارك، الملقب بـ (رودي)، نفسه إلى الشرطة، واحتُجِزَ في إصلاحية مقاطعة إسكس، حيث كان ينتظر محاكمته؛ لأنه كان قاصرًا[155]، وفي النهاية أُدِينَ بارتكاب جريمة القتل العمد، وحُكِمَ عليه بالسجن[156]، وعلى الرغم من أن رودي قد سلم نفسه إلى النظام القضائي، فإن

ذلك لم يُخمِد الغضبَ والاستياء الذي نشأ بين عائلتَي القذافي ونابليون، فكانت التهديدات بالقتل تصل على نحو متكرر، ولأسابيع ظلَّت طبولُ الانتقام تُقرع، ووجد نابليون نفسه عالقًا في الوسط.

وعندما التقى رودي قبل أيام قليلة، كان قد واجه أحد أكثر القرارات الحاسمة في حياته، وكان الولاء متأصلًا في نابليون، ولكن مع الظروف المحيطة بوفاة القذافي، كان عليه أن يعيد تعريف معنى الولاء سريعًا، فصلة الدم لا تعدلها صلة؛ نعم هذا صحيح، ولكن صلتي بالقذافي كانت على القدر نفسه من صلة الدم التي تربطني برودي، ولم يعد الولاءُ يعني دعمَ شخصٍ ما على نحو أعمى، بغض النظر عما إذا كان في ذلك ظلمٌ أم لا، كما فعل مع كورووبت، وكان يحبُّ القذافي حبَّ الأخ لأخيه، وكذلك كان حبه لرودي، ومع ذلك، لم يستطع حبُّه لرودي أن يطمسَ إحساسَه البدَهِي بأنه لا يصح إلا الصحيح، وكان على رودي أن يسلم نفسَه، وقد فعل ذلك في النهاية، وفي تلك المرحلة، فعل نابليون كل ما في وسعه، وكان على استعداد للتعايش مع ذلك بقية حياته.

وبعد أسابيعَ قليلة، بدأَت التوترات تهدأ في نيوجيرسي، وبعد أن ساد الهدوء، قرر نابليون وكامل وفرقة الأوتلو العودة إلى أتلانتا إلى منزل أفيني، حيثُ حاولوا التعايشَ مع الحياة، وبعدَ مقتل القذافي، كان عليهم أن يُضيفوا معاناة موته والتداعيات التي أعقبت ذلك إلى قائمة البؤس الطويلة التي كانت لديهم، وبالنسبة إلى نابليون، فقد كانت المعاناة التي بدأ يشعر بها مؤلمةً على نحو خاص، وبدأ الألم النفسي والعاطفي لفقدان الكثير من الأحباء في مثل هذه الفترة القصيرة يعذبه، وفي سن التاسعة عشرة، بدأ يفكر بجدية في الهدف من الحياة، ولماذا ظل حيًّا في الوقت الذي يموت فيه الآخرون في ريعان شبابهم؟ أين ذهبوا؟ ماذا حدث لهم بعد الموت؟ هل ثمةَ جنةٌ ونار، أم لا شيءَ سوى التراب؟ وإذا كان الموتُ بهذه السهولة، وكانت الحياة صعبة للغاية، لماذا لا أختار الخيار الأسهل؟ وكان التعامل مع ذلك البؤس النفسي أمرًا سيئًا، ولكن الأسوأ منه حقيقة أنه اضطر إلى تحمل كل ذلك وحده؛ فلم يكن لديه من يلجأ إليه، وعلى هذا النحو، كان سيفقد عقله، وكان في حاجة ماسة إلى لحظةٍ يجدُ فيها ضالته، فيصيحُ قائلًا: وجدتُها، وتذكَّرَ أن مصدر عزائه، والثابت الوحيد في حياته، والرفيق الوحيد الذي يمكنه أن يلجأ إليه، والذي كان ينتظره دائمًا، هو كتابته: «جعلني المال أشعر كالنجم، لكن القتلَ جعلني أشعرُ بأن موتي قريبٌ». ومنذ شباب نابليون، فقد ساعده الراب دائمًا على فهم الأشياء التي كانَت مصدرَ إزعاجٍ له، وخاصةً المآسي التي وقعَت له، وبحلول هذا الوقت في حياته، كان قد تلقى قدرًا كبيرًا من الصدمة يجبُ عليه معالجته، ودونَ وجود أي شخص يتحدث إليه أو معالج يزوره، أصبح الراب الشيءَ الوحيدَ الذي يجمع شتات عقله.

وكلما حاول نابليون فهم معنى الحياة، زادَت كتابته، وكلما زاد إلهامه للكتابة، زاد دافعه للعودة إلى التسجيل، وبحلول هذا الوقت، كان المشهد في صناعة الراب قد تغير، وخاصة بالنسبة إلى ديث رو، وبسبب خلافاته غير القابلة للتوافق مع شوغ، انفصل دكتور دري - المؤسس المشارك لشركة التسجيل، وأيقونة الراب البارزة - عن ديث رو في مارس 1996م[157]، وعلى الرغم من أن ذلك كان - إلى حدٍّ ما بمنزلة ضربة لصورة الشركة وإدارتها التنفيذية، فإن ديث رو كانت لا تزال تتمتع

بقوة نجومية سنوب دوغ، وذا دوغ باوند، وإم سي هامر، وتوباك شاكور، فقد ظلّت تحقق أرباحًا بملايين الدولارات من مبيعات التسجيلات، وكان ذلك حتى قُتل باك في وقت لاحق من ذلك العام، ولم يكن موته خسارةً فادحةً لصناعة الموسيقا فحسب، بل كان أيضًا خسارةً كبيرةً لشركة ديث رو، التي كانت قد فقدت دكتور دري قبلَ بضعة أشهر، ومما زاد الطين بلة أن إم سي هامر لم يشعر بالارتياح حيالَ الاتجاه الذي كانت تتخذه الشركة بعد وفاة توباك، فاستقال على الفور تقريبًا بعد جنازة باك[158]، وبحلول هذا الوقت، كانت ديث رو تفقدُ المواهب بالفعل، ولكنها في أواخر عام 1996م، عانت من جرح مميت آخر.

ولم تكن ليلة معركة أورلاندو أندرسن مشكلةً بالنسبة إلى شوغ نايت؛ لأنها أدت إلى وفاة باك أو إصابته بطلقات نارية فحسب؛ فقد كان شوغ نايت ـ الذي كان قد اعتاد على الوقوع في المشكلات القانونية ـ تحت المراقبة في ذلك الوقت بسبب «إدانته بجناية عام 1992م بتهمتَي اعتداء بسلاح ناري»[159]، وكان مأمورًا بالامتناع التام عن التورط في أي أنشطة عنيفة أو إجرامية أو مرتبطة بالعصابات، ولكن كاميرات المراقبة أظهرت شوغ وهو يركل ويضرب أورلاندو أندرسن في لاس فيغاس في الليلة التي قُتل فيها نجم الراب توباك شاكور»[160]، ومن ثم وقع تحت طائلة القانون في النهاية، وفي أكتوبر 1996م، بعد شهر واحد فقط من وفاة باك، أُلقي القبض عليه بتهمة انتهاك الإفراج المشروط، ونُقل إلى السجن، حيث مكث هناك في انتظار جلسة النطق بالحكم، وسوف يعلم بنبأ وفاة القذافي في أثناء وجوده خلف القضبان.

وعلى الرغم من أنه كان من الواضح أن العودةَ إلى لعبة الراب ستمثِّلُ تحديًا، كان نابليون قد بدأ بتهيئة فرقة الأوتلو لتلك الفكرة، وقد تردد بعضهم في البداية، ولم يكترث بعضهم الآخر؛ فقد حُبس شوغ، ولم يكن لديهم وكيل أعمال، وكان من الواضح أنهم لن يحظوا بالقدر نفسه من الاحترام الذي كانوا يُعاملون به، عندما كان باك موجودًا؛ لأنهم كانوا صغارًا، ولم تترسخ أقدامهم على الساحة بعدُ، وعلى الرغم من ذلك، فقد قرروا في النهاية أن أفضل ما يمكن فعلُه هو محاولة رسم مسار لأنفسهم في الحياة؛ فقد كان ما معهم من المال على وشك النفاد، وكانوا يقيمون مع أفيني بعض الوقت، ولم يكونوا يريدون أن يكونوا عبئًا عليها، وعلى الرغم من أنها لم تشعر بهذا قطُّ، وعاملتهم جميعًا معاملةَ الأم لأبنائها، شعر نابليون وفرقة الأوتلو أنه من الأفضل لهم العودة إلى الغرب وإنهاء ما بدؤوه، وفي الوقت الذي كان فيه شوغ في السجن، بدأ نابليون التواصل مع مكتب ديث رو؛ للتفاوض على عقد لفرقة الأوتلو، ومن أكثر الجوانب المؤسفة لوفاة باك أنه رحل قبلَ أن يُعلِّمَ تلاميذه الصغار خبايا صناعة موسيقا الراب، ومع عدم وجود وكيل لأعمالهم، لم يكن أمام فرقة الأوتلو خيار سوى التعلم السريع؛ وقد كانت الصناعة قاسيةً، وكانوا على وشك تعلم درسهم الأول.

في حين كان نابليون يحاول التفاوض مع ديث رو على بداية جديدة لفرقة الأوتلو، كان من المفترض أن يكونَ هناك شخص آخر في المنزل يستعد أيضًا لبداية جديدة: كامل، فمنذ أن اتصلَت الجدة ماري بنابليون توصيه برعاية شقيقه الذي أصبح خارجًا عن السيطرة، أصبح كامل تحتَ رعايته، وأينما

ذهب نابليون، كان معه كامل كظله، وبعد وفاة القذافي، عاد إلى أتلانتا مع نابليون، والآن مع استقرار الأمور، وعودة الحياة إلى طبيعتها إلى حدٍّ ما، كان عليه أن يعيد التركيز على المدرسة، وفي حين كان يستعد للعام الأخير من المدرسة الثانوية، بدأت أفيني في الاستعدادات لوضعه على المسار الصحيح للدراسة الجامعية، وكان ذلك تكريمًا لرغبات باك، واتباعًا للتوجيه الذي أصدره في وصيته: إلحاق كامل بكلية الحقوق، فعندما رآه باك للمرة الأولى في لوس أنجلوس، أحبه على الفور، وكان كامل شجاعًا، وذكيًّا، بل إن باك أُعجب به لدرجة أنه قال: إنه سيكون محامي الأسرة الرسمي؛ فكل عائلة تحتاج إلى محامٍ، وكان من المهم أن يمثل الأشخاصُ السودُ أنفسَهم كلما أمكن ذلك، ولإظهار مدى جديته في رغبته في أن يصبح كامل كذلك، عدَّل باك جزءًا من وصيته ليشمل توجيهًا ينص على أن بعضَ أصوله يجبُ تكريسها لرعاية كامل في دراسته في كلية الحقوق، وفورَ تسوية الإجراءات القانونية الخاصة بالميراث بعدَ وفاته، حرصَت أفيني على تنفيذ وصية ابنها.

وقد شجعت أفيني وغلو، والدة كاسترو، كاملًا على العودة لإنهاء المدرسة الثانوية؛ حتى يتمكنوا من بدء عملية اختيار جامعة مرموقة لديها برنامج قانوني جيد، فإذا بقي في أتلانتا، يمكنه التفكير في الالتحاق بجامعة إيموري أو جامعة ولاية جورجيا، وأما إذا عاد إلى كاليفورنيا، فيمكنه أن يلتحق بجامعة كاليفورنيا، أو بلوس أنجلوس، أو بجامعة كاليفورنيا الجنوبية، وأيًّا كان اختياره، فلن يُمثِّل المالُ عقبةً في ظل رعاية أصول باك لكل ما يحتاج إليه، ولقد كانوا متحمسين للفُرَص التي ستُتاح أمامه؛ إذ يمكنه أن يصبحَ محاميًا جنائيًّا كبيرًا، مثل تشارلز أوغلتري، الأستاذ بجامعة هارفارد ومحامي باك، وبالمثل، يمكنه أن يصبح محاميًا للمشاهير البارزين، ويكسب أموالًا كثيرة، ويمكنه في نهاية المطاف أن يبدأ مكتب المحاماة الخاص به، وكان يمكن لأقل تلك الفرص أن تصل إلى عنان السماء، ولكن المشكلة كانت تكمن في أن كاملًا لم يكن مهتمًّا بالأمر.

ولقد طلبَت الجدة ماري من نابليون أن يعتنيَ بكامل لسبب محدد للغاية؛ وهو أنه كان يواجه الكثير من المتاعب في محاولة السير على خطى مؤمن، وكان غالب وقته في الشوارع يشرب، ويتشاجر، ودائمًا ما يكون في المكان الخطأ في الأوقات الخاطئة، وبحلول الوقت الذي اتصلَت فيه الجدة بنابليون، كان كامل قد اعتُقل مرات عدة بالفعل؛ لأنه كان في الغالب حولَ تجار مخدرات في الوقت الذي داهمت فيه الشرطة الحي، وأصبحَت أنشطته مثيرةً للمشكلات، وهو ما أثر عليه في النهاية في المدرسة، وكان دائمًا يخوض شجارًا مع الطلاب الآخرين، ولم تردعه التحذيرات المتكررة، فطُرد في النهاية، وكان أمامه عام واحد فقط لينهي دراسته الثانوية، وعندما ذهب إلى كاليفورنيا للبقاء مع نابليون، لم يكن لديه الوقت لمحاولة التسجيل بعدُ في أي مدرسة؛ لأن الدراسة كانت قد بدأت للتو في الوقت الذي قُتل فيه باك، ومع كل الفوضى التي أحاطت بوفاته، كان عليهم تأجيل أمر المدرسة بعض الوقت، ومع عودتهم إلى أتلانتا، كان يُفترض أن الوقت قد حان ليبدأ كامل مرحلة جديدة في مسيرته الأكاديمية، وكان يحظى بالدعم الكامل من أفيني وغلو وفرقة الأوتلو، وعلى الرغم من ذلك، لم يكن هذا الأمر ضمن أولويات كامل؛ فقد طغى عليه حبه لحياة الشارع والشجار، وعلى الرغم من أنه سُمح له بالالتحاق بمدرسة ثانوية في أتلانتا، كان سلوكه لا يُطاق؛ فطُرد من المدرسة

للمرة الثانية، وبعدَ أن أصبحَت المدرسة أمرًا بعيدَ المنال، تحولَت الأولويةُ الرئيسة لأفيني والأسرة إلى مجرد مراقبته؛ للتأكد من بقائه بعيدًا عن المشكلات.

وفي غضون ذلك، وبحلول هذا الوقت في يناير 1997م، بدأ عملُ نابليون يُؤتي ثمارَه، فبعد مفاوضات استمرت أسابيع مع ممثلي ديث رو، أصبحوا أخيرًا على استعداد لتوقيع عقد مع نابليون وفرقة الأوتلو لإبرام صفقة تسجيل، مع تسليم دفعة أولية تبلغ نحو 150 ألف دولار. في الواقع، كان هذا جزءًا ضئيلًا من قيمة الصفقة؛ نظرًا للنجاح الهائل الذي حققه ألبوم (*The Don Killuminati: The 7 Day Theory*) الذي بيع منه ملايين النسخ في الأشهر القليلة الأولى من إصداره، وقد أظهر هذا الألبوم على نحو بارز كثيرًا من أعضاء فرقة الأوتلو، وعزز صورة مجموعة باك الشبابية تعزيزًا كبيرًا، ومع ذلك، ومع عدم إمكانية الوصول إلى الأرقام الفعلية، سترفع أفيني شاكور شكوى ضد ديث رو في دعوى قضائية مستقبلية[161]، وبحلول هذا الوقت في حياتهم المهنية، لم يكونوا يعرفون مقدار قيمتهم الحقيقية؛ بل كانوا سُذَّجًا، ومتلهفين، وعديمي الخبرة، وعلى الرغم من أنه لن يكون من الحكمة الادعاء بأن قيمتهم كانت تساوي الملايين في ذلك الوقت، فقد كانت قيمتهم بالتأكيد تساوي أكثر بكثير من 150 ألف دولار، مجتمعين.

ولكن في ظل عدم وجود وكيل لأعمالهم، أو عروض صفقات تسجيل أخرى أمامَهم، وقعوا مع ديث رو، ونُقلوا على الفور إلى كاليفورنيا.

وقد كان علينا فقط أن نفعل شيئًا، يا رجل، ولقد حُبسنا في منزل أفيني مدة طويلة، وكان المال على وشك أن ينفدَ منا، فقلتُ لنفسي: لا، يا رجل، لا يمكننا أن نظل هكذا. نعم، لقد مات باك، ونعم، لقد مات القذافي، ولا شك أننا كنا جميعًا نتألم، ولكن كان علينا أن نحاول المُضي قُدُمًا، فلقد بدأنا نتعسر ماليًّا، ولا يمكننا أن نستمر في الاعتماد على أفيني في تدبير كل شيء من أجلنا، وكنتُ أحاول جاهدًا أن أصل مع ديث رو لاتفاق لنا، على الرغم من أن شوغ كان في السجن في هذا الوقت، وبعد التفاوض وافقوا أخيرًا، ووقعوا معنا، وقد كان هذا رائعًا، ولكن بعد ذلك بدأنا نعرف خبايا لعبة الراب، وعرفتُ لاحقًا أننا بُخِسنا حقَّنا، ولقد كانت دائمًا معركة شاقة بالنسبة إلينا، وأصبحَت الطريقة التي يتعامل بها الناس معنا دائمًا مختلفة الآن؛ لأن باك لم يعُد معنا، وبعدَ أن أصبحتُ أنا، وكامل، وجميع فرقة الأوتلو مستعدين للعودة إلى الساحل الغربي، فهذه المرة، ذهب معي ريف أيضًا؛ فلم نكن نعرف ماذا ينتظرنا، ولم يكن باك هناك ليعتني بشؤوننا، وكان شوغ محبوسًا، وكان الغرب لا يزال متوحشًا، تتربص فيه عصابة كريبس وعصابة بلدز بعضُهم ببعضٍ، ولكوننا أصبحنا مشهورين الآن، لم نكن نعرف من قد يستهدفُنا، وبعد أن وصلنا أخيرًا إلى هناك، تواصلنا على الفور مع تري، الشخص صاحب الواقعة مع أورلاندو أندرسن، وبونتري، ونيكبون، وهيروين، جميع حراس شوغ الشخصيين وجميعهم من بيرو بلدز، وكان أهم شيء في الغرب هو الشخص الذي تتحرك في حمايته، فلقد تواصلتُ أيضًا مع واك ديوس مرة أخرى، وهو شابٌّ من بيرو بلدز من منطقة شوغ، وكان باك يحبه كثيرًا، وقد اعتاد باك دائمًا التحدث عنه، ونصحنا دائمًا بالتسكع معه؛

لذا بعد أن تواصلنا الآن مع رجال العصابات هؤلاء، سنكون على الأقل في حمايتهم، ولقد احتجنا إلى ذلك بالتأكيد؛ لأننا عدنا إلى هناك في حالة جنونية، وكانت إقامتنا في الأصل في الفنادق، لكننا كنا نُطرَد من فندق بعد الآخر؛ لأن تصرفاتنا كانت جنونية، وكنا جميعًا جامحين؛ فربما ذلك بسبب وفاة باك والقذافي، وكنا خارج نطاق السيطرة، عندما عدنا إلى لوس أنجلوس.

وعاد أعضاء فرقة الأوتلو إلى منطقة مألوفة إلى حدٍّ ما، عندما وصلوا إلى لوس أنجلوس، وكانت الأشياءُ متشابهةً من نواحٍ عدة، ولكنها كانت شديدة الاختلاف من نواحٍ أخرى؛ فقد خصَّصَت الشركة لهم سيارات ليموزين توصلهم إلى فنادقهم، وتكفَّلَت بمعظم نفقاتهم، وكانت جميع أسماء الشوارع مألوفة: *Hill St, Crenshaw Blvd, Melrose Ave Wilshire Blvd*. وكانت جميع الأحياء لا تزال متشابهةً إلى حدٍّ كبير، ومع ذلك كانت الأجواء شديدة التوتر، وفي أيام باك، كان عضو واحد فقط من فرقة الأوتلو يُكلَّفُ دائمًا بحمل مسدس لأغراض أمنية، ولم يكن الجميع يحملون أسلحة، والآن نُصح جميعُ أعضاء فرقة الأوتلو بحمل أسلحتهم طوالَ الوقت؛ فقد كان الخلافُ بين الساحل الشرقي والساحل الغربي لا يزال في أوجه، ودائمًا ما كانت تتجدد الصراعات الدموية بين عصابتَيْ كريبس وبلدز، وكان الخطر كامنًا في كل ركن؛ لذلك كان على فرقة الأوتلو أن يكونوا على أتم استعداد مهما كلفهم الأمر، ومع ذلك كانت الإحصاءات تُشير إلى أنه ليس ثمةَ الكثير من دواعي القلق.

وفي نهاية عام 1996م، كانت لوس أنجلوس تتمتع بانخفاض قدره 5.16٪ في جرائم القتل عن العام السابق، وانخفضت الجرائم العنيفة عمومًا بنسبة 5.11٪[162]، ولكن عند الفحص الدقيق، قد تكون الإحصائيات مضللة في بعض الأحيان، فعلى الرغم من انخفاض جرائم القتل في العموم، فإن جرائم القتل المرتبطة بالعصابات لا تزال تمثل 4.42٪ من جميع جرائم القتل في لوس أنجلوس[163]، وقد برزت لوس أنجلوس وشيكاغو «بين المدن التي بها أعلى معدلات للقتل المرتبط بالعصابات»[164]، و «كان معدل ضحايا جرائم القتل من السود ما يقرب من 10 أضعاف معدل البيض، وأكثر من ضعفين ونصف الضعف من ذوي الأصول الإسبانية» في ولاية كاليفورنيا[165]، وبالنسبة إلى مجموعة من مغني الراب السود المنخرطين في الجدل الدائر بين العصابات، كانت فرص الوقوع ضحيةً لجريمةٍ عنيفةٍ عاليةً جدًّا.

وهذه المرة في لوس أنجلوس، كان أعضاء فرقة الأوتلو أكثرَ تهورًا، وخرجوا عن سيطرة ديث رو، فما من فندق نزلوا به إلَّا وطُلب منهم المغادرة؛ فقد كانوا مشاغبين، ومتعجرفين، ومتغطرسين؛ فقد اجتمع لهما عاملان كوَّنا مزيجًا خطيرًا: الحزن والشهرة، فأما الحزنُ، فقد جعلهم قُساةً وغير مستجيبين، ورأَوْا أن السبيل لنسيان آلامهم هو الإسراف في الشرب على نحو يومي، وأما الشهرة فقد جعلتهم يشعرون بأنهم لا يُقهرون، ولقد تجرؤوا على المديرين، وعلى مسؤولي الفنادق، حين أرادوا منعهم من فعل ما يحلو لهم وقتما يريدون؛ ولقد كانوا يسيرون على طريق الموت، ولقد حققوا

النجاح، ولكن ما لم يعرفوه في خضم عداوتهم، أن عدوهم اللدود سيمنحهم واحدةً من أكثر اللحظات إفاقةً في حياتهم.

وقد كان ذلك في أواخر فبراير، وتصادف كون ذا نوتوريوس بي. آي. جي. في لوس أنجلوس؛ لتصوير فيديو مع بافي لأغنية جديدة بعنوان (*Hypnotize*)، كان من المقرر لها أن تُطرح ضمن ألبومه المزدوج الذي سيصدر قريبًا بعنوان (*Life After Death*) ومنذ إصدار ألبوم (*Ready to Die*)، كان مقلًّا نسبيًّا بوصفه فنانًا منفردًا، فقد اختار بدلًا من ذلك التركيز على مساعدة مجموعة الراب الخاصة به (جونيور مافيا) لتقف على قدميها، ولكن الوقت قد حان لفرانك وايت[166] للعودة واستعادة عرشه (ملكًا لنيويورك)، بعد أن أصدر جاي - زي وناز أعظم الألبومات الكلاسيكية في الصيف الماضي، وكان بيغي وبافي أيضًا في لوس أنجلوس؛ لأنهما دُعيا لحضور حفل توزيع جوائز سول ترين القادم، وهو الحدث نفسه الذي حصل فيه ذا نوتوريوس بي. آي. جي. على جائزة في العام الماضي، وثمة سبب آخر أقل وضوحًا لوجود ذا نوتوريوس بي. آي. جي. في لوس أنجلوس، وهو تصفية الخلافات بين الساحل الشرقي والساحل الغربي[167]، ففي غمرة الصدمة بوفاة توباك شاكور، والشعور بأنه كان مسؤولًا عن عداء شخصي تصاعد إلى حرب ساحلية شاملة، قال ذا نوتوريوس بي. آي. جي.: إنه شعر أنه من الضروري أن يُصفِّيَ تلك الخلافات بنفسه، وقد حاول عدد لا يحصى من الأصدقاء، والأسرة، بل من فناني الراب الآخرين، ثَنْيَه عن ذلك[168]؛ فقد شعروا أن الأجواء كانت شديدة الخطورة، فقد كانت الجروح العاطفية التي خلفها العداءُ شديدةَ القسوة، وكان موت باك لا يزال حاضرًا جدًّا في أذهان الجميع، ولكن محاولات إثنائه عن رأيه لم تُفلح، وكان بيغي في لوس أنجلوس الآن، ولم يكن خائفًا من أن يكشف عن هذه الحقيقة.

وجاء يوم 1 مارس 1997م، وهو يوم مهم في ملحمة ديث رو وباد بوي، ففي ذلك اليوم كانت جلسة النطق بالحكم على شوغ نايت أخيرًا، وحضر شوغ أمام القاضي ستيفن زيلغر، الذي قال عند إصدار الحكم على شوغ لانتهاكه الإفراج المشروط: «لقد فشِلْتَ في الاختبار»[169]، وفي جلسة الاستماع، حاول على نحو غير مقنع إقناع القاضي بأنه لو أُطلق صراحه، فلن يشكل تهديدًا للمجتمع؛ ولكن القاضي زيلغر لم يوافقه على ذلك؛ مستشهدًا بإداناته الثمانية السابقة دليلًا على أن كلمته لا يمكن الوثوق بها، وحكم القاضي زيلغر على شوغ نايت بقضاء عقوبة في السجن لمدة تسع سنوات[170]، وبذلك كان مصير شوغ نايت أن يقبعَ خلف القضبان للسنوات القليلة المقبلة، والحدث المهم الآخر الذي وقع في الأول من مارس كان مقابلة ذا نوتوريوس بي. آي. جي. في لوس أنجلوس في برنامج (*The Wake Up Show*) مع سواي، ودي جي كينغ تيك[171]، وقد طُرح عليه في البداية بعضُ الأسئلة التمهيدية حولَ علاقته ببافي، ولكن المقابلة أخذَت منعطفًا مخيفًا مروعًا، عندما طُرح على بيغي أسئلة حول منافسه المقتول توباك، وطبيعة الخلاف بينهما، ففي الوقت الذي كان فيه مئات الآلاف من المستمعين يتابعون البرنامج، سُئل عن اتهام باك له بسرقة أسلوبه، فأجاب بأن باك علَّمَه بعض جوانب اللعبة، ولكن بيغي صنع طريقته الخاصة، وأن ادعاء باك بأنه سرق

أسلوبه كان ضربًا من الجنون، وقد عد عليه المستمعون هذه السقطةَ الأولى، ثم سُئل عن كيفية تأثير موت باك فيه، فقال في حين كان موته خسارةً كبيرةً للهيب هوب وعائلة باك، لم يكن يركز كثيرًا عليه؛ لأنه كان لديه مشكلاته الخاصة التي يجب عليه التعامل معها، ولا سيما حادثة سيارة تعرض لها بعد وقت قصير من مقتل باك، وكانت هذه هي الثانية، وقرب نهاية المقابلة، طُلب منه إلقاء شيء من أغانيه بأسلوبه الحر؛ فألقى كلمات من أغنية غير منشورة عنوانها (*Long Kiss Goodnight*)، وكان من الممكن لأي مستمع أن يفسر تلك الكلمات على أنها تلميح يُقصد به باك:

أنت تنزف على نحو جميل...

وروحك فوقي أو تحتي...

عشتَ *حياتك كلها مخادعًا* ...

الآن تستريح إلى الأبد، ناعسًا ...

أنت تحترقُ عندما تخيفني...

استرِح حيثُ تكون الديدانُ مع الضعيف[172].

وكانت هذه هي الثالثة، ومع الحساسيات المتزايدة بالفعل، دخلت لوس أنجلوس في حالة اضطراب، فبالنسبة إليهم، كان هذا ضربًا من الوقاحة والغرور، وكان تصرفًا غير لائق، وبدأ الناس يشككون في ادعاء بيغي أن زيارته للوس أنجلوس كانت بهدف تصفية الخلافات، فلو أنه كان صادقًا فيما ادعاه، فليسَت هذه طريقة لمحاولة رأب الصدع بين الشرق والغرب، وبالنسبة إليهم، بدا الأمر كأنه سخرية، والأسوأ من ذلك، أن ذلك حدث على أرض باك، وكان هذا متجاوزًا للحدود.

نعم، لقد سمعتُ الحديث على المذياع مع بيغز... ولم أستطع تصديق ما كنتُ أسمعه، ولقد كنتُ بالفعل لا أحبه، ولا أحب باد بوي، ولكن يبدو أن هذا الحديث قد تجاوز الحدود، وأنه كان بلا مبالاة وبغير اكتراث، وكما تفهم، كان الناس في لوس أنجلوس يحبون باك بشدة: بلدز، وكريبس، وغانغسترز، والجميع؛ لذا كانت قلوب الناس لا تزال تتألم، وكان الناس حساسين للغاية بعد وفاته؛ لذا حين يذهب بيغز إلى هناك، ويُجري المقابلات، فإن الجميع سيعلقون على كل كلمة يقولها، فقد كان يقول الكثير من الأشياء بطريقة قذرة استاء الناس منها، وقال: إنه لم يقصد أي شيء؛ لأنه يريد أن يُنهي الخلافات، ولكن كلماته لم تؤكد أيًّا من ذلك، فكل ما سمعتُه بعدَ ذلك هو أن الناس انهالوا على محطة المذياع بمكالمات يقولون فيها: انظر، أخبر بيغي أنه يجب أن يغادر لوس أنجلوس، وإلَّا فإن أيامه على الدنيا قليلة! فهذه كانت كلمة الشارع، وكانت جادةً، وكان عليه أن يخرجَ من هناك.

وبعد مقابلة برنامج (*Wake Up Show*) كانت حياة بيغي في خطرٍ وشيك، فلم يعُد مُصرَّحًا له بالبقاء في لوس أنجلوس، وقد أجرى جيمس (جيه) برينس، وهو تنفيذي موسيقي معروف وبارز من

هيوستن، زيارة شخصية لذا نوتوريوس بي. آي. جي. وبافي في الموقع الذي كانا يصوران فيه أغنية (*Hypnotize*) لإيصال رسالة حرجة؛ ألا وهي «مغادرة الساحل الغربي بأسرع ما يمكن بسبب الضربة المحتمل توجيهها لكليهما»[173]، ولكنهما لم يُلقيا لكلامه بالًا، وجاء يوم 8 مارس، وشق ذا نوتوريوس بي. آي. جي. وبافي طريقهما متجهَيْن إلى جوائز سول ترين، حيث قُدِّمَت توني براكستون لجائزة أفضل أغنية ريذم أند بلوز/ سول فردية لمطربة، وقبل الإعلان عن الفائز، انتهز ذا نوتوريوس بي. آي. جي. الفرصة لتحية الجمهور بقوله: «كيف الحال يا كاليفورنيا؟»؛ وقد قُوبِلَت تحيتُه بصيحات الاستهجان والهسهسة من الجمهور، في إشارة تقشعر لها الأبدان على أنه كان في أرض معادية للغاية[174]، وبعد العرض، كان من المقرر أصلًا أن يسافر بيغي إلى لندن في تلك الليلة لبدء المرحلة الدولية من جولته الترويجية، ولكنه ألغى الرحلة في النهاية، واختار بدلًا من ذلك حضور حفلة الضيوف التي كانت تستضيفها مجلة فايب في متحف بيترسون للسيارات[175]، وبعد أن أوقف الحراس الحفلة بعد منتصف الليل بقليل بسبب انتهاكات سلامة الحشود، قرر ذا نوتوريوس بي. آي. جي. العودة إلى الفندق مع حاشيته، فركبوا جميعًا في سيارات من طراز جي إم سي سوبربان، واستقل كلٌّ من بافي وبيغي سيارتَيْن منفصلتَيْن، فجلس بيغي في السيارة التي ركبها في المقدمة بجوار السائق، وعندما كانوا في طريقهم للعودة، اقتربوا من إشارة مرور حمراء، وفي مشهد مشابه على نحو مخيف لمشهد خصمه الراحل الذي كان يومًا ما صديقه؛ باك، تحركَت ببطء سيارةٌ من طراز تشيفي إمبالا لتقف بجانب السيارة، وكانت إحدى نوافذ السيارة مفتوحةً، وتسللت منها يد سوداء بمسدس 9 ملم، ففتحت النار على الفور على سيارة بيغي السوبربان مرات عدة، وأُصيب ذا نوتوريوس بي. آي. جي. بجروح قاتلة بعدَ أن تلقى أربعَ رصاصات[176] في صدره وبطنه، ونُقل على الفور إلى مستشفى سيدارز-سيناي، حيث حاولوا يائسين إبقاءَه على قيد الحياة[177].

وبعد فشل المحاولات المتكررة لإنعاشه، في 9 مارس 1997م، الساعة 15:1 صباحًا، أُعلنت وفاة كريستوفر والاس... بيغي سمولز... فرانك وايت... ذا نوتوريوس بي. آي. جي[178].

الفصل الرابع عشر
مفترق طُرُق

«يجب إعطاء شيء ما»

مطاع بيل

بلا معنى، ولا يصدق، ومأساوي، أول ما خطر ببالي هو المحادثة التي أجريتُها مع باك حولَه، وأنه لا يريد أن يحدُثَ أيُّ مكروه لبيغز، والآن يحدث هذا! لقد كان أمرًا محزنًا، يا رجل، ولم أكن أحب باد بوي، ولكنني لم أُرد أن يصل الأمر إلى هذا الحد، فلقد فقدنا مغنيَيْ راب كبيرين ومؤثرين، وربما الأكثر تأثيرًا في جيلنا... من أجل ماذا؟! العصابات، والانتقام، والفخر؟! ولقد كان تذكيرًا بأن الحياة بالغة الضعف، فـ «القتل جعلني أشعر بأن موتي قريب»، وهذا البيت يتكرر مرارًا وتكرارًا في رأسي، فالموت يطرق باب أي شخص في أي وقت، ولقد أُصيب عالم الهيب هوب كله بالصدمة، وعلى الرغم من أننا كنا نتصرف بجنون، فقد فوجئ أعضاء فرقة الأوتلو أيضًا، ولقد صُدِمنا يا رجل، ولم يكن لدينا خيارٌ سوى التوقف بعض الوقت، والتفكير فيما حدث، ومتى سينتهي كلُّ هذا؟

مع القتل المفاجئ لذا نوتوريوس بي. آي. جي، دخلَت صناعة الهيب هوب في الاضطرابات مرة أخرى، وعلى الرغم من عدم تركيزه على القضايا الواعية اجتماعيًّا كما فعل توباك، كان فقد بيغي سمولز خسارةً كبيرة على نحو لا يُصدَّق، ليس لصناعة الموسيقا فحسب، بل أيضًا لأمريكا السوداء، وموسيقيًّا، سيُذكر بوصفه واحدًا من أعظم المواهب الغنائية التي عرفها الهيب هوب على الإطلاق، و «ألفريد هتشكوك الراب» الذي ليس فقط «أظهر... مزيجًا من الاستبطان، وموهبة التفاصيل الحية، وروح الدعابة المرعبة»[179] على نحو غير مسبوق، ولكنه أيضًا «(استوعب) إيقاع اللغة»[180]، وكذلك كان للاعتراف بهيمنته الغنائية أثرٌ بالغ في المساعدة على إعادة الهيمنة على الراب (جنبًا إلى جنب مع ناز، ولاحقًا جاي - زي) إلى الساحل الشرقي، في وقتٍ كان معظم فناني الساحل الغربي يهيمنون فيه على موسيقا الراب.

وقد ألقى موت بيغي في ريعان شبابه الستارَ على موهبة كان يمكن لها أن توسع آفاق الراب بوصفه نوعًا موسيقيًّا[181]، ولم يكن موته خسارةً لصناعة الموسيقا فحسب؛ بل كانت خسارة مأساوية أخرى لأمريكا السوداء؛ فقد كان ذا نوتوريوس بي. آي. جي. بطلًا من نواحٍ كثيرة؛ إذ قدم الأمل لبعضهم، في حين كان يمثل صوتًا قويًّا لبعضهم الآخر، وتقول كلمات افتتاحية أغنيته الناجحة (*Juicy*):

لقد كان كل شيء حلمًا...

كنتُ أقرأ مجلة وورد أب!...

أستمع إلى فرقة سولت آند بيبر وهيفي دي بصوت عالٍ في الليموزين...

أعلِّقُ صورَهم على جداري...

كل سبت أستمع إلى برنامج راب أتَّاك، مع السيد ماجيك، ومارلي مارل[182]، ولقد جعلَته رؤيةُ أبطال طفولته في المجلات وعلى الملصقات يحلم بأن يدخل مهنة الراب، وبدوره قدَّمت قصةُ نجاحه الآن الإلهام نفسه للآخرين ليحلموا كما فعل هو من قبلُ، وعلى الرغم من أن بعض النقاد يحصر تأثيره وحياته المهنية في تلك الأغاني التي تمجد كراهية النساء والعنف ومن ثم «يضعونه في مزبلة التاريخ»[183]، فإن لدى آخرين وجهة نظر فيها اختلاف ملحوظ، وعبرَ التاريخ، كان لدى أمريكا البيضاء دائمًا ثروة من الشخصيات البارزة للاستلهام منها؛ أمثال فرانك سيناترا، وجو ديماجيو، وجون وين، ومارلين مونرو، وأصبح انتشار المشاهير البيض ممكنًا؛ لأنه لم تكن هناك قيود مفروضة عليهم في الرياضة أو صناعات الترفيه كما كان الحال في أمريكا السوداء، ولقد تمكن البيض من الرجال، والنساء، والأطفال خلالَ نشأتهم، من رؤية من يمثلهم من أنفسهم من الرياضيين الناجحين، والممثلين، والموسيقيين في مختلف وسائل الإعلام، وبسبب التمييز المُقَنَّن، لم يُمنَح السود ولا البنيون الامتيازَ نفسه، ومن ثم لا يمكن لهم إلَّا أن يأملوا في التطلعِ إلى المشاهير البيض الذين يستمعون إليهم في المذياع أو يشاهدونهم على التلفاز، ومحاكاتِهم، واستمر ذلك حتى أُلغيت قوانين التمييز، ومُنحت الحقوق بالتساوي، وبدأت الصناعات والعقليات في التحول، وفي ذلك الحين بدأ ظهور زعماء السود بأعداد أكبرَ، وعلى هذا النحو، يمكن القول: إن المشاهير السود دائمًا ما كانوا يَعنُون الكثير للسود؛ لحقيقة بسيطة هي أن المشاهير السود بدؤوا السباق متأخرين، وكان عليهم النضال لِلّحاق بالركب، وواجهوا كثيرًا من العقبات أكثر من نظرائهم البيض، وفي حين تمكَّن السود من رؤية تمثيلٍ أكبرَ لأنفسهم على نحو تدريجي، كانَت النسبة المئوية (وما زالت) غير متناسبة على نحو كبير مقارنةً بأمريكا البيضاء، خاصة في الموسيقا وهوليوود[185184].

ومنذ الستينيات فصاعدًا، بعدَ أن أصبح التمييز غيرَ قانوني، أصبح لدى أمريكا السوداء أخيرًا أيقوناتها: محمد علي، وديانا روس، وسيدني بواتييه، وعلى الرغم من تزايد أعداد المشاهير السود، فإنها كانت ضئيلةً مقارنةً بأعداد المشاهير البيض، وهكذا، كان فقدان الرموز السوداء بحجم توباك وبيغي سمولز في فترة ستة أشهر خسارةً هائلة، وفي الواقع، في عام 2019م كُرِّمَ ذا نوتوريوس بي. آي. جي. بأن أُطلق اسمه على أحد الشوارع، وحولَ تأثير بيغي تقول عضوة مجلس المدينة لوري كومبو ـ وهي أمريكيةٌ من أصول إفريقية:

نشأ والداي وأمامهما مالكوم ومارتن (في إشارة إلى مالكوم إكس، والقس الدكتور مارتن لوثر كينج الابن) ونحن كان لدينا بيغي وتوباك، أكثر مغني الراب وكُتَّاب الأغاني تأثيرًا في عصرنا، وأعظم العقول وأعظم المتحدثين في عصرنا[186].

وفي وقت مقتله في عام 1997م، كان فَقْدُ بيغي مؤلمًا لبروكلين على نحو خاص، فقد كان حب أهل بروكلين له منقطعَ النظير، وإحياءً لذكراه، سمحَت البلدة بتكريم خاصٍّ له، من خلال تنظيم موكب جنائزي[187] لنعشه في جميع شوارعها.

وقد توافد آلاف الأشخاص على بروكلين لوداع بيغي، وفي الوقت الذي كان المعجبون يُلقون فيه نظرات الوداع على واحد من أقوى مغني الراب، استمر موكب الجنازة في جميع أنحاء البلدة حتى انتهى في النهاية إلى محرقة فريش بوند، حيثُ أُحرقَت جثته[188].

وعندما بدأ الناس يحاولون فهم ملابسات رحيل ذا نوتوريوس بي. آي. جي، أثار موته أسئلةً لا حصر لها: هل أصبحَت موسيقا راب العصابات حالة من حالات الفن المحاكي للحياة أم العكس؟ ما إمكانية تصاعد التنافس بين الساحل الشرقي والساحل الغربي إلى شيء أكثرَ وحشيةً؟ ما عدد مغني الراب المشهورين الذين سيُقتلون؟ متى سيدرك الشباب من الذكور السود الحماقة الكامنة وراءَ كل هذا القتل والعنف؟ ومع قتل باك قبلَ ستة أشهر، والآن قتل ذا نوتوريوس بي. آي. جي، وكثير من جرائم القتل التي وقعَت بين الذكور السود غير المشهورين، والمجهولين، بدا أن هذه التساؤلات ستظل دون إجابات إلى أجل غير مسمى، أو لن يكون لها إجابات بالأساس.

وبعدَ أن أفاقوا إفاقةً مؤقتةً بسبب وفاة بيغي سمولز، كان على نابليون وفرقة الأوتلو أن يستأنفوا العمل في أستوديو التسجيل؛ إذ كان لديهم مواعيد نهائية صارمة يجبُ عليهم الالتزام بها، ولقد كرموا مغني الراب الراحل بطريقتهم الخاصة، وعادوا للعمل على ألبومهم، وبحلول هذا الوقت، كان على شوغ أن يوفر لفرقة الأوتلو منزلًا خاصًّا بهم في الوادي؛ لأنهم كانوا يُطردون من كل فندق أُنزلوا فيه، وعادت فرقة الأوتلو الآن إلى الأستوديو، وظلوا يعملون ليلَ نهارَ دون توقف لإنهاء ألبومهم الأول مع ديث رو، وكانوا نَهِمين، ونالوا الإشادة لألبوم (*The Don Killuminati: The 7Day Theory*)، وكان النجاحُ قاب قوسين أو أدنى.

وقد كانت الأجواء في الأستوديو كما كانت دائمًا: صاخبةً وقتاليةً، ويمكن للمرء أن يجد المشروبات الكحولية في كل مكان، وغالبًا ما تمتلئ القاعات برائحة الماريجوانا، وهو ما يمثل الأجواء المعتادة في أستوديو تسجيل ديث رو، بين جلسات التسجيل، وكان نابليون يأخذ استراحةً أحيانًا، ويتسكع مع واك ديوس وهيروين، وكان هيروين شخصًا بسيطًا، ولكنه معقد، وقاتل بارد القلب من عصابة بيرو بلد، ورجل عصابات ذو عينين خضراوين، ويبدو كأنه لم يبتسم قط، وقد أُعجب هيروين بنابليون، وكان يأتي أحيانًا لاصطحابه للتسكع في كومبتون، ولقد كان بسيطًا؛ لأنه كان يتحدث عند الضرورة فحسب، وكان معقدًا؛ لأنه عندما يتحدث، كان من الواضح أن لديه الكثيرَ ليقولَه، ولكن آلاف

القصص التي لم تُرْوَ كانت حبيسةً خلف ذلك التعبير الفولاذي الذي كان يرسمه على وجهه في كثير من الأحيان، وكان يقول ما يريد، وقتما يشاء.

كان هيروين صديقًا بمعنى الكلمة، وإني لأفتقده، فقد اعتدنا أن نتسكع أحيانًا في كومبتون، وكان دائمًا يناديني: «عضو الأوتلو»... «مرحبًا، يا عضو الأوتلو»... «كيف الحال، يا عضو الأوتلو» (يضحك) ولقد كان رجلًا بمعنى الكلمة، فلا يجرؤ أحدٌ على العبث معه، وقد أحببتُه؛ لأنه كان دائمًا صادقًا معي، وعاملني باحترام على الرغم من أني كنتُ أصغرَ منه بكثير، وعندما عدتُ إلى كاليفورنيا، اعتدتُ التسكع معه كثيرًا، حين لا أكون مع واك ديوس وفرقة الأوتلو، وفي كل مرة كان يجيء لاصطحابي، كنتُ أذهبُ معه دون سؤال، ويومًا ما، فاجأني قائلًا: أنا ذاهب إلى كومبتون، يا عضو الأوتلو، فهل ستأتي معي؟ وكنتُ مضطرًّا إلى التعامل مع شيء مهم جدًّا؛ لذا لم أستطع. قلتُ له: ربما سأذهبُ معك في المرة القادمة، يا هيروين؛ لذلك قال: حسنًا، وغادر، وربما بعد ساعة أو أكثر من ذلك، تلقيتُ مكالمةً من واك ديوس قال لي: إن لديه أخبارًا فظيعة، فقلتُ: ماذا؟! قال: إن هيروين قُتل للتو عند إشارة مرور في كومبتون، فقلتُ: ماذا يا رجل؟! لا يمكنك أن تكون جادًّا؟! كان من المفترض أن أذهب معه!! كان هذا صديقي! حينها عقدتُ العزم على أن أنطويَ على نفسي بعدَ ذلك، وإذا كان كل من اقترب منه يموت، إذن لا أريد أن يكون لديَّ أصدقاء مقربون، فقد أصبحَت الأمورُ سخيفةً.

وفي هذه المرحلة من حياة نابليون بدا الموت له مثل مطر غزير في حقل مفتوح نزل على نحو غير متوقع ضاربًا بقوة كبيرة، ولا ملجأ منه، ويمكن أن يهطلَ مرة واحدة، أو يمكن أن ينزلَ مرات عدة في مدة قصيرة.

وتتابُع الوفيات عليه أزال أي مكاسب عقلية أو عاطفية كان قد حققها بعد التعامل مع حالة سابقة: كالمزارع الذي يقضي وقتًا في استعادة حقله بعد إحدى العواصف، ثم تأتي عاصفةٌ أخرى لتدمره من جديد، وبالنسبة إلى نابليون، أتى الموت فجأةً، وكان يأتي في كثير من الأحيان، ولم يكن هناك شيء يمكنه فعله حيالَ ذلك: «جعلني المال أشعر كالنجم، لكن القتلَ جعلني أشعرُ بأن موتي قريب».

وكان موت هيروين المفاجئ مزعجًا لنابليون ولفرقة الأوتلو، ولكن مع حدوث الكثير من المآسي خلالَ الأشهر القليلة الماضية، بدأَت البرودةُ، واللامبالاة تتسربُ إليهم، ولم تعد أخبار الموت تصدم حواسهم؛ بل أصبحَت مجرد تذكير صارخ بأنه يومًا ما لن نكون جميعًا هنا، وعلى إثر كثير من الوفيات غير المتوقعة، حاولوا أن يكونوا أكثرَ يقظةً، وحملوا المزيد من الأسلحة في أثناء تحركهم عبرَ لوس أنجلوس، وكان عليهم توخى الحذر في أثناء محاولتهم استئناف حياة طبيعية، وخلال هذا الوقت من التوترات المتصاعدة، كان نابليون محظوظًا ليسمع خبرًا يفيد بأن شخصًا مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بباك سيُطلَق سراحه من السجن، وأن هذا الشخص يريد التواصل معهم للتأكد من حصولهم على طبقة إضافية من الحماية التي هم في أمسّ الحاجة إليها في أثناء وجودهم في لوس أنجلوس.

وقد كان هذا الشخص هو إلمر (جيرونيمو) برات، أحد قدامى المحاربين في فيتنام، الذي انضم لاحقًا إلى حزب الفهود السود، وأصبح أحد كبار مسؤوليه، وأُطلق سراحه بعد مدة وجيزة من سجنه لمدة 27 عامًا[189]، وفي عام 1970م، قُبِضَ عليه، واتهم بقتل المعلمة كارولين أولسن، على الرغم من وجود تناقضات صارخة في قضية الادعاء[190]. وفي عام 1972م، أُدِين بالقتل، و «حُكم عليه بالسجن المؤبد لجريمة لم يرتكبها يقينًا»[191]، ومع ذلك، بسبب الجهود المستمرة لجوني كوكران لتسليط الضوء على حقيقة أن مكتب المدعي العام لمقاطعة لوس أنجلوس «أخفى معلومات مهمة عن هيئة المحلفين»، أُبطلت الإدانة، وفي النهاية أُفرج عام 1997م عن جيرونيمو برات، الذي سُجن ظلمًا[192].

ولم تنبع أهمية جيرونيمو برات لأمريكا السوداء من كونه سجينًا سياسيًّا فحسب، بل أيضًا لأنه كان الأب الروحي لأحد أبنائها الأكثر تأثيرًا؛ توباك شاكور[193]، ولكونه «محل ثقة ومقربًا من أفيني شاكور عضوة الفهود السود بنيويورك»، وقد وافق برات على أن يصبح الأب الروحي لتوباك في الوقت الذي كانت فيه أفيني لا تزال في السجن بتهمة الإرهاب[194]، وقال لاحقًا في ذكرى مغني الراب المقتول: «كان توباك، بالنسبة إلي، هذا الطفل الصغير الجميل الذي اعتاد التسلق عليَّ، ولقد كان مليئًا بالطاقة»[195]، ومع الأسف تلقى نبأ وفاة باك وهو لا يزال خلف القضبان، وعَرَف برات علاقة باك الوطيدة مع فرقة الأوتلو؛ لذا عندما علم أنهم عادوا إلى لوس أنجلوس، تواصل مع كِلِي (بون) شهيد سلون لرعايتهم، وقد اتضح فيما بعدُ أن هذا الطلبَ سيكون له فائدةٌ ملحميةٌ.

ولم يكن (بون) مجرد عضو عادي في عصابة أثينز بارك بلد من لوس أنجلوس، بل كان عضوًا رفيعَ المستوى، ورجل عصابات بارزًا، يحظى باحترام كبير من كلا الجانبين (كريبس وبلدز) وكان يُخشى ويُوقَّر على حدٍّ سواء؛ لشدته وذكائه، وقد عُرف عنه أنه ناور الموت مرات عدة، وخرج سالمًا، وكان مثالًا لـ (قتال الشوارع) وكان ممثلًا هائلًا لكل ما يتعلق بثقافة العصابات وسياستها؛ وفي الوقت نفسه، كان شخصًا واعيًا اجتماعيًّا، يهتمُّ اهتمامًا شديدًا بمحنة شعبه، وكان شقيق بون قد سُجن مع جيرونيمو برات، وهكذا أصبحَ برات على معرفة جيدة ببون، وبمشاركته في المجتمع في لوس أنجلوس، وعَرَف مدى الاحترام الذي يلقاه، ولما علم برات أن الأجواء كانت متوترةً الآن، خاصةً بعد وفاة باك، أراد التأكد من أن فرقة الأوتلو لديها مصدر تأمين إضافي في لوس أنجلوس؛ لذلك طلب من بون الاعتناء بهم.

وعندما قابلتُ بون لأول مرة، أعتقد أننا تآلفنا على الفور، ولقد كان بون صديقًا بمعنى الكلمة! لقد التقى باك مرات عدة من قبلُ، وكان يعرف أيضًا جيرونيمو برات من خلال شقيقه الذي حُبس معه، وكان باك يتحدَّث دائمًا عن أهمية جيرونيمو برات لمجتمع السود؛ لذلك كنتُ أُكِنُّ له الاحترام، والإعجاب بمكانته، وكنتُ سعيدًا لسماع أنه سيخرج، ومن ناحية أخرى، كان بون عنصرًا مهمًّا في حياتي؛ لأنه أصبح هذا الصديق الذي كان دائمًا موجودًا لحمايتنا، وإن كنتَ تتحدث عن (رجل العصابات)، فيجبُ أن يكونَ وجهُ هذا الرجل بَدَهيًّا بجانب هذا الوصف! ولقد كان دائمًا واضحًا

وصادقًا، وتحدثنا عن باك كثيرًا؛ لأنه كان أحد أكبر معجبيه، وكان يحترمه احترامًا شديدًا، وبالنسبة إلى بون، لم يكن باك مجرد مغني راب؛ بل كان قائدًا، وكان هذا تمييزًا مهمًّا، وقد اعتدنا على إلقاء النكات طوالَ الوقت أيضًا، ولكن ما أدهشني هو مدى فصاحته، وكان دائمًا يعلمني... ليس فقط حول سياسة العصابات؛ لأنه كان من مجموعة أثينز بارك بلد، بل علمني أيضًا حولَ محنة أمريكا السوداء، وما يجب أن نفعله للنهوض بأنفسنا، وإنه رجل عميق، ولكنه جندي مستقيم في الوقت نفسه.

وبعد أن قدم كلٌّ منهما نفسَه للآخر، بدأ بون يعرف نابليون وفرقة الأوتلو بشبكته من رجال العصابات وغيرهم من الأعضاء المؤثرين في المجتمع في لوس أنجلوس، ولقد أراد أن يُوَصِّلَ رسالة واضحة منذ اليوم الأول؛ مفادها أن فرقة الأوتلو يمكنها الاعتماد عليه تمامًا، وبدأ بون يتردد أيضًا على أستوديوهات التسجيل؛ للتأكد من عدم وجود أي شخص يتعرض لهم، وليطمئن أنهم يحصلون على التأمين اللازم حين يحتاجون إليه، وسرعانَ ما أصبح بون عنصرًا لا يُقدَّر بثمن في حياة فرقة الأوتلو، في أثناء محاولتهم المُضي قُدُمًا في حياتهم المهنية.

والآن مع وجود بون على نحو متكرر في المشهد، واصلَت فرقة الأوتلو التحرك ذهابًا وإيابًا إلى الأستوديو، حتى تمكنوا أخيرًا من إنهاء تسجيل ألبومهم الأول، وفي غضون أسابيع قليلة، تمكنوا من إنتاج ما يقرب من 25 أغنية، وأصبحوا الآن جميعًا متحمسين ومتشوقين للخطوة التالية، وكانوا مستعدين من جهة الوقت، ومن جهة العمل، وكانوا شَرِهين للنجاح، ولكنهم كانوا أيضًا عديمي خبرة، وكانوا يتوقعون أن يصدر الألبوم على الفور كما هو منصوصٌ عليه في العقد المُبرَم مع ديث رو، ولكن عندما اتصلوا بالمدير بشأن تفاصيل الإصدار، أُبلغوا بأن شوغ لم يُصدر أوامرَه بإصداره بعد. انتظر؟ ما الذي تقوله؟! لقد انتهينا من العمل بالفعل، ماذا تعني بقولك: إنه لن يُصدر الآن؟ وفي تحوُّل مذهل للأحداث، اختار شوغ عدم الإصدار الفوري للألبوم الذي انتهَوْا منه للتو، ولقد طُلب منهم توقيع عقد نشر من أجل إصدار الألبوم، وهو ما لم يذكره أحدٌ من قبلُ، وكان العقد ينص على تنازلهم على نحو أساسي عن بعض حقوقهم مقابلَ مبلغ ضئيل قدره 1000 دولار، وقد كان ذلك صادمًا لفرقة الأوتلو، ومثيرًا لغضبهم؛ فقد أُصيبوا بخيبة أمل، وكان هذا مُستَهَلَّ عملهم في عالم موسيقا الراب: عالم لا يمكن التنبؤ به في بعض الأحيان، وبارد القلب، وغير منطقي.

وعلى الرغم من أنهم كانوا يفتقرون إلى الخبرة، كانوا لا يزالون يملكون ذكاء الشارع؛ وكانوا يعلمون أن لديهم إمكاناتٍ كبيرةً، ولن يوقفوا نموهم قبلَ الأوان، خاصةً أنهم كانوا يتعرضون لضغوط للتوقيع للتنازل عن حقوق ليست واضحةً بالنسبة إليهم، وفي هذه المرحلة، واجهَت فرقة الأوتلو خيارًا حاسمًا: إما أن يبقوا مع ديث رو بالألبوم المنتهي الذي لا يُعرَف له تاريخ إصدار محدد، أو أن يطلبوا من شوغ فسخ العقد، وبعد تفكير عميق، ونقاشٍ طويل فيما بينهم، قرَّرَت فرقة الأوتلو أنهم لم يعودوا يريدون أن يكونوا جزءًا من ديث رو، وسعَوْا لفسخ العقد.

وعلى ما يبدو، فإن هذه العملية لن تكونَ سهلة؛ فقد أُشيع أن فسخ العقد مع ديث رو سيكون صعبًا؛ لأنه سيشمل الكثير من المناورات القانونية والبيروقراطية[196]، فلم يكن التعامل مع شوغ سهلًا، عندما يتعلق الأمر بترك شركته، ولكن هذه الشائعات لم تمنع نابليون وفرقة الأوتلو من المُضي قُدُمًا في قرارهم، فذهب نابليون مباشرةً إلى شوغ، وزاره في السجن، وكلمه ووجهًا لوجه كلام رجل لرجل، وذكره بالموقف الحالي: إن فرقة الأوتلو لم تعمل بكل هذا الجد على الألبوم ليُترَك في النهاية دونَ إصدار، وإنهم يريدون فسخ العقد، وتقديرًا لقدرة نابليون على مواجهة شوغ مباشرةً، أذعن لمطالبه بعدَ بعض المناقشة، ولا شك أنه لم يكن يريدُ أن يرى هؤلاء النجوم الموهوبين يرحلون عن شركته؛ فقد كان هناك بالفعل عدد كبير من الفنانين الذين يتطلعون إلى مغادرة الشركة، ولكنه احترم رغبات نابليون وفرقة الأوتلو، ووافق شفهيًّا على السماح لهم برسم مسارهم الخاص، وعلى الرغم من موافقة شوغ الشفهية، اضطُرَّت فرقة الأوتلو في النهاية إلى اللجوء إلى الوسائل القانونية لفسخ العقد؛ لأن مكتب ديث رو كان بطيئًا حتى في بدء العملية، ساحبًا أقدامهم للخوض في أشياء بسيطة مثل توفير نماذج فعلية لفسخ العقد.

في حين كان نابليون يحاول التغلب على المأزق القانوني الذي تورط فيه هو وفرقة الأوتلو، استغرق بعض الوقت للتواصل مع أصدقائه وعائلته في إيرفينغتون من خلال الاتصال بهم، وبحلول هذا الوقت، لم يكن في نيوجيرسي من أفراد الأسرة الذين نشأ معهم مباشرةً سوى مؤمن.

وقد كان مؤمن على ما يُرام، وحاول الابتعاد عن طريق الأذى، وكان يفكر في الانضمام إليهم في كاليفورنيا قريبًا، وسأل نابليونُ عن أخوَيْه شارود وسيكي، اللذَيْن لم يرَهما منذ وقتٍ طويل جدًّا، فأخبره مؤمن أنهما بخير وأنهما يفتقدانه، وربما في المرة التالية التي يأتي فيها نابليون إلى هناك، يمكنه أن يلتقي بهما؛ ليطمئن كلٌّ منهم على ما حدث في حياة الآخر، وقد بدت هذه فكرةً جيدة له، وقال: إنه سيرتب للأمر مع كامل وريف بمجرد أن يعرفوا الوقت الذي سيتجهون فيه إلى الشرق، وبدا كل شيء على ما يُرام في إيرفينغتون، ولكن في هذه المرحلة من حياة نابليون، بُرمِجَ ليكون حذرًا خلالَ فترات الهدوء النسبي؛ فهذه الفترات كانت تتخللها دائمًا مأساةٌ غير متوقعة؛ لذا فقد طور آلية دفاعية لعدم الوثوق بالسلام أبدًا، وبالنسبة إليه، نادرًا ما كان هناك سلام على الإطلاق؛ بل كانت الحياة مجرد حرب: معركة عاطفية، وذهنية، وفي بعض الأحيان جسدية.

وبعد أيام قليلة من الاطمئنان على الأحوال من مؤمن، تلقى نابليون مكالمة، وكانت من عمته بيتي، وكان صوتها ضعيفًا ومرتعدًا، فقد وُجد سيكي قبلَ ساعات مُلقى في الجزء الخاص به من المنزل مصابًا بجرح ناتج عن طلق ناري في رأسه في حالة انتحار على ما يبدو، ولم يشتبه مسؤولو إنفاذ القانون في وجود جريمة قتل، ووجدوا في النهاية رسالة انتحار بخط يده.

فماذا كان عليَّ أن أفعل في هذه المرحلة؟ البكاء؟ هذا أخي، وعلى الرغم من أننا كنا بعيدَيْن، كنتُ أحبه، ولقد فُجِعْتُ به، ولكن ماذا يمكنك أن تفعل وقد بكيتَ كثيرًا بالفعل، وكان الأمر أشبه بمحاولة

الحصول على الماء من صخرة، لا لأن موته ليس يؤلمني، بل لأني حرفيًّا لم يتبقَّ لديَّ دموع.

فأبلغ نابليون كاملًا وفرقة الأوتلو أنه تلقى للتو اتصالًا يفيد بأن سيكي قد مات فجأةً، فهزوا رؤوسهم جميعًا غير مصدقين، فليس مجددًا، ومتى سيتوقف كل هذا؟! خيمت على المنزل سحابة من الكآبة أيامًا عدة، حاولوا فيها جميعًا أن يكافحوا للتعامل مع مفاجأة الموت وتقلب الحياة، وعلى الرغم من تلك الأخبار المروعة، بذلوا قصارى جهدهم للمُضي قُدُمًا، فما زالَت الحياةُ مستمرةً، بكل آلامها ومآسيها، وكان عليهم إعادة تركيز طاقاتهم على كيفية تعاملهم مع وضعهم الكئيب مع ديث رو، وفي الوقت نفسه الذي انشغلَت فيه فرقة الأوتلو بخلافاتهم القانونية مع شوغ نايت، كانت أفيني تُنشئ شركتها الموسيقية الخاصة (*Amaru Entertainment*)، تكريمًا لابنها الراحل، وكانت فرقةُ الأوتلو على اتصال دائم بأفيني بعد مدة طويلة من وفاة باك؛ فقد حرصوا على الحفاظ على ما بينهم من رابطة أسرية لا تنفصم، وقد كانوا وسيظلون عائلةً واحدة، ولقد أبقَوْها على اطلاع دائم بمعاركهم القانونية مع ديث رو بخصوص فسخ العقد، وليس من المستغرب أنها كانت تتعامل أيضًا مع معارك قانونية خاصة بها، بعد أن «رفعت دعوى ابتزاز ضد ديث رو وشوغ نايت وديفيد كينر (محامي ديث رو)» متهمةً إياهم بـ «سوء التصرف وخيانة الأمانة»[197]، ولقد علمَت أن فرقة الأوتلو كانوا يحاولون فقط الاستفادة ممّا هو حقٌّ لهم، وكانت تعلم أيضًا أن باك وفرقة الأوتلو لا يزالون يمتلكون مخزونًا هائلًا من الموسيقا التي لم تَرَ النورَ بعدُ، وفي أواخر عام 1999م، وافقت ديث رو وإنترسكوب ريكوردس بالتعاون مع أمارو إنترتينمينت على إصدار ألبوم (*Still I Rise*)، وهو ألبوم ظهرَت فيه على نحو بارز فرقة الأوتلو جنبًا إلى جنب مع باك، وقد حصل الألبوم على الشهادة البلاتينية في غضون بضعة أشهر فقط من إصداره[198]، وقد سمحَت طبيعةُ الاتفاق الذي أبرمته أفيني لفرقة الأوتلو بالاستمتاع بعائدات جميع المبيعات، على الرغم من أنهم لم يعودوا رسميًّا مع ديث رو، وأقل ما يُقال: إن هذا كان نجاحًا كبيرًا لنابليون ولفرقة الأوتلو.

وقد كنا في غاية السعادة، يا رجل، ولقد جنينا أخيرًا بعضَ الثمار، ورأينا جهودنا تُدِرُّ علينا بعضَ الأموال الحقيقية، فعندما كنا مع باك - أرجو ألَّا تفهموني على نحو خاطئ - رأينا بعضَ المال، ولكنه لم يكن بهذا القدر، وأعتقد أنني حصلتُ على شيك بستة أرقام، وحدث الشيءُ نفسُه بعدَ بضعة أشهُر، وأخيرًا بدأَت فرقة الأوتلو تجني الثمارَ، وكان باك ليفخر بنا، وكان القذافي ليفخر بنا، وبالتأكيد كنا سنصبح في مستوى آخر تمامًا لو أن باك كان موجودًا معنا في ذلك الوقت، وبعد كل تلك الاضطرابات التي مررنا بها جميعًا على مر السنين، كان هذا أشبهَ بنسمة من الهواء النقي، فتحية كبيرة لأفيني على اعتنائها بنا في ذلك الوقت، كما هو العهد بها دائمًا، ولقد كانَت امرأةً مميزةً، وعائلتهم كانت عائلة مميزة.

وبعد أن اكتسبَت فرقة الأوتلو الخبرة، وتسلَّحَت بالمال، قررت فتح شركة التسجيلات الخاصة بها (*Outlaw Recordz*)، في عام 2000م، ولقد استفادوا من نزعتهم الريادية، التي كان الكثير منها يجري بالفعل في عروق نابليون، ورأَوْا أنهم سيستمتعون بقدر أكبر بكثير من الاستقلالية والحرية

المالية فيما بينهم إذا كان لديهم شركتهم الخاصة، ولن يضعوا نجاحَهم أو فشلَهم مرة أخرى في أيدي أي شخص آخر غير أنفسهم، ومن المفارقات، أن هذا هو بالضبط ما كان باك يقصده عندما كان يأمل في التوقيع معهم من خلال علامته التجارية الخاصة، ولقد توقع مشكلات المستقبل، وأراد حماية فرسانه الصغار من الاستغلال أو البخس، والآن مع شركتهم الخاصة، أصبح لديهم مرونة أكبر في تحديد مستقبلهم وتحديد من سيشاركهم فيه.

وسرعان ما أصبحَت أوتلو ريكوردس مؤسسةً عائلية؛ فقد تكونت الشركة من أفراد الأسرة وأصدقاء الطفولة المقربين، وضم نابليون إلى الشركة ابن عمه ريف، الذي سافر إلى كاليفورنيا معهم، ليصبح أحد منتجي الموسيقا لديهم، وإلى جانب ريف، عُيِّنَ صديق آخر من مونتكلير منتجًا موسيقيًّا، وهو محتقم فريد (المعروف أيضًا باسم كويمي كويم)، وكان يَعرف يَنْغ نوبل، وفيتل والقذافي جيدًا، ولم يكن يخشى أن يُنفِّذَ أيَّ شيء يُطلب منه خارج الأستوديو إذا استدعت الظروف ذلك، وبالمثل، انضمَّ أصدقاء الحي القدامى: أكبر (المعروف أيضًا باسم آكي) وطالب، إلى نابليون وعائلة إيرفينغتون لتوفير قوة بشرية إضافية، وللمساعدة فيما يتعلق بموسيقا الراب في الشركة الجديدة، ومن المسهمين البارزين الآخرين في الشؤون اليومية لشركة أوتلو ريكوردس: غريدي غرين، متخصص التسويق؛ وإد بون، فنان الراب؛ وريمون، وكذلك أصبح صديقُ بيغ سايك، هاساتشي (المعروف أيضًا باسم إتش - رايدا)، الذي كان من لوس أنجلوس، مغنيَ الراب الشرفي في فرقة الأوتلو، وساعد في عمليات الشركة، وعُيِّنَ الأخ الأكبر لكاسترو، ويليام ليسين (المعروف أيضًا باسم بيل بانغ)، الذي كان ابن عم أكبر لباك، مديرًا للشركة؛ بل إن عم إي. دي. آي. مين، بيغ جي، وهو أيضًا أحد أبناء عم باك، عُيِّنَ أيضًا مديرًا للشركة، وبدأ كامل، الذي لم يعُد في المدرسة، يأخذ الراب على محمل الجد، مستثمرًا وقتَه وجهده بجدية ليصبح فنانًا حقيقيًّا، وأصبح كامل، الذي اتخذ لنفسه لقب هيلرازا (وكذلك لقب مزمل)، مؤهلًا بما يكفي ليسجل جنبًا إلى جنب مع فرقة الأوتلو، ومع فريق موثوق من الأصدقاء والعائلة، وبعد أن تمتعوا بتلك الحرية الجديدة، بدأ أعضاء فرقة الأوتلو يستعدون الآن لأول ألبوم لهم *Ride Wit Us or Collide Wit Us* (اركب معنا أو اصطدم بنا).

وتمكنوا من إبرام صفقة توزيع مع بايسايد إنترتينمينت، وعملوا بجد لإكمال الألبوم، وبعد أن وُضعَت الأمور في نصابها، وبعدَ العمل الدؤوب، أكملوا أخيرًا ألبومهم الأول المكون من 19 أغنية، الذي تضمن التعاون مع فنانين آخرين مشهورين مثل كوليو، وباد آز، وفال ينغ، وتي كيو، وأُصدر في 7 نوفمبر 2000م[199].

وعلى الرغم من أن الألبوم لم يحظَ بالقدر نفسه من الإشادة النقدية مثل الألبومات الأخرى التي أنتجوها مع باك، فقد دخل في قائمة بيلبورد 200 الأمريكية، وبلغ مرتبة متقدمة بالوصول إلى المركز رقم 95 [200]، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تتمكن فيها فرقة الأوتلو من كسب مبلغ كبير من المال من المبيعات التي ذهبَت مباشرةً إلى أوتلو ريكوردس، وبالنسبة إليهم، كانَت تجربةً تعليميةً

شديدة الإيجابية علمتهم على نحوٍ مباشر جميعَ خبايا إنتاج وإصدار ألبوم الأستوديو، ولقد كانت بدايةً متواضعة، ولكنها قيّمة فيما يتعلق بالجانب التجاري للموسيقا: وقت الأستوديو، والموزعون، والوكلاء، والعقود... إلخ، ولقد برعوا حين استقلوا، لكن لم يخطر ببالهم أنه بعدَ وقت قصير من إصدار ألبوم (*Ride Wit Us or Collide Wit Us*)، كانوا سيقابلون شخصًا يتمتع بالدهاء، والنزاهة، والنفوذ، لينقل فرقة الأوتلو إلى المستوى التالي من النجومية والشهرة؛ ذلك الشخص هو ستيف لوبل.

وبحلول الوقت الذي التقى فيه ستيف بفرقة الأوتلو، كان قد رسخ أقدامه بالفعل بوصفه مديرَ موسيقا لامعًا في سماء الصناعة، بعد أن عمل مع كبار الموسيقيين مثل رن دي إم سي، وبون ثغز -إن- هارموني، وفات جو، وبيغ بنيشر، وماريا كاري، وثري 6 مافيا، وذا لونيز، وإيزي -إي، وقد بنى ستيف- الأمريكي اليهودي الذي أصله من كوينز، نيويورك - سمعةً طيبة لإنجازه الأمورَ، ولأنه يتمتع بحس تجاري ونزاهة لا تشوبهما شائبة، كان يتردد على الأستوديو نفسه الذي تتردد عليه فرقة الأوتلو، أستوديو 56 في سانتا مونيكا بوليفارد، وكان ستيف هناك يعمل بجد مع عدد كبير من الفنانين في الوقت نفسه الذي كانت فرقة الأوتلو تستعد فيه لإنتاج ألبومهم الثاني، ومع تصادف مقابلة بعضهم بعضًا أكثرَ فأكثرَ، قدم كلٌّ منهم نفسه للآخر في النهاية، وكانت فرقة الأوتلو مدركة جيدًا مكانته في صناعة الموسيقا، وكان ستيف دائمًا يبحث عن المواهب، وعلى استعداد لتكريس نفسه للنهوض بالفنانين الذين شعر أنهم يستحقون الاستثمار، وعلى الفور تقريبًا بدأت علاقتهم تتشكل؛ إذ أدرك ستيف ونابليون وفرقة الأوتلو بسرعة الاحتمالات اللانهائية لعلاقة العمل: التلفاز، والمذياع، وصفقات التسجيل، والجولات الموسيقية، والعروض.

انتهز فرصك دائمًا، وكانت فرقة الأوتلو حريصة على استكشاف ديناميكيات العمل مع ستيف، وبعدَ مناقشات، قرروا تعيينه مديرًا للموسيقا، ومنذُ البداية، كان من الواضح أن بينهم تآزرًا لا يُصدَّق، وأن لديهم الرؤيةَ نفسها، ولكن أول ترتيب تجاري بالنسبة إلى ستيف كان تقديم العقلية.

فإن العمل في صناعة الموسيقا يعتمد على العلاقات؛ فعلاقاته الاجتماعية الهائلة التي بناها على مر السنين هي التي كانت ستوفر لهم الفُرَص: ليس المال، ولا الأغاني، ولا الأشخاص، لكنها العلاقات، وكان هذا هو المبدأ الأساسي الذي تعلمه باك على مدار مسيرته المهنية، ولكن لم تُتَحْ له الفرصة لتعليمه لفرقة الأوتلو قبلَ وفاته، وكان ستيف قادرًا على ملء هذا الفراغ الحرج، والآن أصبحوا قادرين على فهم بعض المفاهيم الأساسية والخبايا في مجال أعمال الموسيقا، وفي الوقت الذي كان ستيف يساعدهم فيه على تنمية العقلية الصحيحة، كان يضطلع بعمله الثاني بحثًا عن طرق لتوسيع نطاق وصولهم، محليًّا وخارجيًّا.

وبعد أن ذاق أعضاء فرقة الأوتلو حلاوة النجاح، استطاعوا الاستمتاع بالحياة قليلًا، فاشترَوْا منازل لأنفسهم ولأسرهم تقع في مجتمعات مُسوَّرة، وارتدَوْا فاخر الملابس والجواهر، وركبوا أحدث

السيارات الفاخرة، وكان لسان حالهم أنه على الرغم من أن المال لا يشتري السعادة، لكنه بالتأكيد يشتري الأشياء التي تجعلهم سعداء، ولم يكونوا يتمتعون بالنجاح فحسب، بل كانوا يستمتعون أيضًا بصعود نجمهم.

وأينما ذهبوا كان المعجبون يهتفون بأسمائهم، ويقتربون منهم للحصول على توقيعاتهم، ومع ذوبان جليد الخلاف بين الساحل الشرقي والساحل الغربي أخيرًا، ومع بداية انخفاض العنف المرتبط بالعصابات في لوس أنجلوس جزئيًّا نتيجة قوانين العصابات[201] التي دخلت حيز التنفيذ في أوائل عام 2000م، تمكنت فرقة الأوتلو من الاسترخاء في الأماكن العامة أكثر من ذي قبل، وبدا أن الجريمة آخذة في الانخفاض في لوس أنجلوس[202]، وعلى الرغم من أن الخطرَ كان دائمًا قابَ قوسين أو أدنى، لم تكن الأجواء حادةً كما كان الحال في ذروة نزاع الساحل الشرقي والساحل الغربي، خاصةً بعد وفاة توباك وبيغي، وعلى الرغم من قدرة أعضاء فرقة الأوتلو على التسكع بحرية أكبر، كان التسكع مع نابليون في كثير من الأحيان هو الخيار الأخير، وليس الأول. يقول يَنْغ نوبل[203]:

كل ما يمكنني قوله عنه: إنه كان متوحشًا، ولقد وصلنا إلى درجة أننا لم نكن نرغب في الذهاب معه إلى أي مكان؛ لأنه سيُصبح مخمورًا للغاية، وتثور ثائرته لكل أمر صغيرٍ، وأصبحَت هذه مشكلة كبيرة؛ فقد كنا مغني راب شبابًا مشهورين، ولكننا كنا أيضًا رجال أعمال، ولا نريد اكتساب سمعةِ أننا لا نحسن التصرف في الأماكن العامة؛ فهذا يحرمنا من أعمال محتملة، وقد اعتدتُ أن أبذل قصارى جهدي لمنحه المزيد من الحب والتفاهم؛ ولأنني عرفتُ أنه فقد أبويه في سن صغيرة... فقد شعرتُ أن لديه فراغًا كبيرًا في قلبه، ولقد كان يتعامل مع الكثير من الشياطين، والقضايا التي ليس لها حل، وبوصفنا شبابًا سودًا، لا نتحدث أبدًا عن أعمق مشكلاتنا؛ بل هي تظهرُ عادةً في أفعالنا، ولك أن تتخيل ما قد يحدث حين يُسرف شخص سريع الغضب في السُّكْر، وأحيانًا كنتُ أعتقد أن لديه رغبة في الموت، وأنه في أي ليلة قد يؤدي رد فعله المبالغ فيه إلى إلحاق الأذى بنا جميعًا، أو قتلنا، أو وضعنا في موقف يجعلنا نؤذي شخصًا ما، بما قد يصل إلى حد القتل.

حزن، وخمر، وغضب، فقد أصبح هذا هو الروتينَ اليوميَّ لنابليون، ومنذ أن ماتت جدته حتى سنوات عدة بعد ذلك، لا يذكر أنه مر عليه يوم واحد لم يكن فيه غائبَ العقل؛ فطوال هذه المدة من حياته خيَّمَت عليه سحابة ضبابية من الحزن والغضب، مع زخات من النجاح والسعادة تتناثر على نحو متقطع في أثناء ذلك، وكان يملك المال، وكان يتمتع بالشهرة، ولكنه كان دائمًا يفقد أرواحًا عزيزة عليه؛ وهو ما سلبه راحة البال، ولم يكن للحياة معنى؛ فقد كان من المفترض أن تكون حلوةً الآن، ولكن محاولة نابليون الاستمتاع بالحياة كانت مثل تذوق العسل بلسان محروق؛ وأيًّا كانت كمية العسل التي سيتناولها، فإن براعم التذوق المحترقة جعلَت الاستمتاعَ به ضربًا من الاستحالة.

وقد قرر أعضاء فرقة الأوتلو، ملتزمين بتوجيهات ستيف، البدءَ في ألبومهم الثاني (Novakane) وعلى الرغم من أنهم حققوا نجاحًا معتدلًا مع ألبومهم الأول، كان أملهم كبيرًا في أن يمنحَ ستيف حياتَهم المهنية دفعةً كبيرةً إلى الأمام؛ كما فعل مرات عدة من قبلُ مع مشاهيرَ آخرين، وتوجه نابليون وكامل وريف إلى أستوديو نورث هوليوود بعد ظهر أحد الأيام للعمل على تسجيل الألبوم الجديد، وعلى الرغم من أن الأجواء في هذا الأستوديو لم تكن عدائيةً كأجواء ديث رو، لم يختلف الأمر كثيرًا فيما يتعلق باستهلاك الكحول والتدخين، ففي هذا اليوم، أسرف نابليون في الشرب أكثرَ من المعتاد، وهو ما أصبح أمرًا مهمًّا بالنسبة إليه؛ فقد ساءت عادته في الشرب للغاية، حتى إنه لم يكن ينتظر حتى المساء؛ بل كان يبدأ الشرب كل يوم في وقت ما بعد الظهر، وإذا كان اليوم سيئًا على نحوٍ خاصٍّ، فسيبدأُ من وقت الإفطار، وكان ذلك اليومُ أحدَ تلك الأيام.

وفي العموم، كان كامل يُكِنُّ لنابليون احترامًا كبيرًا يزداد يومًا بعد يوم، ولكنه كان شجاعًا، وهي أكثر صفة فيه أعجبَت باك، وفي معظم الأوقات، إذا قال نابليون شيئًا لم يعجبه، أو لم تعجبه الطريقة التي قاله بها، لم يكن يخاف من إخباره بذلك، وعلى الجانب الآخر، لم يكن نابليون يحب أن ينتقده أيُّ شخص، ولا سيما أخيه الأصغر، فلم يكونا يتشاجران كثيرًا، لكن حين يقع ذلك، يكون الأمر شديدَ السوء، وأصبحَت أيُّ مشاجرة بين الشقيقين سببُها المنشطات، وفي حين كانوا يسجلون في حجرة التسجيل مع ريف، لاحظ نابليون أن كاملًا كان يشربُ أكثرَ من المعتاد.

فقال نابليون: «توقف عن هذا يا كامل»، قالها وهو نفسُه مخمور على نحو واضح.

فردّ كامل: «انصح نفسك، يا صديقي، يمكنني أن أعتني بأمري، فأنت تحاول دائمًا أن تخبرني بما يجب عليَّ فعله!».

فردّ نابليون منفعلًا: «ماذا؟! ماذا تقول؟!».

قال كامل والكلمات يتداخل بعضها في بعض: «لقد سمعتَني! هذه هي الحقيقة، أنتم يا أعضاء الأوتلو المتشردون، تحاولون جميعًا إهانتي».

قال ريف: «اهدأ يا كامل، لقد أسرفتَ في الشرب، ما هذا الذي تتحدثُ عنه؟! أتقول: إن فرقة الأوتلو متشردون؟ هذا لا يعني شيئًا؛ فأنت جزءٌ من الفريق».

قال كامل: «لا، يا رجل! لستُ واحدًا منكم، فأنتم جميعًا تحاولون دائمًا إهانتي، ولا سيما هذا الشخص»، وأشار إلى نابليون وهو يضع مشروبه ببطء.

قال نابليون مزمجرًا: «توقف الآن يا كامل، ما الذي تقوله؟».

فردّ كامل: «لقد سمعتَني! ولن أكرر...».

وقبل أن يُنهي كامل كلامه، أمسك به نابليون، ووجه قبضته إلى فكه، ليختل توازن كامل إلى الخلف، ويصطدم ظهره بالحائط، فاستعاد كامل توازنه، وتحسس فكه في حالة سُكر غيرَ مُصدِّق، وهنا حَمِيَ الوطيس، واندفع نحو نابليون، وسدد له لكمة خطافية جامحةً بيده اليمنى، ولكن نابليون تفادى اللكمة، ومع عدم توازن كامل إلى حدٍّ ما من اللكمة القوية التي تلقاها، وجه نابليون لكمةً سريعة لوجه كامل، لينفجر أنفه بالدم في كل اتجاه، حاول كامل استعادة توازنه، فرأى الدمَ يقطر على الأرض، ووضع يديه على أنفه ليحاول وقف النزيف، ولكن دون جدوى، فباغته نابليون، وطرحه أرضًا، ثم طرحه على طاولة عليها معدات إستريو وكؤوس كانوا يشربون منها، فلم يستطع ريف إلَّا أن يقف مشاهدًا، بعد أن قيَّدَه الرعب، ونظرًا لأن باب حجرة التسجيل كان مفتوحًا، دوَّى إلى الخارج صوتُ انفجار زجاج متبوعًا بوابل من الشظايا المتناثرة، وبحلول هذا الوقت كانت الضجة عالية جدًّا، وكان الذعر يزداد بوتيرة متسارعة، وكان نابليون الآن على رأس كامل يلكمه وكامل يحاول يائسًا تغطية وجهه، لكمة، فالثانية، فالثالثة، فالرابعة، ومع عدم قدرته على إيصال اللكمة على نحوٍ كامل، أمسك نابليون برأس كامل، وبدأ يرطمه بالأرض، والخامسة، فالسادسة، فالسابعة، وفي هذه المرحلة، كانت أرضية الأستوديو وبعض الأثاث قد تلطخ بكميات متفاوتة من الدم، وعاد نابليون إلى اللكم، وكل لكمة تستغرق وقتًا أطول لتوجيهها؛ فقد بدأ التعب ينتابه، والثامنة، فالتاسعة، وعند ذلك، سُمِعَ صوت صرخات عالية داخل الكابينة، ودخل الرجال الستة الذين كانوا يندفعون في الردهة أخيرًا، وأوقفوا ذلك الشجارَ الدمويَّ.

هُرِع ريف أخيرًا للفصل بين الاثنين، في حين ساعد الرجال الآخرون على كبح جماح نابليون، ومع بداية هدوء الوضع، دخل ميكال كامل، الذي كان منتجًا موسيقيًّا، والتقى نابليون قبل أسابيع قليلة في أستوديو 56، وبالنسبة إلى نابليون، فكلما التقيا، كان هناك اتصال غامض مع ميكال، وكان ثمة شعور بالانجذاب والاحتفاء على الرغم من أنهما بالكاد يعرفُ أحدُهما الآخرَ.

قال ميكال: «مهلًا يا أخي، ما هذا؟!». كان نابليون قد انفصل الآن عن أخيه، وكان لا يزال نصفَ ثمل، يتفحص العواقب بدلًا من الرد على سؤال ميكال، فنظر ميكال ليرى ما الذي كان نابليون يُحدِّقُ فيه، فأجال نظره في أرضية الأستوديو، فلاحظ أنه مملوء بشظايا زجاجية وبِرَك دماء صغيرة متناثرة.

فسأله: «أهذا دمُ أخيك الذي يغطي كل مكان؟»، نظر نابليون حوله، فوجد كمية كبيرة من الدماء: على الحائط، وعلى الأرضية، وعلى معدات الإستريو، وعلى ملابسهما، وعلى يديه.

قال: «نعم...».

- «أنتما أخوان، وهذه الدماء المتناثرة في جميع أنحاء الغرفة هي دماء أمك ودماء أبيك! كيف سيكون شعورك حين تستيقظ في الصباح، وتدرك أنك قد قتلتَ أخاك؟!».

في تلك اللحظة، صَدَمَت نابليون لحظة إفاقة كما لو أنها صدمةُ قطار الشحن، واستمر ميكال: «كان أمرٌ جَلَلٌ سيقع لو حدث ذلك....».

الآن، لم يعد نابليون يسمعُ أي شيء، فقد أصمّه ذلك الإدراك المروع بأنه كاد يقتل شقيقه، فماذا ألمَّ بي؟! هذه المرة لم يكن عقله في سَكْرة من أثر الكحول؛ بل كان في سَكْرة من إدراك أنه أصبح خارجًا عن نطاق السيطرة، ولقد تخطَّى حدًّا مقدسًا، ولم يكن ليستطيعَ العيشَ لو أن أخاه قُتل على يديه، وكان ثمةَ شيءٌ يجب أن يتغيرَ.

وعند هذه اللحظة، نَكَّس رأسه بينَ يديه، وبكى.

الفصل الخامس عشر
اقتحامُ المجهولِ

«حان وقت السير وحيدًا»

مطاع بيل

لقد أثر فيَّ ما حدث مع كامل تلك الليلة في الأستوديو أيَّما تأثير، فقد كان هذا أخي الصغير، وإنه من أهلي، ويجري في عروقنا دم واحد؛ أكان يمكن أن يفقدَ حياته؟ وعلى يديَّ؟ لأنني في حالة سكر، ولأنني غاضب؟ كانت تلك لحظة محوريةً في حياتي، عندما علمتُ أن ثمة مشكلةً خطيرةً، ولا أعرفُ ما حلها، ولكني كنتُ في حاجة إلى فعل شيء ما، وإذا كان كل ما تفعله في حياتك هو الغضب، والسكر، والمشاجرة، يومًا بعد يوم، فأي حياة هذه؟! في تلك المرحلة، بدا الأمر كأنني رأيتُ الموت أسهل في التعامل معه من الحياة، ولقد علمتُ أنني لا أريد الموت، ولكنني أيضًا لم أعد راغبًا في الحياة، لا مع الناس، ولا مع نفسي، ولقد أصبح الأمر واضحًا بالنسبة إلي وقتَها، وبعد كل ما مررتُ به، قلتُ لنفسي: أمامَكَ أحد خيارين، إما أن تستمر على هذا النحو، وربما ينتهي بك الأمر ميتًا أو في مصحة عقلية... أو أن تعثرَ على بعض الإجابات، وقد اخترتُ البحثَ عن الإجابات.

وقد كان نابليون منذ وفاة جدته يمضي على درب الحياة تائهَ العقل في غفلة الثَكل والسُّكْر والغضب؛ حتى جاء موتُ أخيه الوشيكُ لينتزعه من تلك الغفلة، فبعد أن ثابَ إلى رشده، أدرك أن الحياة يجب أن تصبح ذات مغزى أكبر، وإلا فلن يكون هناك ما يمنعه من قتل شخص آخر أو فقدان حياته هو، وكان الآن في حالة طوارئ شخصية، وكان عليه أن يفيق، وكان عليه أن يتغيَّرَ، وكان عليه أن يتعلم كيف يحتفل بالحياة بدلًا من أن يفكر في الموت، وكان عليه أن يتعلم كيف يقدر العيش بدلًا من مجرد توقع الهلاك، ولم يكن يعرف كيف سيحدث ذلك، ولكنه ألزم نفسه على الأقل بمحاولة إيجاد الحلول، وبدأ اليوم التالي بالاعتذار لكامل، قائلًا: إنه أسرف في الشرب، ولم يتخيل يومًا أن الأمور قد تصل إلى هذا الحد.

وعلى الرغم من أن كاملًا كان يُجري خياطةً طبية للجرح العميق في رأسه، فقد كان يعتذر أيضًا، ولم يكن يذكر كيف احتد النقاش من الأساس، فقال كامل: إنه أيًّا كان ما حدث، فإن كلَّ شيء أصبح على ما يُرام في النهاية، ولقد كانا في حالة سُكْر، وهما أهلٌ، وسيظل الحبُّ بينهما.

وعلى الرغم من أن نابليون استمر في الشرب، ولكنه بدأ في الحد من استهلاكه بعدَ الحادثة، وكان ذلك لأنه بدأ يُقَدِّرُ قيمةَ الوعي؛ لأنه بدأ يفكر أكثر، ويثمن عملية التفكير التي كانت واضحةً، وليست

معطلة كما كانت دائمًا: لماذا أنا هنا؟ أعرف ما الموتُ، ولكن ما الحياة؟ هل هذا هو الشعور الذي يُفترض أن يحققه النجاح؟ أهي الشهرة؟ أهو المال؟ أهذا كل ما في الأمر؟ لم تكن لديه الإجابات الآن، ولكن تمامًا كما حدث في رحلته الطويلة إلى لاس فيغاس، كان عليه أن يترك لعقله المساحة الذهنية التي يحتاج إليها لفهم الحياة، وبعد بضعة أيام من جمع شتات أفكار نابليون، كان قادرًا على العودة إلى الأستوديو لمواصلة العمل مع فرقة الأوتلو على الألبوم الجديد (*Novakane*) ووصلَت إليه أنباءٌ أنه خلالَ غيابه القصير كان هناك موسيقيٌّ بريطاني كبير في مجال موسيقا البوب ريزم آند بلوز، بدأ يتردد على أستوديو 56، وقد أحب نابليون دائمًا مقابلة فنانين جدد، ولم يكن يخشى أبدًا من استكشاف فرص التعاون الجديدة، وفي هذا اليوم بالذات، كان الموسيقيُّ في الأستوديو، وفي تتبع لصوت آلات موسيقا البوب في القاعات، شق نابليون طريقه إلى غرفة التسجيل، وعند وصوله، رأى نابليون أن المغني قد توقف لتوه لأخذ قسط من الراحة بين الجلسات، وانتهز الفرصةَ على الفور لتقديم نفسه.

قال نابليون: «كيفَ حالك يا رجل؟ لقد سمعتُ موسيقاك عبرَ القاعة، فموسيقاك رائعة».

فردّ عليه: «مرحبًا، أشكرُك أخي، أنا بخير يا رجل، كيف حالك؟».

قال نابليون وهو يمد يده: «أنا بخيرٍ أيضًا، مرحبًا، أنا نابليون».

قال وهو يصافح نابليون: «تشرفت بلقائك، أخي، أنا سيل». وكان نابليون قد سمع عنه بالتأكيد من قبلُ، وبحلول ذلك الوقت، كان سيل قد فاز بالفعل بجائزة غرامي عن الأغنية المنفردة الناجحة (*Kiss From a Rose*)، التي ظهرت في فيلم (*Batman Forever*)[204]، وأُعجِبَ كلٌّ من نابليون وسيل بالآخر، وتحدثا عن تجارب كلٍّ منهما في الموسيقا والمشاريع الحالية التي كانوا يعملون عليها، ومع اقتراب نهاية المحادثة، أَبْدَيَا إمكانية تسجيل أغنية لسيل مع فرقة الأوتلو، وبحلول عام 2000م، أصبحَت عمليات الدمج بين موسيقا الروك آند رول وموسيقا البوب والراب هي الاتجاه الشائع والمربح في صناعة الموسيقا، وكانت رن دي إم سي وإيروسميث قد بدؤوا المسيرةَ بالفعل في عام 1986م بأغنيتهم المنفردة الناجحة (*Walk This Way*)[205]، وتبعهم لاحقًا مايكل جاكسون، ملك البوب، الذي أظهر هيفي دي في أغنيته المنفردة الناجحة (*Jam*) عام 1992م[206]، وظهر ميثود مان مع مجموعة موسيقا الروك ليمب بيزكيت في أغنية (*N 2 Gether Now*) في عام 1999م، بينما أقامت إنكوبوس، فرقة روك أخرى، عرضًا مسرحيًّا لأغنية (*Still Not a Player*)، بالتعاون مع بيغ بنيشر في عام 2000م، وفي حين كان نابليون وسيل يناقشان تحالفًا موسيقيًّا محتملًا، دخل ميكال إلى غرفة الأستوديو وحياهما.

وقد كان نابليون يسعد دائمًا برؤية ميكال، وتآلف معه بعدَ لقائهما على الفور تقريبًا، ولقد كان رجلًا رقيقَ الكلام، ولكنه حازم، ولم يكن يخشى أن يخبرَ نابليون بما يفكر فيه، في الوقت الذي أصبح فيه الكثير من الناس يترددون في مواجهته خوفًا من رد فعله العنيف، واحترم نابليون أن ميكال جعله

دائمًا يفكر في الأمور، وفي واقعة حدثت قبل أيام قليلة، كانوا ينتظرون في الصف معًا للدخول إلى حفلة ضيوف قناة بي آي تي، وقد أثار غضبَ نابليون أن الحارس جعلهم يقفون في الخارج مدة طويلة، فقال لميكال: إنه يتوعد الحارس؛ لعدم احترامه لوضعه، ولكن ميكال تمكن من إقناعه بأن الحارس لم يفعل ذلك عمدًا؛ بل كان يؤدي عمله فحسب، وأنه لا ذنب له في ذلك؛ ولأن نابليون عاش مع باك، واكتسب ثقافة العصابات، كان يُقدِّرُ تسلسلَ القيادة، ولقد رأى عدم المنطقية في إيذاء شخص كان ينفذُ الأوامرَ فحسب، فهدَّأَ ذلك من غضبه.

ولم يكن ميكال يخشى مواجهة نابليون، ولكنه كان يفعل ذلك دائمًا بطريقة محترمة تخاطب العقل، وكان لدى ميكال طريقة غير تقليدية للوصول إليه، فقد كان دائمًا يتبنى نهجًا تحليليًّا رحيمًا وجاذبًا لذكاء نابليون، عندما يرى انفعالاته، ليُخرج منه أفضلَ ما لديه.

وقد سمح التعامل بهذه الطريقة المحسوبة لميكال بالتحوُّل سريعًا إلى عنصر الهدوء في حياة نابليون المحمومة.

وقد قال ميكال وهو يصافحهما، ويحتضنهما: «مرحبًا، سيل، مرحبًا، مو». فردّ عليه نابليون وسيل التحية، وفي تلك اللحظة، خرج سيل من الغرفة لحظة، وترك ميكال ونابليون وحدَهما.

فقال نابليون: «مرحبًا ميكال! كيف الحال؟ تسرني رؤيتك».

فقال ميكال: «هذا من دواعي سروري دائمًا يا أخي، كيف حالك هذه الأيام؟».

- «أنا بخير، يا أخي، أفضل كثيرًا».

قال ميكال: «يسعدني سماع ذلك، فراحة البال هي كل شيء، يا أخي». نظر نابليون إليه، وأومأ برأسه أن نعم، وتابع ميكال قائلًا: «أتمانع أن أطرح عليك سؤالًا؟ لقد نسيتُ أن أسألكه في أول مرة التقينا فيها».

قال نابليون: «لا مشكلة يا أخي، تفضل...».

- «حسنًا، قلت: إن اسمك مطاع، أليس كذلك؟».

«بلى...».

فسأله ميكال: «حسنًا... أليس هذا اسمَ مسلم؟».

قال نابليون وقد بدا عليه اضطراب ملحوظ: «... بلى... المسلمون قتلوا أبي؛ قتل داود محمد أبي وأمي».

وبعد بضع لحظات من التفكير، وصمت التأمل، قال نابليون: «بالمناسبة، أرى أنك تعرف سيل، وهذا أمر رائع؛ لأننا كنا نتحدث عن التعاون في مشروع، وأنت لديك مهارات إنتاجية أيضًا، فما رأيك؟ هل يمكنك تحقيق ذلك؟».

وضع ميكال يده على ذقنه، ونظر مدة وجيزة إلى السقف، وقال: «نعم، بالتأكيد يا مطاع... لكنني أقول لك منذ البداية: إن التكلفة ستكون كبيرةً بعضَ الشيء، ويمكننا التحدث عن كل ذلك لاحقًا».

وافق سيل وفرقة الأوتلو في النهاية على بدء العمل على أغنية معًا، وطلبوا من ميكال التعامل مع دمج الآلات الموسيقية الحية، وأطلقوا على الأغنية اسم (*History*)، وستظهر في ألبومهم القادم (*Novakane*). وفي حين كان نابليون وفرقة الأوتلو مشغولين بالعمل الجاد داخل الأستوديو، كان ستيف لوبل يعمل بجد في الخارج، مناورًا من خلال علاقاته الشبكية الواسعة لتأمين الفرص للفريق الشاب، وفي وقت قصير نسبيًّا، استطاع أن يُرتِّبَ لفرقة الأوتلو للظهور في بعض الأغاني مع فنانين معروفين، وللحصول على بث إذاعي منتظم على الهواء في محطة لوس أنجلوس بور 1.106، والأهم من ذلك الانطلاق في جولات موسيقية في جميع أنحاء البلاد مع مجموعات مشهورة مثل بون، وثغز -إن- هارموني، وكان ستيف بالفعل رجلًا عند كلمته، وساعد على رفع مكانة فرقة الأوتلو، وأخرجهم من المساحة الهامشية، ووضعهم شيئًا فشيئًا على مسار التيار الرئيس، ولقد آتت جهوده الدؤوبة ثمارَها في 2001م في الاحتفال بالذكرى السنوية العشرين لإم تي في، ولقد كانت دعوة فرقة الأوتلو إلى هذا الحدث التاريخي شاهدةً على الخطوات التي قطعها ستيف في مساعدتهم على أن يصبحوا أكثرَ حضورًا في المشهد الموسيقي.

وبحلول صيف عام 2001م، كانت إم تي في قد وصلَت إلى عامها العشرين، وأراد المنظمون أن يكون الحدث كبيرًا، وكانت الاحتفالية، التي أُقيمَت في نيويورك، وقدمتها ماريا كاري، تسعى لتقديم مجموعة من الأسماء المعروفة في صناعة الموسيقا مثل جينز أديكشن، وتي إل سي، وبوستا رايمز، ونوتي باي نيتشر، وماري جيه بليغ، وميثود مان، ورن - دي إم سي، ونبتونز[207]، وكان أيضًا حدثًا مهمًّا؛ لأن مغنيَي الراب المقتولَيْن توباك شاكور وبيغي سمولز سيُكرَّمان، في عرض للتضامن بين باد بوي وديث رو، وبين الساحل الشرقي والساحل الغربي، وقد مُنِحَ تريتش، من مجموعة الراب نوتي باي نيتشر، شرف تكريم باك، وتولى بافي تكريم بيغي، ولمعرفة تريتش مدى الارتباط الذي كان بين باك وفرسانه الصغار، قدم دعوة إلى ستيف وفرقة الأوتلو للحضور للمشاركة في الحفل، وهي دعوة قُبلَت بسهولة؛ فمن وجهة نظر ستيف، ستكون تعزيزًا كبيرًا لمكانة المجموعة، وبالنسبة إلى فرقة الأوتلو ستكون فرصةً لتضميد الجروح القديمة، وعلى الرغم من أن التوترات بين باد بوي وديث رو كانت لا تزال قائمةً على نارٍ هادئة، فقد فَهِمَ الجميع حجم الحدث ورمزيته، وقد أدرك الجميع أنه يُفترَض لهم أن يكونوا في أفضل سلوكاتهم، وقد أدرك الجميع ذلك باستثناء نابليون.

وفي أحد الأيام خلال البروفات، جاء دور بافي في الأداء، والإشادة بذا نوتوريوس بي. آي. جي.؛ فصعد إلى المنصة، وبدأ في التدرُّب على كلمته، وذلك في الوقت الذي كانت فيه فرقة الأوتلو أيضًا على خشبة المسرح، في انتظار دورهم؛ ولأن نابليون ما زال مخلوقًا مندفعًا إلى حدٍّ كبير، لم يستطع مقاومة الفرصة، ولم يكن قد قابل بافي شخصيًّا حتى ذلك الحين، ولم يكن على هذا القرب منه قط، فإما أن يفعل ما يريد فعله الآن، وإلَّا فلن يفعله أبدًا.

ولم أستطع منع نفسي يا رجل، وأعتقد أن صدري كان لا يزال يحمل الكثير من الغضب لبافي، ولباد بوي ريكوردس، وربما كنتُ لا أزالُ غاضبًا؛ لأن باك قد رحل، من دون شك، كان للكحول علاقة بذلك، وانتفضتُ في أثناء أدائه، وقلْتُ لنفسي: سأنتزعُ الميكروفون منه؛ لذلك انتزعته من يده وهو في أثناء ما كان يفعلُه، وأنا متأكد من أن الجميع قد صُدموا، لكنني لم أهتمَّ، ولن أقبل أن أكون على مسرح واحد مع هذا الرجل دونَ أن أفعل شيئًا، وحاول بافي على الفور استعادته مني، وكنا على وشك الدخول في شجار بالفعل، ولكن الأمن جاء سريعًا، وفضَّ الاشتباك. ومع الأسف، طلبوا منا المغادرة بعد ذلك مباشرةً، والشيءُ المضحك هو أنني اعتقدتُ أني كنتُ أفعلَ الشيء الصحيح... ثمَّ اكتشفتُ أن ما فعلتُه لم يعجب أحدًا، لا نوتي باي نيتشر، ولا ستيف، حتى فرقة الأوتلو لم يعجبهم ذلك(يضحك) لقد كانت دعوةً أخرى بالنسبة إلي للإفاقة.

وفي منتصف البروفات، فعل نابليون ما لا يمكن تصوره، وما كان يُفترض أنه جلسة تدريب تذكارية هادئة، كاد يتحول إلى شجار شامل بين نابليون وبافي، وفي حين كان بافي مندمجًا في أدائه، اندفع نابليون نحوه، وانتزع الميكروفون منه بقوة، وشرع يسير في الاتجاه الآخر، وانتهز الفرصة ليقول بضع كلمات من تلقاء نفسه[208]، وأثارَت هذه الحركةُ غير المتوقعة غضب بافي، وتوجه نحوَ نابليون مباشرةً محاولًا استعادة الميكروفون، فقاوم نابليون، ودفع ذراع بافي بعيدًا، وعندَ هذه النقطة اتخذ كلٌّ منهما وضع الاستعداد للقتال، تمهيدًا لتصعيد الأمور أكثر.

وقد كان الأمن يراقب بالفعل تطور الأحداث، وتدخل على الفور لتهدئة الموقف، وبسبب سلوك نابليون الجامح، طُلب من فرقة الأوتلو مغادرة المبنى، ولم يُسمح لهم بالعودة بعدَها.

وفي بعض الأحيان في الحياة، نتقدم خطوتين للأمام لنجد أنفسنا نتراجع ثلاث خطوات إلى الخلف، ولم تكن الحادثة التي وقعَت في إحياء ذكرى إم تي في خسارةً كاملةً لستيف وفرقة الأوتلو، ولكنها كانت انتكاسة؛ فبسبب الطبيعة المنتشرة للشبكات، سيمر بعض الوقت قبل دعوة فرقة الأوتلو مرة أخرى إلى حدث بهذا الحجم، وعلى الرغم من ذلك، شجعهم ستيف على المضي قُدُمًا، ووعدهم بالعمل الجاد للتأكد من توفير الفُرَص لهم.

وبعد الحادثة أجبر الإحساس بالذنب نابليون على قضاء وقت طويل في التفكير، وفي حدث إم تي في، أراد أن يُبقي الأمر صادقًا، وكان بافي لا يزال عدوًّا لدودًا له، ولكنه أيضًا لم يُرِد أن يُعَرِّضَ مسيرته ولا مسيرة فرقة الأوتلو المهنية للخطر، وكان عليَّ أن أتعلم كيف أهدأ قليلًا، ولم يعجب ما

حدث أحدًا؛ لأن فرصةً قد ضاعت منا الآن، فرصة ضخمة. حسنًا... سيكونُ لدينا فرصة أخرى، على ما أعتقد، وبعد مدة وجيزة من عودة فرقة الأوتلو إلى لوس أنجلوس من رحلتهم إلى مدينة نيويورك، عاد نابليون إلى أستوديو 56، حيث التقى بميكال في ردهة الأستوديو، ولقد مر أسبوع تقريبًا منذ أن التقيا آخر مرة، وبعد أن حيا كلٌّ منهما الآخرَ، وسألا عن الأحوال بإيجاز، قال ميكال: إنه يريد مناقشة مسألة تجارية مهمة معه، وذكّر نابليون أنه الآن مع اكتمال إنتاج الأغنية مع سيل، يحتاجان إلى مناقشة التسوية المالية.

قال ميكال: «يا مطاع، أتمنى أن تكون قد نلتَ قسطًا من الراحة بعد العودة من رحلتك».

قال نابليون: «نعم، أنا بخير يا رجل، ويسعدني دائمًا أن أعود إلى لوس أنجلوس».

فسأله ميكال: «اسمع يا مطاع، هل يمكنني التحدث معك حولَ شيء ما؟ هل لديك بعض الوقت؟».

فقال نابليون: «نعم، لا بأس... ما الأمر؟». اصطحب ميكال نابليون برفق إلى ركن أكثر هدوءًا في الأستوديو.

بدأ ميكال كلامه قائلًا: «لقد كان تعاونًا مثمرًا مع سيل، وقد استمتع حقًّا بالعملية، وآمل أن يكون هناك المزيد من فرص التعاون في المستقبل».

قال نابليون: «نعم، كان هذا رائعًا بالفعل، ولقد سارَت الأمور كما ينبغي؛ لذلك علينا أن ندفعَ الآن، أليس كذلك؟».

- «حسنًا يا مطاع، كنتُ سأفاتحك في هذا الأمر، انظر... لقد أخبرتك منذ البداية أن السعر سيكون كبيرًا جدًّا...».

- «... نعم لا بأس... لقد حصلنا على المال...».

- «إنه لأمر جميل أن يكون لديك المال يا مطاع، وقد تحصل على مال أكثرَ من ذلك بكثير، ومع ذلك، ليسَت كل المعاملات في الحياة تتضمَّنُ المال، وأُريد أن تدفع لي بطريقة مختلفة»، فقال ميكال ذلك وهو يبتسم ابتسامةً ماكرةً.

أدفع بطريقة مختلفة؟! ما الذي يقصده؟ ماذا يعني ذلك؟ فيمَ يفكر هذا الرجل؟ أطرق نابليون قليلًا في انتظار التعرف إلى طريقة الدفع الجديدة هذه.

قال ميكال: «أريدك أن تزورني يا أخي».

قال نابليون: «ماذا تقصد؟»، وقد أغمض عينيه قليلًا، وجعد جبينه. كيف أدفع لشخص عن طريق زيارته؟ هذا لا معنى له، وليست هذه هي الطريقة التي نؤدي بها أعمالنا.

قال ميكال: «حسنًا، أريدك أن تزورني في هذه الجمعة في مسجدي المحلي في سوث سنترال». وكان اليوم هو يوم الإثنين، «لقد وعدتَ أن تدفع لي بعد التعاون، وقد آن الأوان، لقد وعدتني، أرجوك يا أخي، شرفني بزيارتك». وابتسم ميكال، فلا يمكنه أن يكون جادًّا، أليس كذلك؟ حدق نابليون في ميكال برهة، يبدو أنه جاد.

- «أنت تمزح، أليس كذلك؟».

ابتسم ميكال ابتسامة عريضة، وقال: «لا، يا مطاع، أنا لا أمزح على الإطلاق يا أخي، من فضلك تفضل بزيارتي، فهذا كل ما أطلبه، وأرجو أن تتصل بي قبلَ أن تأتيني مباشرةً».

فقال نابليون وهو في حيرة من أمره وهما يتصافحان إقرارًا للاتفاق: «... حسنًا... أنا عند وعدي». وهنا، غادر ميكال الردهة، ونزل إلى إحدى حجرات التسجيل، مهلًا، أليس ميكال مسلمًا؟ لماذا لا يكون واضحًا، ويقول هذا منذ البداية؟ يبدو كأنه رجل طيب، لكن... هناك خطأ ما هنا.

لبضعة أيام صارع نابليون أفكاره فيما يتعلق باتخاذ قراره بزيارة ميكال في المسجد، فلم يكن الأمرُ منطقيًّا على الإطلاق بالنسبة إليه، فكيف لميكال بعد تسجيل أغنية مع فنان حاصل على جائزة غرامي، أن يطلب الدفع على هيئة زيارة فحسب؟ وليسَت أي زيارة، وليسَت زيارةً لمنزل، بل هي زيارةٌ لمسجد، فكلما فكر في الأمر زاد خوفُه. نعم، لقد أصبح ميكال مصدرَ تعقُّلٍ جديرًا بالثقة بالنسبة إليه في مثل هذه المدة القصيرة، ولكن نابليون لم يكن قريبًا منه للدرجة التي تجعله يزوره في مكان مجهول به الكثيرُ من الغرباء، إضافة إلى أن ميكال كان مسلمًا، ولم يصارحه بشأن ذلك قطُّ، وكان هناك شيء مريب للغاية بشأن السيناريو بأكمله؛ ولأن نابليون من إيرفينغتون، لم يكن ليثقَ أبدًا في موقف مريب.

وقد جاء يوم الجمعة، وعلى الرغم من أن نابليون رجل يلتزم بكلمته لم يذهب إلى المسجد كما وعد، وكان كلما رأى ميكال في الأيام القليلة التالية كان نابليون يتجنبه؛ لا لأنه لم يكن يحبه؛ فلقد كان يحبه بصدق، بل كان يحاولُ فقط أن يُحلِّلَ الأمر عقليًّا، فتوصل في النهاية إلى استنتاج مفاده أنه لا يمكن أن يكون هناك سوى نتيجتين محتملتين من هذا: الأولى، إذا كان الأمر بهذه السهولة بأن يُرَتَّبَ الدفعُ عن طريق الذهاب إلى المسجد، فإذا فعل ذلك فسيكون قد وفى بوعده لميكال، وسيكون قد وفر المال لفرقة الأوتلو؛ فعلى الرغم من أنهم كانوا يكسبون المال، كانوا في بداية مسيرتهم المهنية بوصفهم مجموعة منفردة، وكان مدينًا لهم إلى حد كبير بعد كارثة إم تي في، وأما النتيجةُ الأخرى: وهي الأكثرُ هَوَسًا، فهي أنه من المحتمل أن يوقع نفسه في كمين قد نُصِبَ له، وعندما أدرك نابليون أن ميكال مسلم، وأنه كان يدعوه للمسجد؛ لسداد المستحقات بطريقة غير تقليدية للغاية، بدأ على الفور يفكر في سالك؛ والده، فقد أُوقَع بأبيه مسلمٌ بطريقة مشابهةٍ إلى حدٍّ ما، حين دعا سالك مسلمًا إلى منزله، شخصًا يثق به، وكان صديقه المقرب، ثم قُتل، فإن استطاعوا فعل ذلك بوالده في بيته، فماذا

يمكن أن يحدث له من مسلم يعرفه بالكاد في مكان غير مألوف؟ لن يسمح بالوقوع في الفخ المميت نفسه.

وفي حين استمر في محاولة التوفيق بين الوفاء بوعده وإلقاء نفسه على طريق الأذى، كان عليه المزيد من التعقُّل، ولقد كان هذا قرارًا أكثرَ أهميةً مما كان يعتقد في البداية، ومع تأني نابليون في التفكير، لم يستطع إلَّا أن يعترف بأنه حتى ذلك الحين لم يبدُ من ميكال أيُّ سلوك مشكوك فيه، وبالتأكيد سمع ميكال كلَّ شيء عن مدى العنف الذي يمكن أن يكون عليه نابليون؛ لذلك كان على يقين من أن ميكال لن يرتكب تلك الحماقة، والأمرُ الآخر الذي توصل إليه هو أنه صحيحٌ أن ميكال لم يُصرِّح بأنه مسلم عندما قابله أول مرة، ولكن مرة أخرى، لم يسأله نابليون ذلك قطُّ، ولم يكن الأمرُ كما لو أن ميكال أخفى ذلك عن قصد؛ بل ببساطة لم يخبره بشيء لم يُسأَل عنه بالأساس، وبعدَ أسبوعَيْن من ذلك الصراع العقلي، اتخذ نابليون قراره أخيرًا؛ بأنه سيذهبُ إلى المسجد، ولكنه سيصطحب 20 من أقرب أصدقائه معه، وسيكون معظمهم مسلحين.

وذات يوم التقى نابليون بميكال في الأستوديو مرة أخرى، ولكنه لم يتجنبه هذه المرة، فبعد أن حيا كلٌّ منهما الآخر، ذكَّر ميكال نابليون بأنه لا يزال ينتظر منه الدفعَ، وأنه عرَف أن نابليون رجل يفي بوعده، فابتسم نابليون، واعتذر عن عدم تمكنه من زيارته، ووعد ميكال بأنه سيأتي لزيارة المسجد يوم الجمعة القادم، فقال ميكال: إنه سعيد لأنه سيزوره أخيرًا، وطلب من نابليون الاتصال به ما إن يصل أمام المسجد، فافترقا، وقضى نابليون الأيامَ القليلة التالية يستعد لما سيكون أهمَّ لحظة في حياته المضطربة.

وجاء يوم الجمعة التالي، وقد أمضى نابليون ذلك الصباح في الاتصال بأصدقائه؛ ليتأكد من أنهم سيأتون معه بالفعل، وقد أكدوا جميعًا مجيئهم، وكانت الخطة هي أنهم سيجتمعون في بلاتنيوم كوتز، وهو صالون حلاقة شهير في أستوديو سيتي، بلوس أنجلوس، ثم ينتقلون إلى المسجد من هناك، وبحلول ذلك الوقت، أصبح بلاتنيوم كوتز[209] نقطة جذب للمشاهير؛ بسبب النمو المطرد لشهرة فرقة الأوتلو، وكذلك خدمة العناية بالشعر عالية الجودة التي كان الصالون يقدمها، ووكان دوك بول - الذي كان أحد الحلاقين البارزين في الصالون، والذي ساعد أيضًا على قيام شركة أوتلو ريكوردس - أحدَ الأصدقاء البارزين، وكان ضمن فريق الحماية، ومع اجتماع الجميع الآن في صالون الحلاقة، شق نابليون ورفاقه طريقهم إلى سوث سنترال.

وفي الطريق، اتصل نابليون بميكال، وأبلغه أنه في طريقه، فسُرّ ميكال بسماع ذلك، وقال: إنه سيكون في انتظاره خارجَ المسجد، وبعد أن أنهى نابليون الاتصال، وضع الهاتف في جيبه، ثم مد يده لأسفل؛ ليتحسس محيط خصره حولَ وَرِكه، فيجب أن أكون متأهبًا لأي شيء قد يحدث، وكان لديه مسدس ماغنوم 357 مدسوسًا خلف حزامه؛ إذ لم يكن لديه أي فكرة عما يمكن توقعه، ولكنه على الأقل سيكونُ مستعدًّا.

وعندما وصل نابليون، رأى ميكال يقف في الخارج، منفرج الأسارير، وكان ميكال دائم التبسم، ولكن هذه المرة كانت ابتسامته أوسع وأكثر إشراقًا من كل مرة، فأوقف نابليون ورفاقه سياراتهم على مسافة قريبة من باب المسجد، وأطفأ نابليون محرك سيارته، ونزل، ووقف بجانبها، وتبعه أصدقاؤه، فنزلوا من سياراتهم، وتجمعوا في المنطقة التي كان يقف فيها نابليون، وبدأ نابليون، وجيشه خلفه، يتحركون في الشارع في اتجاه ميكال.

فقال ميكال: «مرحبًا يا مطاع! كيف حالك؟ تسرني رؤيتك دائمًا!».

قال نابليون وهو يصافح ميكال ويعتنقه: «مرحبًا، كل شيء على ما يُرام يا رجل! تسرني رؤيتك أيضًا».

قال ميكال، وهو يبتسم: «أرى أنك أحضرتَ بعض الأصدقاء!».

قال نابليون، وهو ينظر إلى رفاقه ضاحكًا: «نعم، لم أحضر إلَّا عددًا قليلًا».

«حسنًا... تفضل يا أخي». حسنًا، سيبدأ الأمر، وأنا مستعد لأي شيء الآنَ.

وفي تلك اللحظة، سار ميكال مع نابليون ورفاقه إلى مدخل المسجد، حيث كان بعض الرجال المسلمين يتحدثون.

وبجانب الباب كان يقف مجموعة من الرجال في منتصف العمر، وقد حيَّوْه قائلين: «السلام عليكم يا مطاع!»، وكانت ابتساماتهم واسعة، وجذابة، ومشرقة، وقد صافح كلٌّ واحدٍ منهم نابليون ورفاقه مصافحة حارة، وهم يدخلون عبر الباب، فقال ميكال مشيرًا إليهم باتباعه: «مرحبًا أيها الإخوة! تفضلوا، تفضلوا!». وعندما دخل نابليون المسجد، فوجئ على الفور برائحة البخور المُشعَل حديثًا الذي كان يُعطِّرُ الهواء، فالرائحة جميلة جدًّا هنا، وكانت الجدران تزدان بلوحات الخط العربي المذهب، وكان هناك مئات من المصاحف المرصوصة بدقة في أماكن متعددة في جميع أنحاء المسجد، وفي حين كان يتطلع إلى الأمام ليرى من كان بالداخل، استقبله مسلم آخر مبتسمًا، وحياه بالتحية الإسلامية المعروفة: السلام عليكم، فردّ نابليون التحية بابتسامة هادئة، وقد أرشده ذلك الرجل بلطف لنزع حذائه، كما جرت العادة عند المسلمين في مساجدهم، وعندما جلس لينزع حذاءه سمع من يقول: «السلام عليكم يا مطاع! كيف الحال يا أخي؟! تسرني رؤيتك هنا، مرحبًا بك!»، وكان المتحدث أخًا جلس أمامه، وكان ينزع حذاءه أيضًا، وقد ارتسمَت على شفتيه ابتسامةٌ عريضةٌ وهو يتحدث إلى نابليون، وبعد أن وقف الرجل، حرص على مصافحة نابليون بحرارة، فما لهؤلاء الناس لا تفارق الابتسامة وجوههم؟! إنه لأمر رائع، ولكن ما الذي يُسعدهم إلى هذا الحد؟ جميعهم بلا استثناء؟ يا للعجب! فنظر نابليون إلى الرجل، وابتسم، وصافحه، وأخيرًا خلع حذاءه، ووضعه على الرف المخصص، ثم رافق ميكال نابليون، ووجهه إلى مكان في المسجد يمكن أن يجلسوا فيه لحظات، وكان في المسجد دندنة لا تخطئها أذن السامع، وفي أثناء تجوالهم، ما من أحدٍ مروا به إلا

حيا نابليون، وتبسم، وصافحه، ونظر نابليون حولَه، ورأى أن رفاقه يتلقون المعاملةَ نفسها، وأن المسلمين كانوا يفعلون الشيءَ نفسَه فيما بينهم. إذن أنا لا أمثِّلُ مصدرَ إزعاج، فليس هذا يحدثُ معي وحدي، ووصل أخيرًا إلى المنطقة التي اقتاده ميكال إليها، وجلس على كرسي، وبينما كان نابليون جالسًا، إذ اقترب منه أخ آخر، وبعد أن حياه، عرض عليه شيئًا ليشربَه، فرفضَ نابليون بأدب، وجلس فقط للتفكير فيما كان يجري واستيعابه، وقبلَ أن يأتي لم يكن متأكدًا مما كان يُتوقَّع حدوثه، ولكن لا شك أنه لم يتوقع أن يُقابَلَ بهذا السيل من الابتسامات المشرقة والمصافحات الحارة: يا إلهي، إن هذا خيالي.

وفي حين كان جالسًا لاحظ أن بعض الناس كانوا يقرؤون، وكان بعضهم الآخر واقفين، وكان بعضهم الآخر ينحنون، وآخرون يضعون وجوههم على الأرض، فماذا يفعلون؟ هل هذا نوع من التمارين؟ كان ميكال يراقب نابليون وكأنه سمع أفكاره، فقال: «هذه هي الصلاة يا أخي»، فنظر نابليون إلى ميكال، ثم أعاد بصره إلى المصلين، وأومأ برأسه أن نعم، فهذا هو ما يفعلونه. حسنًا.

وبدا كل شيء شديدَ التنظيم، وبدا أن الجميع يمرون بالحركات الانسيابية نفسها: الوقوف، والانحناء، ووضع وجوههم على الأرض، والوقوف مرة أخرى، فقد كان هناك تنظيم سريالي؛ لذلك كان آسرًا، ثم سمع صوتًا لطيفًا ينطلق من نظام مكبرات الصوت بالمسجد:

الله أكبر، الله أكبر.

الله أكبر، الله أكبر.

وكان الصوت منغمًا على نحو واضح، بإيقاع لا يشبه أي شيء سمعه من قبلُ، وبعد كل سنواته التي قضاها في صناعة الموسيقا، فوجئ بسماع شيء شديد التأثير دونَ مرافقة الآلات، وظل صامتًا، ودخل في تفكير عميق، فراقبه ميكال مرة أخرى، وكان نابليون يركز ويضبط أذنه على الصوت الذي كان يتنقل الآن في جميع أنحاء المسجد، فقال ميكال: «هذا هو الأذانُ يا مطاع».

أشهد أن لا إله إلا الله.

أشهد أن لا إله إلا الله.

أشهد أن محمدًا رسول الله.

أشهد أن محمدًا رسول الله.

يبدو أن هذا الكلام باللغة العربية، وأنا لا أفهم أي شيء مما يُقال، فيجب أن أسأل ميكال عن ذلك لاحقًا؟ وعلى الرغم من ذلك يبدو جميلًا، فاستمر الأذان نحو ثلاث دقائق، ونابليون وميكال جالسان يستمعان، وبعد أن انتهى الأذان، كان يمكن لنابليون أن يرى الناس يهمسون بأشياء في أنفسهم،

وبعضهم يشيرون بأصابعهم السبابة، وكان كل شيء غريبًا بالنسبة إليه، ولكن على نحوٍ مُحبَّب، وقد كان الأمر مثيرًا للفضول بشكل لا يُصدَّق، وبعد أن مضى القليل من الوقت، رأى رجلًا يتوجه إلى الميكروفون في مقدمة المسجد، وما إن بدأ هذا الرجل يمشي، حتى قام أشخاص كانوا جالسين على الفور، وهو ما فعله ميكال أيضًا، وقف وقال: «هيا يا أخي، لنصلِّ». الآن، وقف المصلون في صفوف متناسقة يستعدون للصلاة.

تساءل نابليون في حيرة من أمره: «ماذا تقصد بقولك «لنُصلِّ» يا أخي؟ لا أعرف ماذا أفعل، كيف أتوجه إلى الله بالصلاة؟ لقد ارتكبتُ الكثيرَ من الخطايا، كيف سيقبلني الله؟!».

فقال ميكال بابتسامة لطيفة: «لا تقلق يا مطاع، فقط تابِع الحركات، وافعل ما نفعلُه، وادعُ الله بكل ما تريد، وسلْه ما تشاء».

وقف نابليون في الصف الأول بجانب ميكال، وكان الإمامُ يقفُ أمامهم مباشرةً... قال ميكال وهو يُشيرُ صوبَ الإمام: «هذا هو الإمامُ، ما عليك إلا اتباعه، وسأعرفك عليه لاحقًا إن شاء الله».

على يمين نابليون ويساره كان يقف المصلون الذين ينظرون أمامَهم في الغالب، وقد أسدلوا أيديَهم جانبًا، وأسدلَ نابليون يديه على جانبيه، ونظر إلى الأمام مباشرةً، فقال الإمام: «الله أكبر» بصوت توجيهي عالٍ، وحين قال الإمام ذلك، رفع يديه حذوَ أذنيه، ووضع إحدى يديه على الأخرى على صدره، وعند سماع: «الله أكبر» تبع المصلون حركات الإمام.

فنظر نابليون يمنةً ويسرةً لحظات، ورأى أن أذرع الجميع موضوعة على صدورهم؛ ففعل الشيءَ نفسه، وكانوا يناجون الله، ويهمسون في أنفسهم في صمت بأشياء لا يسمعها، وبينما كان يحاول أن يجد ما يُمكنُهُ أن يناجيَ الله به، إذ سمع الإمام يقول: «الله أكبر» مرة أخرى، وفي تلك اللحظة، ركع جميع المصلين في انسجام تام، وكان نابليون هو الوحيد الذي ظلَّ واقفًا، ولكن عندما رأى الجميع ينحنون باستثنائه، انحنى سريعًا أيضًا، وكنتُ آمل ألَّا يسقطَ مسدسي يا رجل! فلم أتوقع أن أؤدي كل هذه الحركات، ولا أريد أبدًا أن ينزلق مني مسدسي عن طريق الخطأ.

وقد كانوا يثبتون على تلك الوضعية مدة خمس ثوانٍ حتى يسمعوا: «الله أكبر» مرةً أخرى، وفي هذه اللحظة وقف الجميع مباشرةً من وضع الانحناء، فتبعهم نابليون، وهذا هو التواضع الحقيقي يا رجل! لم أنحنِ قطُّ لأحدٍ في حياتي، والآن بعد أن وقف الجميع، قال الإمام: «الله أكبر» وسجد على الأرض، وألصق وجهَه بالأرض مباشرةً، ووضع راحتي يديه على بعد ست بوصات يمينَ وجهه ويسارَه، ففعل جميع المصلين الشيء نفسَه، ونظر نابليون يمينه ويساره بل خلفَه أيضًا، فوجد الجميعَ في هذا الوضع، ساجدين، وقد جعلوا وجوههم على الأرض، ولم يخشَوْا من أن ينالَهم أحدٌ بسوء، يا رجل؟! لقد كانوا عُزَّلًا تمامًا، ولما شعر بشذوذه عن الجميع؛ لأنه كان الواقفَ الوحيدَ، سجد هو أيضًا.

ولم يكن لدى نابليون أي فكرة عما يمكن توقعه وهو يهوي ليضع وجهه على الأرض، ولم يتخيل قطّ في حياته أن يجد نفسه في مثل هذا الوضع الضعيف، ولكن ها هو ذا فيه! فحتى تلك النقطة، كانت التجربة برمتها في المسجد إيجابيةً للغاية، ولكن هذه اللحظة بالذات كانت مميزة على نحو واضح، وسترسم ملامح بقية حياته، ووضع نابليون يديه على الأرض أولًا، ثم أتبع ذلك بوضع ركبتيه على الأرض، وبعد ذلك خفض نابليون رأسه بحذر شديد حتى وصل وجهه إلى الأرض، وشدَّت قوةُ الجاذبية وجهَه ليستقرَّ على السجادة الناعمة المُعَطَّرة، وأصبحَ وجهُه الآنَ ملتصقًا بقوة في الأرض، مغمضَ العينَيْن، وكلُّ ما كان يراه هو الظلام، وكان هذا الشعور في تلك اللحظة شيئًا يفوقُ الوصف، وفي تلك الثانية، توقَّف العالَم لما بدا كأنه الأبدية، ليغرِقَ في سيلٍ من الصفاء، وكان الأمرُ كما لو أن ألمَ كل فكر جال يومًا بخاطره، وماء كل دمعة ذرفها، وحزن كل ذكرى تذكرها، قد تبدد وترسب إلى السجادة، ليُخفِّفَ عنه ذلك الحمل الثقيل الذي حمله على عاتقَيْه مدة 23 عامًا، وظلَّ ثابتًا على هذا الوضع، فقد كان الشعورُ مهيبًا، وحاول أن يقارنَه بأي لحظة من لحظات الفرح المتناثرة طوالَ حياته، ولكنه لم يستطِع، فقد كان شعورًا منقطعَ النظير.

يا رجل، إني لأعجز عن وصف ذلك اليوم الذي زرتُ فيه المسجد، ولقد رأيتُ هناك الكثير من الحب، يا أخي، ولقد نشأنا في الشوارع، وفي الحي، وكنتُ أتسكَّعُ مع رجال العصابات، وأعرف القَتَلة، وكلُّ ما في عالمي هو العنف، فقد أكلتُ، ونمتُ، وتنفستُ، وعشتُ، وربما كنتُ سأموتُ في العنف، وكنتُ أتوقعُ العنفَ دائمًا، ثم أصبحتُ أُحرض على العنف وأستثيره، والآن أجدُ نفسي فجأةً في بيئةٍ آخرُ ما قد يخطرُ ببال أيِّ شخص فيها هو العنف، فقد كانت الأجواءُ خياليةً، ولقد أَسَرَني كلُّ هذا الحب الذي تلقيتُه من أشخاص غُرَباء تمامًا، ولم يكُن حبًّا مزيفًا أيضًا، فأنا لديَّ حساسيةٌ من التزييف، ولم يكُن في هذا الحب شيءٌ مُزَيَّف؛ بل كان حبًّا صادقًا، وقربَ الختام، جاءَت اللحظةُ التي أَسَرتني حقًّا، وهي لحظة الصلاة مع ميكال في المسجد، ولقد شعرتُ بعد وضع وجهي على الأرض براحة لم أتوقعها قطُّ، ولم أعلم بوجودها؛ فكأن الله أزال عن كاهلي عالمًا من الحزن والألَم، وكل ما كان عليَّ فعله هو الخضوع له.

وخلال الدقائق السبع التي انخرط فيها نابليون في الصلاة، كانت الحياة منطقيةً لأول مرة يمكنه تذكُّرُها، ولم يكن عليه أن يبحثَ عن الكلمات الصحيحة حتى يستطيعَ التواصل مع الله، فاللهُ يسمعُ مناجاته في الصلاة، ولقد أخطأ كثيرًا في حياته، وارتكب أخطاء فادحة، ولكن حين رفضه الآخرون، تقبله الله، وما زالَ لديه كثير من الأسئلة المهمة عن الحياة، ولكنه كان على يقين من أنه سيكون قادرًا على العثور على إجابات لكثير منها في طمأنينة الصلاة، ومع انتهاء الصلاة، واصل نابليون مراقبة ما يشعرُ به عن كَثَب، فقد لاحظ مشاعرَ تجيشُ في نفسه لم يسبق له أن شعر بها من قبلُ: رهبةً، وتواضعًا، وسلامًا.

السلامُ عليكم ورحمة الله.

السلام عليكم ورحمة الله.

في حين كان المصلون ونابليون جالسين في نهاية الصلاة، نطق الإمامُ بهذه الكلمات وهو يدير رأسه يمينًا بالسلام الأول، ثم يسارًا بالسلام الثاني، في إعلان رسمي لانتهاء الصلاة، وبعدَ تفرُّق المصلين، ظلَّ نابليون في وضع الجلوس مدة دقيقة يُفكِّر، فقد حدث شيءٌ مقنعٌ للغاية للتو، ولكنه لم يتمكن بعدُ من وضع يده عليه، وما لم يدركه هو أن هذه الرحلة إلى المسجد، التي اعتقد أنها قد تكون كمينًا مُعدًّا له، ستُشكِّلُ نقطةَ تحوُّل محورية في تحوُّله الروحي.

وبعدَ انتهاء الصلاة، أخبرَ نابليون ميكال عن مدى الأثر الذي تركَته تجربةُ الصلاة في نفسه، فابتسم ميكال، وأومأ برأسه، وكأنه يقولُ: إنه قد توقع بالفعل أن هذا سيكون رد فعل نابليون، ولقد أحسَّ بألم نابليون منذ زمن طويل، ورأى الحزنَ في عينيه، وسمع اليأسَ في صوته، ولقد تعاطف حقًّا معه؛ لذا فإنه لم يُرِد منه حقًّا أن يدفعَ المستحقات، بل إنه لم يرِد أن يزوره؛ كلُّ ما أراده فعلًا هو أن يعيد نابليون إلى أصوله الإسلامية، وعرف ميكال أن علاج آلام نابليون قد تكمن في عودته إلى التقليد الذي ورثه، والذي نسيه منذ مدة طويلة؛ وإذا لم يستطع نابليون أن يجد الراحة هناك، فسيظل مضطربَ الروح.

ومع استعداد نابليون الآن للمغادرة، حصل على نسخة من الترجمة الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم، وشكر جميعَ الإخوة في المسجد وهو يشق طريقه للخروج، وكان مما أثار دهشته أن المعاملة التي تلقاها عند دخوله المسجد كانت هي نفسها المعاملة التي تلقاها عندما كان متوجهًا للخروج منه: ابتسامات، ومصافحات يا رجل، فهؤلاء الناس لا يتعبون من كثرة الابتسام؟ بعدَ أن غادر المسجد، سرعانَ ما عاد لينضم لمجموعة رفاقه، فلم يصدقوا أن في لوس أنجلوس أناسًا يتصرفون على هذا النحو، وتحدث بعضُهم إلى بعض للتحقق من أن ما شاهدوه للتو قد حدث بالفعل، وأن هؤلاء الغرباء قد أظهروا لهم الحبَّ والسلامَ بضع ساعات، وقد أجمعوا كلُّهم على أن الأمر كان غريبًا، ولكنه كان صادقًا بلا شك، وشكر نابليون الجميع على مساندته، وقال: إنه سيراهم في الجوار، وركب سيارته، وعندما جلس، وأدار المحرك، نظر عبر نافذة الزجاج الأمامي، وأخذ يسترجعُ الساعات القليلة الماضية، وفي أثناء ذلك، لاحظ شيئًا فجأةً، لقد لاحظ أن عضلات خدَّيْه كانت تؤلمه قليلًا؛ وأدرك أن ذلك ناتج عن كثرة الابتسام.

وبعدَ ذلك اليوم في المسجد، بدا الأمرُ كأن هناك الكثيرَ في الحياة أكثر مما كنتُ أعتقد، وكنتُ لا أزال أبحث عن الكثير من الإجابات، ولكن الطريقة التي تعامل بها ميكال معي وتجربتي في المسجد... جعلتني أقولُ لنفسي: حسنًا، ربما كان لدى الإسلام بعض الإجابات التي أبحث عنها، فما الذي سأخسره؟ لقد جرَّبتُ كلَّ شيء تقريبًا؛ لذلك قلتُ: لِمَ لا؟ كان هناك شيء في الإسلام وفي الطريقة التي عاملني بها المسلمون في ذلك اليوم يدفعني إلى الرغبة في معرفة المزيد، وبدأتُ في قراءة القرآن الكريم في تلك الليلة، ولقد سمعتُ الكثير عنه، وعرفتُ أنه كتابُ المسلمين، ولكنني لم

أهتمَّ به قطّ، وفي هذا الوقت أيضًا، بدأتُ في العودة إلى جذوري... وعرفتُ المزيدَ عن أمي وأبي؛ إذ كانا مسلمَيْن، وكان ثمةَ شيءٌ ما يحيك في صدري دائمًا تجاهَ المسلمين، على الرغم من أن والديَّ كانا مسلمَيْن، ولكني ربطتُ تلقائيًّا بين المسلمين وبين قتل والدِيَّ؛ لذا فإن عقليةَ الشارع وغرائزي جعلتهم أعداءً لي، ولكن الآن بعد أن تجاوزتُ ذلك نوعًا ما، أردتُ أن أعرف لماذا يقتلُ المسلمُ مسلمًا آخر، ومن الطريف أن جميعَ هذه الأسئلة جعلتْنا نريدُ مرةً أخرى مشاهدةَ فيلم مالكوم إكس بطولة دنزل.

وفي أثناء هذا البحث عن إجابات حولَ أمي وأبي، أردتُ أيضًا معرفةَ المزيد عن تراثي البورتوريكي، فحتى ذلك الوقت، كنتُ قد قضيتُ بعضَ الوقت هنا وهناك مع جدَّيَّ والدَيْ أمي، ولقد عاشا في الجزء الشمالي من نيوآرك، ولكنني أردتُ بالفعل أن أُجري رحلةً إلى بورتوريكو، وكان هذا الجزءُ من حياتي نوعًا ما مُشتَّتًا بين أماكن عدة؛ لأنني كنتُ أسعى بقوة للحصول على الكثير من الإجابات، وكنتُ أذهبُ إلى كل مكان، ولم أكن أبحثُ عن شيءٍ بعينه... لكنني بالتأكيد كنتُ أبحثُ عن شيءٍ ما.

وفي تلك الليلة عندما عاد نابليون إلى منزله، وحرص على أن يخلوَ بنفسه في هدوء بعض الوقت رتب لنفسه الجلوس على كرسي مريح في حجرة المكتب بمنزله، ليبدأ في قراءة معاني الكتاب الذي وَهَب مليارُ شخص حياتَهم له، وقبل أن يجلس لقراءة معاني القرآن تذكر أن يغسل يديه، وقبل أن يغادر المسجد قيل له وهو يُعطَى الترجمة الإنجليزية لمعاني القرآن، أن يحرص على نظافة يديه في كل مرة يلمسها؛ فالقرآن الكريم هو على الحقيقة كلامُ الله، الذي لم تمتد إليه يد التحريف، وحتى يؤكدوا ما قالوه، قالوا: إن الآيات التي أُنزلت على النبي محمد ﷺ قبلَ 1400 عام هي الآياتُ نفسها الموجودة ترجمةُ معانيها في الكتاب الذي سيأخذه إلى المنزل الآنَ في عام 2001م، ومن السنة النبوية أن تُمارَس أعمال عبادة الله على طهارة، فحين يصلون يجبُ أن يكونوا على طهارة، وحين يقرؤون القرآن أيضًا يجبُ أن يكونوا على طهارة؛ فالإسلام دين طهارة للروح والجسد.

فغسل يديه، وجلس على الكرسي الجلدي المريح، وبدأ في القراءة، وعندما بدأ يقرأ الآيات القليلة الأولى، انبهر على الفور بالطبيعة السمعية للنص:

﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)**﴾ [الفاتحة: 1-5].

ولقد أدهشَتْه تلك النبرة المهيبة لبداية القرآن الكريم، فلم تكن كأي شيء قرأه من قبلُ، لا من حيث الأسلوب، ولا من حيث الصوت.

وعندما فتحتُ الكتاب لأول مرة، وقرأتُ الصفحاتِ القليلة الأولى، بدا لي أنه شيءٌ جليلٌ، فشعرتُ أنه يتحدَّثُ على مستوى مختلف تمامًا، ولا يمكن لأي أحد كائنًا من كان أن يقول: إنه رب العالمين،

ولا يستطيع أحدٌ أن يقولَ: إن الحكم له وحدَه، وكنتُ أسمعُهم طوالَ الوقت يقولون: «لا يحكمُ عليَّ إلا الله»، والآن ها أنا ذا أقرأ ذلك من كلام الله نفسه، فشعرْتُ وكأنه كان يتحدثُ معي مباشرةً، ويأمرني أن أعبده وحدَه دون وسيط، وأن أستعين به وحدَه؛ لأنه لا أحد يستطيعُ مساعدتي سواه، وقد شعرتُ بذلك بالفعل؛ لقد بحثتُ عن العون في كل مكان؛ ولجأتُ لأصدقائي، وللمال، وللشرب... ولم يستطعْ أحدٌ ولا شيءٌ مساعدتي على - ما كنتُ أعانيه. ولقد أثار اهتمامي حقًّا كذلك من حيثُ النَّظْم، وكان لباك طريقته في صياغة الكلمات، وكان لديه عبقرية غنائية شاهدتُها بأم عيني، ومع ذلك لم أجد أيَّ شيءٍ يداني لغةَ القرآن وأسلوبه، ولم أستطِع التوقفَ عن القراءة يا رجل.

كان نابليون يقضي وقته منغمسًا في قراءته، وكلما قرأ أكثر، زادَت رغبتُه في القراءة، وكان من المفاجئ أنه لاحظ أنه كان يعرفُ الكثيرَ من الأسماء التي كان يُصادفُها في الكتاب: إبراهيم، وإسحاق، وإسماعيل، ويعقوب، ولوط، وسليمان، وداود، وأيوب، وموسى، وهارون، بل عيسى ووالدته مريم، فهذه كلها أسماء اعتادت الجدةُ ماري على ذكرها كلما عادت من الكنيسة، وتحدثت عن الكتاب المقدس، وفي القرآن الكريم كانوا جميعًا عبادًا لله، وكانت رسالتهم الأساسية هي الدعوة إلى عبادة الله وحدَه لا شريك له، وفعل الأعمال الصالحة، ومع استمرار انهماكه في القراءة، بدأ أيضًا في مشاهدة فيلم مالكوم إكس، فقد كان الفيلم - الذي صَدَر في عام 1992م، من إخراج سبايك لي وبطولة دنزل واشنطن - ضمن قائمة بوكس أوفيس، وحصد عددًا كبيرًا من الجوائز[210]، وقد استند الفيلم إلى كتاب السيرة الذاتية لمالكوم إكس من تأليف مالكوم إكس وأليكس هيلي، ويحكي الفيلم تفاصيل حياة أحد الشخصيات الأكثر مركزيةً وتاريخيةً في أمريكا السوداء؛ ذلك الناشط البارز الذي حارب من أجل حقوق جميع الأمريكيين السود في وقت كانت فيه العنصرية والتمييز متفشيَيْن، وحتى يومنا هذا، ظلَّت معارضةُ مالكوم التي لا تتزعزع للقمع نبراسًا لجميع نُشَطاء المستقبل المستعدين للتضحية في سبيل العدالة والمساواة، أولئك النشطاء الذين لا يوقفهم أيُّ شيء، حتى لو كان ذلك يعني خسارة كل شيء.

وقد أرَّخَت السيرةُ الذاتية أيضًا رحلة مالكوم إكس الروحية إلى الإسلام، الذي كان ديانةً غريبةً لا يعرفُ كثيرٌ من الناس الكثيرَ عنها في ذلك الوقت، وكذلك وثَّقَت انضمامَه إلى منظمة (أمة الإسلام)، ومغادرته المنظمة لاحقًا بعد سفره إلى المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج في مكة المكرمة[211]، وأثار الفيلمُ ضجةً كبيرةً، وتذكر نابليون أن باك كان يتحدث كثيرًا عن مالكوم إكس، ولا سيما عندما ناقش مكانة مالكوم وأهميته بالنسبة إلى حزب الفهد السود، ولقد شاهد الفيلمَ من قبلُ، ولكنه لم يُعِره الكثيرَ من الاهتمام؛ لأنه كان يبلغ من العمر 15 عامًا فقط وقتَ إصداره، وفي هذه اللحظة، ومع ذلك، بعد أن بلغ 23 عامًا، أصبح الفيلم فجأةً غاية في الأهمية، ولقد كان ضروريًّا لفهم كيف أصبح مالكوم روحانيًّا، وكيف تنقل في الحياة في أمريكا بوصفه مسلمًا أسود، وكان ضروريًّا كذلك لمعرفة التحوُّل الذي حدثَ له بعدَ أن أدَّى فريضةَ الحج، والآن مع الكثير من المعلومات

التاريخية التي يحاول أن يستوعبها، والممارسات الدينية الجديدة التي يسعى لفهمها، سيقضي نابليون الأسابيع القليلة القادمة في محاولة إشباع نَهَمِه العقلي والروحي.

وفي الوقت الذي كان نابليون يستعد فيه للحظة اليقظة الشخصية، كان العمل يجري كالمعتاد لستيف وفرقة الأوتلو، وكانوا يستعدون لإصدار ألبومهم الثاني (*Novakane*) وبحلول هذا الوقت، استطاع ستيف أن يُبرِمَ صفقةً مع كوك إنترتينمينت ليتولوا التوزيع بدلًا من بايساید إنترتينمينت، وأُنجزَت أعمالُ التسجيل، وأُصدر الألبوم أخيرًا في 23 أكتوبر 2001م[212]، وعلى الرغم من أنه لم يكن أفضلَ بكثير من ألبومهم الأول، فقد حَظِيَ الألبوم بشرف اختيار إحدى أغانيه، (*Rize*)، لألبوم الموسيقا التصويرية لفيلم Day*Training* (يوم التدريب)[213]، وهو فيلم حائز على جائزة، من بطولة دنزل واشنطن (وقد ظهر كِلِي (بون) سلون في الفيلم أيضًا). وتطلُّعًا إلى ما هو قادم، كان ستيف الآن في طور جدولة جولات في جميع أنحاء البلاد، إضافة إلى محاولة توسيع قاعدتهم دوليًّا، وعندما عاد نابليون إلى الأستوديو، وعاد إلى التسكع مع فرقة الأوتلو، كان -من نواحٍ عدة- لا يزال على حاله إلى حدٍّ كبير، واستمر في الإسراف في الشرب، وإن لم يكن بالقدر نفسه كالسابق، وفي هذه المرحلة من انخراطه في عملية التحوُّل الداخلي، لم يكن يتناولُ الكحول لتخدير الألم، بل كان أسيرًا للعادة، فبعدَ أن عوَّدَ نفسَه أن يشرب كلَّ يوم طيلةَ السنوات الخمس الماضية، كان من المستحيل عليه ألَّا يشرب، ومن المؤكد أن نابليون لن يتغير بين عشية وضحاها، ولكن مع استمرار نمو اهتمامه بالإسلام، بدأ يختمر بداخله صراعٌ؛ فقد كان عليه أن يُوفِّقَ بين تناقضات حياته بوصفه مغني راب وبين حياة المسلم.

الفصل السادس عشر
أنا الآن مسلم، ولا مزيد من لعبة الراب

«وجدني السلامُ»

مطاع بيل

الآن في هذه المرحلة من حياتي، لم أكن في حيرةٍ من أمري؛ لأني لم أكن على القدر نفسه من الارتباك، حين كنتُ أحاول معرفة من أريدُ أن أكون حقًّا، إذا كان لذلك أي معنى، وكنتُ ما أزال أشرب، وأتعاطى المخدرات، ولكنني لاحظتُ أن اهتمامي بالإسلام بدأ يتزايد، وبدأ أسلوب تفكيري يتغير، وبدأتُ أصبح أكثرَ رحمةً وعطفًا، وعندما يتعلق الأمر بفعل شيءٍ ما، فلستُ من النوع الذي يفعل الأشياء على نحو جزئي، بل إذا هممْتُ بأمرٍ أمضيتُه إلى آخره، ولن أخشى أبدًا من أن أكون على هذا النحو، وأتذكر أنني رأيتُ مقطع فيديو قبلَ بضع سنوات، ذَكَر فيه باك أنه عُرض عليه أداء دور في فيلم؛ وكان الدور لرجل عصابات مسلم، فرفض ذلك؛ فقد كان يحترم الإسلام كثيرًا، وقال: إما أن تكون مسلمًا أو رجلَ عصابات، ولكن لا يمكنك أن تكون كليهما؛ لذلك رفض هذا الدور، وكان هذا اختيارًا جادًّا، ولم أكن مستعدًّا تمامًا بعدُ لأن أُسلمَ حياتي لله.

وقد كان نابليون وفرقة الأوتلو يبلونَ بلاءً حسنًا من الناحية المالية بعدَ إصدار ألبومهما (*Novakane*) ولكون الألبوم أنتجَته شركتُهم الخاصة، أوتلو ريكوردس، فقد سَمح لهم ذلك بالحصول على حصة أكبر من الإيرادات، على الرغم من أن الألبومَ كان أقلَّ أرباحًا من ألبومهم الأول، فربما لم يكونوا قادرين على الاستفادة من خبرة باك في صناعة الموسيقا، ولكنهم كانوا يكتسبون قدرًا لا يُقَدَّر بثمن من التدريب في أثناء العمل خلالَ تقدمهم في مسيرتهم، وكانوا أيضًا يتعلمون قدرَ المستطاع من الخبرة والحنكة الإدارية لستيف، ومن الأشياء التي أصبحَت واضحة أن الكثير من النجاح المبكر المستمر للشركة كان يرجعُ إلى حقيقة أن أوتلو ريكوردس كانت شركةً عائليةً إلى حدٍّ كبير، فلم تسمح الطبيعةُ العائليةُ وهيكل العمل بالكثير من الاقتتال الداخلي أو الممارسات المخادعة؛ فبعض تلك الأشياء التي تَحدُث أحيانًا عندما تُبتلَى شركات التسجيل، التي هي مهتمة في الأساس بجني الأموال، بالغيرة، والحسد، والجشع، ولقد كانت شركة أوتلو ريكوردس أسرة واحدة بلا شك، ومنذ أن كانوا صغارًا، تقارب كاسترو وإي. دي. آي. مين، بسبب تقارب والدتَيْهما بوصفهما عضوتَيْن في حزب (الفهود السود) وكان بيغ (جي) عم إي. دي. آي. مين، هو المديرَ التنفيذي، وقد توطدَّت علاقة يَنْغ نوبل، وكويمي كويم، ونابليون على مر السنين، ولكونهم من المنطقة نفسها تقريبًا في نيوجيرسي، كان لديهم جميعًا صداقة مشتركة مع القذافي وفيتل، وكان

ريف وكامل من عائلة نابليون، أحدهما منتج والآخر مغني راب، وكان آكي وطالب صديقَيْ طفولة نابليون، وكانا على معرفة جيدة بجميع أعضاء الشركة؛ ولأنهم مجموعةٌ مترابطةٌ، كانت الأولوية الرئيسة للجميع في أوتلو ريكوردس هي رؤية كلٍّ منهم للآخر ينمو ويزدهر، ومع استمرار الشركة في البلاء الحسن، قرر عضوٌ آخرُ من عائلة نابليون الانضمامَ إلى المشروع: شقيقُه مؤمن.

وبحلول الوقت الذي أُصدر فيه ألبوم (*Novakane*) كان مؤمن يعيش بعض الوقت مع زوجته وأطفاله في المجتمع نفسه الذي يعيش فيه نابليون في فالنسيا، بكاليفورنيا، ولقد كان قرارًا كبيرًا لمؤمن أن ينتقلَ من إيرفينغتون إلى الجانب الآخر من البلاد، ولكن هذا القرار أصبح حتميًّا؛ فقد أصبح الوضع في إيرفينغتون أكثرَ خطورةً؛ فحروبُ المخدرات قد اندلعَت في كل مكان، وكانت لا تهدد مصدر رزقه بوصفه تاجرَ مخدرات فحسب، بل كانت تُهدِّدُ حياتَه، وبالنسبة إلى أي تاجر مخدرات، كان بيع الكراك دائمًا مقامرةً يوميةً، وأما مؤمن، فقد تلقى مرتين تحذيراتٍ مشؤومةً تحمل رسالة واضحة مفادها: اترك إيرفينغتون وإلَّا فستموتُ، وفي إحدى المرات دخل مؤمن في مشادة مع تاجر مخدرات آخر أطلق عليه الرصاص في بطنه من مسافة قريبة، وكانت الطلقةُ على بعد بوصة واحدة من حبله الشوكي، فأخبره الأطباءُ أن الرصاصةَ لو كانت أصابته في موضع أقربَ قليلًا؛ في عموده الفقري، لأُصيبَ بالشلل بقية حياته، ثم جاءَت اللحظةُ الأخرى الأكثرُ رعبًا، عندما طلبَت منه زوجتُه إعادة ترتيب الأثاث في غرفة نومهم بسبب شعور غريب انتابها، فوُضِع السريرُ تحتَ نافذة تطل على الشارع، وأما خزانة الملابس فوُضِعَت على الجانب المقابل، ولقد اقترحَت تغييرَ الأماكن، وهو ما وافق مؤمن على فعله، على الرغم من استغرابه من ذلك الطلب العشوائي، وقد اتضح أنه في الساعات الأولى من صباح اليوم التالي، انطلقَت 17 رصاصةً من الشارع لتخترق جدران غرفة النوم، وفي أعقاب ذلك، عُثِر على 15 غلاف قذيفة في خزانة الملابس التي نُقِلَت من مكانها، ولقد كانَت محاولة انتقام واضحة تتعلق بحروب المخدرات؛ وأيًّا كان الأمرُ، فإن محاولات إنهاء حياة مؤمن أضحَت تقتربُ على نحوٍ متزايد، وأصبحَت محاولاتُ تُجَّار المخدرات المنافسين قتله أكثرَ تَكرارًا، ولكن هذه المحاولات لم تكُن التهديدَ الوحيدَ الذي تسبَّبَ في خوف مؤمن على حياته، فقد بدا الأمرُ كما لو أن جميع هذه الأحداث التي كادَت تُودِي بحياته لم تكُن مروعةً بما فيه الكفاية، فأعطَت شرطةُ إيرفينغتون لمؤمن المزيدَ من الأسباب للخوف على حياته.

وخلالَ المدة التي قضاها مؤمن في تجارة المخدرات، كان - قد خاض قدرًا كبيرًا جدًّا من المواجهات مع ضُبَّاط إنفاذ القانون، ولا شكَّ أنه في الوقت الذي كان مؤمن متورطًا فيه في أنشطة غير قانونية، كان عليه أن يمتثلَ للقانون، ويُعاقَب على ما يرتكبه؛ ومع ذلك، فإن المجرمينَ أيضًا لهم حقوق، ومن غير القانوني أن يدُسَّ ضباط الشرطة المخدرات للمدنيين، ويعتقلوهم دونَ وجه حق، ويضايقوهم، ويستخدموا القوة المفرطة في أثناء الاعتقال، وجميع هذا قد عانى منه مؤمن على نحو مباشر، وبسبب الطريقة التي كانت الشرطة تتعاملُ بها عادةً مع أصدقائه، الذين لم يكونوا تجارَ مخدرات في الأساس، كان مؤمن يزدري الشرطة ازدراءً شديدًا، ولم يتردد قطُّ في أن يُبديَ لضباط

الدوريات كيف يشعرُ تجاهَهم، وفي إحدى المرات[214]، توقف ضابط أبيض وزملاؤه بجوار الرصيف، حيث كان مؤمن واقفًا، ويبدو أنه بدافع الملل كان في حاجة إلى اعتقال شخص ما في ذلك اليوم، فقال مؤمن: «تحرك من هنا أيها الخنزيرُ الأبيض، أنت دائمًا تفتعل المشكلات!». وكان مؤمن يعلم أن الضابط قد اتخذ قرارَه بالفعل باعتقاله، ولم يرغب مؤمن في الذهاب إلى سجن إيرفينغتون (بيت الألم)، حيث سيتعرض لمزيد من الوحشية؛ لذلك ركض على الفور، فقفز الضابطُ الأبيض مع زملائه الثلاثة الآخرين وكلبين بوليسيين من السيارة، وطاردوا مؤمنًا بقوة، فواصل مؤمن الركض على نحو محموم من شارع إلى شارع متفاديًا السيارات والمشاة، ولكن سرعانَ ما نفِدَت حيلتُه، عندما وصل إلى طريقٍ مسدود؛ ونظرًا لأنه أصبح الآن محاصرًا، بدأ الكلبان في مهاجمته، ولكنه صد هجومهما بركلهما في الوجه، وكان كلُّ كلبٍ منهما يتألم ويتراجعُ بعد كل ضربة عنيفة يتلقاها، ولما رأَوْا أن هجمات الكلبين لم تكن فعالة، انهال الضباط على مؤمن كالذئاب، فاندفع ضابطان لتقييد يديه، في حين تناوب الآخران على توجيه ضربات شرسة على ظهره وبطنه، وصاح ضابطٌ منهم: «توقف عن مقاومة الاعتقال، أيها الوغد الأسود!!». وبعد أن قيدوا يدَيْ مؤمن، وتمكنوا من كبح جماحه، تقدم الضابطُ الأبيضُ، الذي تعرض كبرياؤه للإهانة عندما وصفه مؤمن بـ (الخنزير)، وبدأ يركل مؤمنًا في وجهه بحذائه البوليسي ذي المقدمة الفولاذية، ومؤمن يرقدُ أعزلَ على الأرض، فقد واجه مؤمن الشرطة مرات عدة، ولكن هذه المرة كانت الأسوأ على الإطلاق.

وطفح كيلُ مؤمن؛ فقد أصبحَت إيرفينغتون مرتعًا لمحاولات القتل ووحشية الشرطة، وعندما اتصل بنابليون ليخبرَه عن تلك الحوادث، ناشده نابليون أن يخرجَ إلى الغرب؛ فقد كان الأمر يزدادُ خطورةً في إيرفينغتون، وكان الوضعُ رهيبًا، وفي النهاية، بعدَ خسارة كثير من الأصدقاء المقربين في أثناء تلك الحرب، وبعدَ أن كان الموتُ قاب قوسين أو أدنى منه، وبعدَ أن وقع ضحيةً لشرطة إيرفينغتون، رأى أن الانتقالَ إلى كاليفورنيا كان في مصلحته ومصلحة عائلته الجديدة؛ لذلك، باع متعلقاته في نيوجيرسي، وانتقل إلى سانتا كلاريتا.

وعلى الرغم من أنها كانت بدايةً جديدةً لمؤمن، لم يكن بأي حال من الأحوال يبدأ من الصفر، فقد انتقل إلى لوس أنجلوس ببعض الأموال، ولأنه صاحبُ عقلية تجارية، لم يُضِعْ أي وقت، وبدأ يفكر كيف يُنمِّي أمواله؛ لذلك استثمر في فتح صالون الحلاقة (بلاتينيوم كوتز»)، واختِيرَ كذلك لرعاية بعض الأنشطة الترويجية لأوتلو ريكوردس، وقد وفَّر وجود مؤمن في كاليفورنيا إحساسًا بالأمان العاطفي لنابليون، وكامل، وريف؛ لأنهم علموا أنه آمنٌ معهم، ولكن وجوده وفَّر أيضًا طبقةً من الأمان المالي للشركة، ومع وجود ستيف على رأس الشركة وبعض القوة المالية الإضافية من مؤمن، واصلَت فرقةُ الأوتلو المُضي قُدُمًا في حياتهم المهنية، وفي هذا الوقت، استطاع ستيف أن يُرَتِّبَ لجولات ترويجية لفرقة الأوتلو في جميع أنحاء البلاد بسهولة.

ذاتَ مرة كنا في جولة في أتلانتا، ودعني أخبرك أني كنْتُ لا أزالُ مجنونًا بعضَ الشيء في هذه المرحلة، ليس كجنوني السابق، ولكني كنتُ لا أزالُ متوحشًا؛ لذلك كنا في أتلانتا وكنتُ أقضي

بعضَ الوقت في ملهى ليلي مع فرقة الأوتلو، وفي هذه المرة بالذات لم تحدُث أي مشاجرة (يضحك)؛ لذا كان كل شيء على ما يُرام في تلك الليلة، وحدث شيء غريبٌ نوعًا ما، فحين كنتُ أغادر الملهى كنتُ آخر المغادرين من فرقة الأوتلو على ما أعتقد، بعدَ أن خرجتُ سمعتُ أحدَهم يقولُ لي: مرحبًا، كيف الحالُ يا رجل؟ فنظرتُ إلى المكان الذي أتى منه الصوت، فإذا رجلٌ يقف هناك مبتسمًا، يرتدي ملابس أنيقة، والكثير من الجواهر؛ لذلك لا بد أنه كان شخصًا مهمًّا، ولكنني لم أتعرَّف إليه، فقلتُ: «كيف الحال؟». وبدأتُ أنظرُ إليه، فقال: «أنا لون». قلتُ: «من؟» قال: «لون». قلتُ: «نعم، أنتَ من مجموعة باد بوي، أليس كذلك؟». قال: «بلى، أنا من باد بوي»، ولم يكن يحمل أي نيات عدوانيةً، ولكن كان من الواضح أيضًا أنه ليس سهلَ المنال، وتبادلنا الاحترام، ثم نظرتُ إليه مرةً أخرى، والغريب أنني مددتُ يدي، وصافحته عندما مد يده ليصافحني، وقلتُ: حسنًا، حسنًا، ثم غادرتُ، وما إن بدأتُ أبتعدُ عنه، حتى رحتُ أسألُ نفسِي: لماذا لم أنل منهُ، لماذا لم ألكمه أو أفعل أي شيء، ولقد كان هناك شيءٌ ما حوْل الطريقة التي عاملني بها، والاحترام الذي أظهره لي، فقلتُ لنفسي: لا، ليس هناك أي حاجة لتصعيد الأمور بغير داعٍ، فلن أنسى ذلك اليوم أبدًا، فحكمةُ الله مدهشةٌ للغاية... واتضح أن هذه المرة لن تكون آخر مرة أقابلُ فيها لون.

وخلالَ هذا الوقت قابلتُ أيضًا مايك إيبس في إحدى حفلات المشاهير، عندما عدتُ إلى لوس أنجلوس، وكان هذا رائعًا؛ لأنني سمعتُ عنه الكثيرَ، ثم علمتُ أنه من أشد المعجبين بباك، وكان كثيرًا ما يتواصل مع أفيني للاطمئنان عليها، وتبادلنا الأرقام، وظللنا على اتصال حتى يومنا هذا، يُظهر لك هذا أنك لا تعرفُ أبدًا من ستقابله في الحياة، وماذا سيكون تأثيرهم فيك؛ فقد انتهى به الأمر إلى مساعدتي مساعدةً كبيرة لاحقًا، في الوقت الذي لن يساعدَني فيه أحد.

وعلى الرغم من انشغال نابليون بجولاته في جميع أنحاء البلاد، كان يجد دائمًا وقتًا هادئًا ليخلوَ بنفسه للقراءة، ولم يكن لدى فرقة الأوتلو أي فكرة أنه كان لديه أي اهتمام بأن يصبح أكثرَ روحانيةً، ولكن نابليون كان لا يزال شديدَ الحرص على تعلم المزيد عن الإسلام، وقد قرأ كثيرًا من القصص عن الأنبياء والصعوبات التي واجهوها في دعوة أقوامهم إلى الحق، وقرأ آيات تتحدثُ عمَّا أُحل للمسلم أن يطعمَه، وقرأ عن البعث بعد الموت ليُحاسَب المرء على أفعاله في الدنيا، حسنها وسيئها، وقرأ عن الصيام، وكيف أنه شعيرة كانت تُمارَسُ منذ مئات السنين، ولكن قصة معينة أثرت فيه وهو يقرأ القرآن: قصة قابيل وهابيل.

قابيل وهابيل هما ابنا آدم، وتشرح القصة كيف أراد قابيل قتل هابيل بسبب الغيرة[215]، فحاول هابيل ثنيه عن فعل ذلك؛ خوفًا من ارتكاب خطيئة جسيمة، ولكن كان ذلك دون جدوى: قتله قابيل؛ لتقع أول جريمة قتل في تاريخ البشرية وفقًا للتراث الإسلامي[216]، وفي سياق هذه القصة يقول القرآن الكريم:

﴿**مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ**﴾ [المائدة: 32].

وبالنسبة إلى نابليون، الذي كتب في طفولته: «جعلني المال أشعر كالنجم، ولكن القتل جعلني أشعر بأن موتي قريب»، والذي تشابكت حياته تشابكًا وثيقًا مع الموت والقتل، والذي كاد يَقتلُ أخاه، بدأ صدى هذه الآية يتردد في نفسه بعمق، ولم يستطع تصديق مدى الحرمة التي جعلها الإسلام لشيء بدأ يصبح بالنسبة إليه شديدَ الرخص، ولا معنى له: الحياة البشرية. إن قتلتَ شخصًا واحدًا، فكأنما قتلتَ الناس جميعًا، يا رجل... لقد كان ذلك عميقًا إلى حدٍّ بعيد جدًّا، ومع استمراره في القراءة والتأمل في حياته، بدأ يشعر أكثر فأكثر أن الله كان يتحدث إليه مباشرةً، وكلما شعر أن الله يخاطبُه في أثناء قراءته، زادَت رغبته في البناء على هذه الصلة، فإذا كان الله يخاطبني، فلا يمكنني تجاهلُه، وسيكون في ذلك عدم توقير، فأنا أحتاجُ إلى أن أُناجيَه أيضًا، فإدراكُ نابليون أنه لا يريد الابتعادَ عن الله إذا كان اللهُ يخاطبُه، ولَّد لديه رغبةً عميقةً في أن يُوطد صلته به، ولإشباع تلك الرغبة، إضافة إلى القراءة، بدأ يصلي في بيته، فمناجاة الله تكون في الصلاة، ومع أنه لم يكن يعرف كيف يفعل ذلك بالضبط، كان يعلم أنه يمكن أن يسأل ميكال عن أي شيء، أو يعود إلى المسجد إذا لزم الأمر، ومع هذه القوة الجديدة للتواصل مع الله، زادَت قوة نابليون الروحية زيادةً كبيرةً.

وكنتُ أقتربُ من الله أكثرَ فأكثرَ، ولكنني كنتُ لا أزال بعيدًا جدًّا، وعندما شاهدتُ فيلم مالكوم إكس مرةً أخرى، ساعدني ذلك على التغلب على حقيقة أن مسلمًا قتل والديَّ، فلا يمكنك تحميل مجموعة كاملة من الناس مسؤولية خطأ ارتكبه شخصٌ منهم، ولقد فهمتُ أيضًا من الفيلم سبب مغادرة والديَّ لمنظمة (أمة الإسلام) تمامًا كما فعل مالكوم، ولقد أراد مالكوم إكس بعد ذهابه إلى المملكة العربية السعودية ممارسةً أكثر شمولًا للإسلام، وهو ما أردتُه أيضًا، وكان يريد التقرب إلى الله فحسب، ووجد ذلك عندما ذهب إلى مكة المكرمة، وفي الحقيقة، بعد أن شاهدتُ الفيلم كان أول شيء أريدُ فعله إذا مارستُ الإسلام أن أذهبَ إلى مكة المكرمة، وأحج، كما فعل مالكوم؛ فقد جعلني الفيلم مهتمًّا جدًّا بالإسلام.

ولم أكن قد دخلتُ في الإسلام بعدُ، ولكني كنتُ أتعلمُ، وكنتُ لا أزالُ أشربُ، ولكن لأني كنتُ مدمنًا في الغالب، لا لأني أردتُ فعل ذلك حقًّا، ولا لأني كنتُ في حاجة إلى صرف ذهني عن أي شيء، فقد بدأ الإسلام يجعل الأمورَ أكثرَ منطقيةً بالنسبة إلي، وكنتُ لا أزال أبحثُ عن إجابات في أماكن مختلفة، ولكن المكان الذي كان لديه معظم الإجابات بالنسبة إلي في ذلك الوقت كان هو القرآن الكريم، وعلى الرغم من - أني كنتُ أقرأُ كثيرًا وأصلي، كنتُ أريد كذلك معرفة المزيد عن نفسي؛ لذلك ذهبتُ في رحلة إلى بورتوريكو، أنا، وريف، وكامل، ولم يكن أخي مؤمن مهتمًّا بتلك الرحلة؛ لذلك ذهبنا نحن الثلاثة فقط، ولستُ متأكدًا مما كنتُ أبحث عنه حقًّا، ولكن بورتوريكو كانت جميلةً... على الأقل أعرف من أين حصلتُ على الجانب المجنون مني (يضحك) ولقد كانوا بعضَ الرجال

المتوحشين يا رجل! وأظهرَت لي الجزيرةُ بأكملها الحبَّ، وقد فُوجئتُ بأنهم يعرفون كل شيء عن باك وفرقة الأوتلو، وفي النهاية، أكّدت لي الرحلةُ أني كنتُ أبحثُ في كل مكان عن إجابات، حتى لو اضطررتُ إلى الذهاب إلى أجزاء مختلفة من العالم، وفي نهاية المطاف، لم أجد شيئًا ذا معنى حقيقي بالنسبة إلي في ذلك الوقت إلَّا الإسلام.

وبحلول هذا الوقت، كان نابليون يصلي، ويقرأ يوميًّا، على الرغم من عدم إعلانه رسميًّا عن دخوله في الإسلام، وكانت رغبته تزداد لمعرفة المزيد، ولا سيما الأحاديث النبوية؛ فقد قرأ في مواضعَ عدة من القرآن الكريم أن الله يأمر المؤمن باتباع إرشادات خاتم أنبيائه، النبي محمد ﷺ، ومن خلال تعاليمه المحفوظة في كتب الحديث[217] تلقى المسلم مزيدًا من الإرشاد والشرح للآيات القرآنية.

وفي حين أن القرآن الكريم لا يتجاوز عدد صفحاته بضع مئات، كان هناك مجلدات من كتب الأحاديث النبوية تحتوي على الآلاف من الأحاديث النبوية الصحيحة، ويستغرقُ الأمر وقتًا طويلًا جدًّا لقراءتها جميعًا؛ لذلك اقتصرَ على قراءة حديثٍ واحدٍ فقط كلَّ يوم، وبهذه الطريقة لن يُربِكَ نفسَه، وسيكونُ أسهلَ في الفهم، ولم يكن نابليون يعرفُ الكثير عن النبي محمد ﷺ؛ لذلك أجرى بعض الأبحاث لمعرفة معلومات عامة عنه، ولقد فوجئ حين وقف على كتاب بعنوان: «المئة: ترتيب أكثر الشخصيات تأثيرًا في التاريخ»، الذي أشاد بفضائل محمد ﷺ، وصنَّفهُ على أنه الشخصُ الأكثرُ تأثيرًا في تاريخ البشرية[218]، متقدمًا على إسحاق نيوتن، وكريستوفر كولومبوس، وأينشتاين، بل متقدمًا على شكسبير[219]، ولقد انبهر من أن شخصًا ما غيرَ مسلم قد منح النبي ﷺ مثلَ هذا القدر من الاحترام، ودفع هذا نابليون إلى معرفة المزيد عنه، وكلما قرأ المزيدَ عن حياته وشخصيته ازداد له حبًّا، فقد كان شجاعًا، وكان قويًّا، ولكنه كان أيضًا رحيمًا وعمليًّا، وكان لديه أيضًا موهبة إيصال رسائل بسيطة، ولكنها قوية، فقد ورد في أحد الأحاديث النبوية التي قرأها نابليون ذات يوم أن رجلًا قال للنبي ﷺ: «أَوْصِنِي. قَالَ: لا تَغْضَبْ. فَرَدَّدَ مِرَارًا. قَالَ: لا تَغْضَبْ»[220]. كلَّ مرة يطلب فيها الرجل المزيدَ من الوصايا، ويبحث عن وصية مختلفة، فيأتيه الجواب بالوصية نفسها: «لَا تَغْضَبْ». مهلًا! إن هذا يُشبه قصة حياتي، فأنا أغضب بسهولة، ويَطلبُ مني الكثيرُ من الناس دائمًا أن أهدأ، وهنا يُوصي النبي ﷺ هذا الرجلَ مرارًا وتكرارًا بألَّا يغضبَ. هذا حقًّا شيء لا يُوصَفُ، ومع استمراره في القراءة، نمَت قناعتُه أكثرَ فأكثرَ، حتى إذا مضَت شهورٌ وشهورٌ من التأمل، والبحث، والصلاة، والتعلم، شعر نابليون أنه مستعدٌّ أخيرًا لاتخاذ القرار الأكبر في حياته.

نعم، يا رجل، بعد قراءة الكثير والبحث هنا وهناك، والصلاة كثيرًا، شعرْتُ أن الوقتَ قد حان، فقد كانت خطوةً كبيرةً في حياتي... لكنها كانت خطوةً نحوَ الأفضل، وأخيرًا أصبحَت الحياة منطقيةً، فأنتَ تعيش حياتك لله، فقد خلقني؛ لذا فإن حياتي له، ويُفترَض بي أن أعبدَهُ، ولم أستطع أن أصل إلى السلام إلَّا من خلال ذلك، وأصبحتُ مهيئًا لأعيشَ حياةً أكونُ فيها مرتاحَ البال؛ لذلك اتصلتُ بميكال، وأخبرتُه أنني مستعد للنطق بالشهادة. قال: «ماذا؟!»، فقلتُ: «نعم»، فقد كان في غاية السعادة، فذهبتُ إلى المسجد، وكان هناك الكثيرُ من الناس مجتمعين لرؤيتي، وبدا الأمر كما لو أني كنتُ

أستعد لعقد مؤتمر صحفي كبير، أو شيء من هذا القبيل، وكان هناك الكثير من الناس يا رجل، عندما نطقتُ الشهادة أخيرًا، ولا يمكنك أن تتخيل كمَّ الحب الذي تلقيتُه. يا رجل، لقد كان خمسةَ أضعاف ما تلقيتُه في المسجد في اليوم الأول، ولقد كانَت سعادةً غامرةً لهم ولي أني أصبحتُ أحدَ إخوانهم، ولقد أصبحتُ مسلمًا، ولقد أصبحتُ مطاعًا مرة أخرى، ولقد كان هذا شيئًا جميلًا يا أخي.

وأخيرًا بعدَ سنوات وسنوات من المعاناة العقلية، والعاطفية، والروحية، لم يجد مطاعٌ علاجًا فعالًا لمشكلاته فحسب، بل وجد نفسَه، وبدا الأمر كأنه يعود إلى أنقى نسخة من نفسه؛ إلى حياته قبلَ تجارة الكراك، وقبل الكحول، والقتل، ولقد تأثر أيَّما تأثُّر بما تعلَّمه عن الدين، وبالسلوك المثالي الذي تلقاه من المسلمين؛ حتى إنه قرَّر أن يرجعَ إلى حضن الإسلام، وأن يعيشَ بقية حياته مسلمًا، وعلى الرغم من أن الانتقال سوف يستغرقُ بعضَ الوقت، فقد شعر في أعماقه أن الإسلامَ هو مصدر الهداية المُطمئِن الوحيد الذي سيعملُ على استقرار حياته المضطربة، وكانت هذه إحدى حالات السعادة القليلة في حياته، والاختلافُ الوحيدُ هذه المرة هو أن هذه السعادة لم تكن عابرةً؛ فقد كان سعيدًا بمعرفة أن لديه مصدرًا أبديًّا للسلام والسعادة يمكنه الاعتماد عليه، ولقد شعر مطاع أخيرًا بالارتياح الداخلي، وفي غمرة هذا الفرح، لم يستطع احتواءَ سعادته، بل كان عليه أن يُخبرَ العالم.

وعند عودة مطاع من المسجد بعد أن نطق الشهادة، دعا على الفور ريف، وكاملًا؛ لإعلامهما أنه أصبح الآن مسلمًا رسميًّا، فأثار ذلك اندهاشهما، فقد كانا يراقبانه سرًّا في الأشهر السابقة، بعد أن رأياه يقرأ القرآن الكريم أحيانًا في الأستوديو، وكانا أيضًا ضمنَ المجموعة التي رافقته عندما ذهب إلى المسجد لأول مرة، وبعدَ الرحلة، شعرا أن هناك تغييرًا يحدثُ، ولكنهما لم يريدا التدخل في عملية كانا يعرفان أنها شخصية للغاية، ولقد نشأا مع مطاع، وشهدا تقلباته، وعزَّياه في مآسيه، وقاتلا معه في خنادق إيرفينغتون، ولقد ذاقوا النجاح معًا في كاليفورنيا، وكانا مع مطاع منذ المهد، وسيظلان معه إلى اللحد، وبحلول الوقت الذي وقعَت فيه حادثة كامل في الأستوديو، أدركا أن حياة مطاع تتطلب توجيهًا عاجلًا، ولكنهما اعترفا أيضًا بعدم كفاءتهما الكاملة في تقديم التوجيه الذي يحتاج إليه، ولما كانا غير قادرين على إنقاذه، سعدا سعادة غامرةً بأن هناك شيئًا قويًّا بما فيه الكفاية يمكنه فعل ذلك، والمثير للاهتمام، أن عودته إلى الإسلام تحولت إلى دعوة إفاقة لكليهما، ودفعتهما إلى التأمل والتفكير في تراثهما الإسلامي، وقد كان مِل، اختصار كامل، شقيقَ مطاع، وكان من المفترض أن ينشأ كلاهما نشأةً إسلاميةً وفقًا لرغبة والدهما، وقد وُلد ريف، اختصار شريف، مسلمًا أيضًا، وعلى الرغم من أنه كان لا يمارس الشعائر الدينية علانيةً، كان دائمًا يفتخر بانتسابه إلى الإسلام، وما هي إلا بضعة أسابيع من التفكير بعدَ أن أسلم مطاع حتى قرر كامل وشريف أنهما يريدان أن يحذُوَا حذوَه، وأن يعودَا بجدية إلى جذورهما الإسلامية.

وقد تباينت ردود أفعال أصحاب مطاع حولَ رجوعه إلى الإسلام؛ فمنهم من صُدِم، ومنهم من لم يُفاجأ مطلقًا، ولكن كان هناك إجماع مشترك بينهم على الارتياح؛ وكانوا سعداء بأن مطاعًا، بعد كل

ما مر به، قرر السير في طريق الإيجابية، ولم يشُكُّوا في شجاعته، واستعداده للتعبير عن رأيه، ولا في قدرته على أن يصبح عنيفًا في غمضة عين؛ ومع ذلك، كانوا قلقين من أن مثل هذا النهج في الحياة من شأنه أن يضعه في مسار قد يودي به إلى الموت أو السجن، ولقد أصبح متهورًا ومقاتلًا حتى إن أعضاء فرقة الأوتلو كانوا يخشَوْن أن يتسكَّعُوا معه، وبدا كأنه سيزداد سوءًا مع ازدياد الشهرة والمال، وفي بعض الأحيان، يجب اتخاذ إجراءات صارمة في الحياة لرؤية نتائج إيجابية حقيقية، ويقولُ تريفون (تري) لين، الحارس الشخصي البارز لديث رو، وأحد المقربين من مطاع الذين فوجئوا تمامًا بالأخبار[221]:

لقد صُدِمْت حقًّا يا رجل، كان لديك هنا هذا الشاب المتوحش الذي يشبه البيتبول شراسةً، وعندما التقينا لأول مرة، كنتُ كبيتبول يبلغ من العمر عامًا، وكان كبيتبول بعمر ستة أشهر، وكنا متوحشَيْن وعلى استعداد لإمضاء ما نريد أيًّا كلفنا الأمر، وبدأَتُ أرتبطُ بمطاعٍ على الفور؛ لأنه في عامه الـ 16، وكان قادرًا على معرفة أنني فقدتُ والدتي في سن مبكرة مثلَه تمامًا، وسمِّهِ ما شئتَ، ولكني ارتبطتُ به ارتباطًا خاصًّا من أول وَهْلة، وأنا لا أحكم على أحد، وأنا أومن بالله، وعندما رأيتُ مطاعًا يسير على درب الصلاح، كنتُ سعيدًا بأن الله كان له معينًا، وكان شيئًا جميلًا وإيجابيًّا أن يحدثَ لهذا الرجل هذا التغيير؛ فالشوارعُ مظلمة، والأحياء تُعمي، والبقاء فيها للأصلح؛ لذلك عندما يتمكن شخص ما من النجاة بنفسه من تلك الساحة، فأنا أشد على يديه، وتحياتي لك يا مطاع.

وممن أُصيبوا بالصدمة والدهشة كذلك ستورم[222]:

لقد أعجبني ذلك أيَّما إعجاب، ولم أصدقه! فمطاع الذي عرفته في الماضي والرجل الذي أصبح عليه الآن هما شخصان مختلفان تمامًا تقريبًا. أقول: «تقريبًا» لأنه كان لا يزال مطاعًا، أخي، لكنه غيَّر حياته للأفضل! يمكنني أن أقول من خلال سلوكاته والطريقة التي تعامل بها مع كل موضوع في أثناء حديثنا: إن عقليته أصبحَت مختلفةً، وكنتُ سعيدةً بإعادة التواصل مع أخي، وأنا فخورة جدًّا بحياته الجديدة! كنتُ أعلم أنه قد تغلب على الكثير من آلامه العاطفية والجسدية المتعلقة بمكان نشأته، وأنَّ ما عاناه منذ طفولته لم يكن سهلًا، ولم أقابلْ والدته قطُّ، ولكني أحبها وأحترمها إلى أقصى درجة! ولكونها امرأةً، ستظلُّ إلى الأبد عندي رمزًا للبطولة، ولكونها امرأةً قوية سأكونُ مقصرةً إذا لم أذكرها حين أتحدثُ عن قوة مطاع وعن تحوُّله. ونعم، في بعض الأحيان كنتُ، وما زلتُ، لا أتفق معه في كل شيءٍ، لكن من يفعل؟! في النهاية، نحن عائلة وهذا كل ما في الأمر! تحية لفرقة الأوتلو!».

وهذا غونزو، أحد الأصدقاء المقربين، ممن رأوا مطاعًا في بعض أكثر لحظاته عنفًا، فلم يصدق ما رآه[223]:

عندما أسلم مطاع -أَصدُقُك القول- لقد فُوجئتُ تمامًا! كان مطاع واحدًا من أصدق الرجال الذين عرفتُهم، وكان مستعدًّا للتغلب على أي شخص، ولم يكن يخطرُ ببالي قطُّ أنه قد يُسلم؛ لأنه كان

الأكثرَ وحشيةً بلا منازعٍ، وقد جربْنا ذلك بأنفسنا، ولكننا كنا دائمًا إخوةً ورائعين في نهاية الأمر، ولقد كان إسلامُه ملهمًّا للغاية، وعندما انتهى بي الأمرُ إلى الدخول في الإسلام، دعاني إلى المملكة العربية السعودية، حيثُ يقيم، فهذا هو الحب الذي يملكه، وتلك هي الرجولة التي يتصف بها.

أما واك ديوس فكان أيضًا داعمًا جدًّا، ولكنه لم يفاجأْ بذلك على الإطلاق[224]:

«لقد كنتُ في غاية الفخر بتغيُّر مطاع إلى الأفضل، فقد كنا رجالًا على الحقيقة، وسنظل كذلك دائمًا، وكان دائمًا في منزلي في كومبتون، وطلب مني أن أزورَه في إيرفينغتون، وكانت هي المرةَ الأولى التي أذهبُ فيها إلى نيوجيرسي، ولقد كانت حياته غارقةً في المساوئ؛ لذلك من الجيد دائمًا رؤية شخصٍ ما يفرُّ من ذلك، وكنتُ فخورًا حقًّا بمطاع، ولم أُفاجأ بالأمر إطلاقًا؛ فلقد كان دائمًا مسلمًا بسبب اسمه، وفي الأيام اللاحقة عندما عاد إلى كاليفورنيا، وحين كنتُ أذهبُ إلى بيته أحيانًا، كنتُ أرى سجادة صلاة في مكانٍ ما؛ لذلك عرفتُ بالفعل قرارَه، وأنا معه أيًّا كان ما اختاره لنفسه. وفي النهاية، كنتُ سعيدًا؛ لأنه عثر على السلام.

ولم تجذب عودةُ مطاع إلى الإسلام انتباهَ عائلته وأصدقائه فحسب، بل جذبَت أيضًا انتباهَ وسائل الإعلام، فقد زارَ عددٌ من وسائل الإعلام الإخبارية صالون بلاتينيوم كوتز، الذي ما زال مطاع يتردد عليه؛ لإجراء مقابلاتٍ معه حولَ تحوله الروحي المذهل، وفي عام 2003م، نشرَت صحيفةُ لوس أنجلوس تايمز مقالًا بعنوان (رحلة روحية لمغني راب)، ووثقوا فيه كيف تحوَّل مطاع من مغني راب متشدد، ومدمن للمشروبات الكحولية، ومرتبط بالعصابات، إلى مغني راب يسعى إلى السلام، والهدوء، مع الحرص على الرقي بكلمات الأغاني[225]، وقد تراوحت ردود أفعال الجميع بين الصدمة والدعم إلى التوقع والتهنئة، ولم يُظهر أيُّ شخص قطُّ استجابةً فاترةً، باستثناء مؤمن.

في الغالب أظهر لي كلُّ من قابلني الحبَّ، وقدَّم لي الدعم؛ لأني فعلتُ ما اعتقدتُ أنه تغيير إيجابي لنفسي، ولقد عاملني الجميع باحترامٍ في كل مكان، فهم يعرفون كم كنتُ جامحًا، وكانوا سعداء لمجرد رؤيتي لا أوذي نفسي، ولا أحاول إيذاء شخصٍ ما (يضحك) ولكن الشيءَ الغريبَ الوحيدَ هو أن أخي مؤمنًا، لم يكن يُبالي بهذا الأمر، ولقد احترم قراري؛ لذا لم يكن يقول شيئًا أكرهه بشأن هذا، ولكن حادثة واحدة أظهرت لي ما كان لا يزال في صدره تجاه الإسلام في ذلك الوقت، وفي إحدى المرات حدثت مشكلة بيني وبينه، وحاولتُ ذكر حقيقة أنني مسلم لمحاولة حلها، فما كان منه إلَّا أن قال: «توقف عن الحديث إليَّ عن تلك الأمور المتعلقة بإسلام مالكوم إكس!». ولقد صُدِمت حقيقةً عندما سمعتُه يقول ذلك... ولكن أعودُ لأقولَ: إنه الشخص الذي شهد مقتل أبي وأمي؛ لذلك يمكنني فقط أن أتخيل مدى الصدمة التي أصابته، ولقد كان إخراجُ ذلك من رأسي أمرًا شديدَ الصعوبة عليَّ؛ لذا يمكنني تخيُّل حاله، وأدركتُ أنه لم يكن مستعدًّا على الإطلاق لسماع أي شيء عن الإسلام.

وبحلول الوقت الذي أخبر فيه مطاعٌ العالمَ بأنه مسلم، كان شوغ نايت قد خرج بالفعل من السجن في عام 2001م، بعدَ أن أمضى أربعَ سنوات من عقوبة بالسجن مدتها تسع سنوات[226]، وفي البداية بعد

عودته، حدثَت بعضُ المناوشات بينه وبين فرقة الأوتلو بسبب الطبيعة الحساسة لمغادرتهم ديث رو في أثناء وجوده في السجن، فعلى الرغم من أنه وعد مطاعًا في السجن بفسخ العقد، فإن مكتب ديث رو تراجع عن هذا القرار، ما دفع شوغ وفرقة الأوتلو للدخول في معركة قانونية مُطوَّلة، وعندما أُفرجَ عن شوغ، أكد مُهدِّدًا أنه لا تزال هناك مسائل قانونية معلقة كان على فرقة الأوتلو تسويتها معه، وهو ما لم يكن مطاع ليقبله بسهولة دون دليل، وحتى يُظهرَ لشوغ أن هذه التصرفاتِ الغريبةَ لن تُرهبَه، حضر مطاع محاضرةً صادف أن ألقاها شوغ في حدث خيري محلي في لوس أنجلوس، وقد حدث هذا كله قبل شهور من بدء ممارسة مطاع للإسلام؛ لذلك كانت عقلية الشوارع لا تزال تحركه، وبدلًا من الجلوس كبقية المشاركين الستين الحاضرين، وقف مطاع طوالَ الوقت عاقدًا ذراعيه ناظرًا مباشرةً إلى شوغ، وكانَت رسالة واضحة؛ فبعد المدة التي قضاها شوغ في الحبس، لم يتغير شيء في الطريقةِ التي تعامل بها مطاع مع نفسه، وقد احترم شوغ ذلك فيه، وفي نهاية الحدث قرر شوغ ومطاع أنهما في حاجة إلى الجلوس إلى طاولة المفاوضات، كما يفعل الرجال العقلاء لحل مشكلاتهم بدلًا من اللجوء إلى تكتيكات البلطجة، وقد اتفقوا جميعًا في النهاية: شوغ نايت، وشركة أوتلو ريكوردس، و(بون)، وتمكنوا من تسوية خلافاتهم دونَ أي مشاعر عدائية، وبعدَ عام ونصف العام، بعدَ أن علم شوغ أن مطاعًا أصبح الآن مسلمًا متدينًا، أعرب عن احترامه له وللطريق الجديد الذي اختاره لحياته.

وبعد أن أمضى مطاعٌ وقتًا طويلًا للوصول إلى تلك اللحظة المحورية بقبول الإسلام، أقرَّ بأنه لا يزال في بداية رحلته الروحية إلى الله، وكلما استمر في القراءة، أدرك أن هناك المزيد مما ينبغي له معرفته، ولكنه أُعجب بما اتصف به الدين من يُسر وعملية، وفي البداية كان من الصعب التعود على فكرة الصلاة خمسَ مرات في اليوم، حتى إنه أعرب عن خوفه من عدم القدرة على تحقيق مثل هذا الركن المهم، أريد أن ألجأ إلى الله، وأحتاج إلى أن ألجأ إلى الله، ولكن هل سأكونُ قادرًا على أن أُصلِّيَ خمسَ مرات في اليوم؟ لديَّ الكثير من الأشياء التي يجب عليَّ الاهتمام بها، وقد أُوضِحَ له أنه على الرغم من وجود خمس صلوات على مدار اليوم، فإن أداءها يستغرقُ ما يقرب من 30 دقيقة كل 24 ساعة، وهو أمر ليس فيه إرهاق إطلاقًا، وبعيدًا عن ذلك، كان من الأسهل على مطاع قبول وجوب الصلاة؛ لأنه وصل إلى نتيجة مهمة مفادها: أن التدين يعني الالتزام، ولكن هذا الالتزام لا ينافي العقلَ.

وإحدى أهم العبادات التي كان وقتها يقترب بعدَ إسلامه هي شهر رمضان المبارك؛ فهو شهرٌ يصومه المسلمون، فلا يأكلون، ولا يشربون من الفجر حتى المغرب، وكان هذا في الواقع ثاني رمضان يُحاول مطاع صيامَه، وكان لذلك أهمية خاصة؛ لأنه اتخذ قرارًا مهمًّا؛ وهو أنه سيتركُ الكحولَ أخيرًا، وقبل أن يتعلم عن الإسلام، كان شُرب الكحول جزءًا لا يتجزأُ من روتينه اليومي، ولم يخطر بباله أنه يمكنه الحياةُ من دونه، ولكن هذا كلُّه تغيَّرَ، فما إن بدأ يقرأُ القرآن حتى فوجئ عندما ورد ذكرُ الخمر في سورة البقرة، وانبهر بما ذكره القرآن الكريم حولَ ذلك:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 219]

وكان ما أثار دهشته أن القرآنَ الكريم ذكر أن هناك نفعًا في شرب الخمر، فقد حاولَ هو نفسُه منذُ زمن طويل أن يُثبتَ أن شرب الخمر ليس بهذا السوء؛ حتى إن الأطباءَ كشفوا من خلال البحث العلمي أن شرب كميات معتدلة من الكحول أمرٌ صحيٌّ في الواقع، وكان دائمًا صادقًا مع نفسه؛ فهو لا يستطيعُ أبدًا شربَ كميات معتدلة؛ فقد كان يشربُ دائمًا حتى يصلَ إلى الحالة العدوانية، وهذا هو السبب في أن الجزء الذي يقولُ: ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ﴾ ظل صداه يتردد في نفسه، وكانت هذه حقيقة لا يمكن إنكارها بالنسبة إليه؛ فلم يكن يستطيع شرب كميات بسيطة لتحقيق المنفعة، بل كان يشربُ حتى يغيبَ عن وعيه، ويُصبحَ شديدَ العدوانية، أو أن يقولَ أشياء يندمُ عليها فيما بعدُ، وبالنسبة إلى مطاع كان الإثم الذي يرتكبه تحتَ تأثير الخمر بلا شك أكبرَ من أي نفعٍ.

ومع استمراره في القراءة في القرآن الكريم أكثرَ، أدهشته بدايةُ آية أخرى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: 43].

فَهِمَ من هذه الآية أنه لا بأسَ من الاستمرار في الشرب ما لم يكن المرءُ مخمورًا في الصلاة، وطبَّق ذلك الفهم على الصيام كذلك، وفي شهر رمضان الأول له صام الشهرَ كله، وصلى ما استطاع من الصلوات الخمس، في محاولة ليشعر بروح الإسلام، وما الذي يعنيه أن تكونَ مسلمًا، مع أنه لم يُسلم بعدُ، وبناءً على فهمه ظن أنه لا بأس من الاستمرار في الشرب خلالَ الشهر، ولكن مع الحرص على عدم الشرب في أثناء الصيام، ولا في أثناء الصلاة، وبهذه القواعد أكمل شهر رمضان الأول، ولم يكن قد صام يومًا في حياته قبل ذلك؛ فكان الصوم لمدة 30 يومًا يمثل تحديًا له بالتأكيد، ومع ذلك، كان يعتقد أنه بحلول نهاية الشهر قد تعرض لبعض التطهير الجسدي والروحي، وهو الهدف من الصيام، وكان يتطلع بشغف إلى رمضان التالي، وفي حين كان يستعد لرمضان التالي، وجد أن عليه إجراء تغييرات حاسمة في فهمه، ليس فيما يتعلق بالشرب في أثناء الصلاة والصيام فحسب، ولكن أيضًا حول حكم الخمر في الإسلام.

وبعد زيارتي للمسجد أولَ مرة، اهتممتُ حقًّا بالدين، ووددتُ أن أُحسَّ بشعور كوني مسلمًا على الرغم من أنني لم أكن مسلمًا بعد، ومر عليَّ شهرُ رمضان لأول مرة؛ لذلك أردتُ أن أحاولَ الصيام، ولم أكن مهتمًّا حقًّا بترك الشرب؛ لأن ما فهمتُه مما قرأتُه حتى تلك اللحظة، أن هذا غيرُ واجب؛ لذلك صمتُ أولَ رمضان بلا مشكلة، ولاحقًا قلتُ في أثناء حديثي مع أحد الإخوة في المسجد: إن هدفي كان محاولة الإقلاع عن الكحول في رمضان الثاني، على الرغم من إباحة الشرب للمسلمين. قال: مهلًا! ماذا تقصد يا أخي، بإباحة الشرب للمسلمين؟! فقلتُ: إن ما ذُكِرَ في القرآن الكريم: ﴿لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ فحسب. قال: لا يا أخي، وبارك الله فيك، وأوضح لي أن القرآنَ الكريم استغرق نزولُه 23 سنةً، وأن بعضَ الأشياء في الإسلام حُرِّمَ على

مراحل، وكان الخمرُ من بينها، فالخمرُ لم يُحرَّم على الفور، ولكنه حُرِّمَ تدريجيًّا بمرور الوقت، وحُرِّمَ أولًا السكرُ في الصلاة، ثم حُرِّمَ الخمر بعدَ ذلك على الإطلاق، والآياتُ التي قرأتُها كانت من أوائل الآيات التي أباحَت الشربَ، ولم أكن قد وصلتُ بعدُ في قراءة القرآن الكريم إلى النقطة التي حُرِّمَ فيها الخمرُ بالكلية، فقلتُ: حسنًا، لقد أخطأتُ الفهمَ إذن، وشكرتُه ومضيتُ، وكنتُ قد قلتُ لنفسي بالفعل: طالما أني قد أصبحتُ رسميًّا مسلمًا الآنَ، وأني قد أردتُ تركَ الشرب، وأنَّ هذا الأخَ قد أعلمني بعدَها أن شُربَ الخمر محرم في كل الأحوال، فيجبُ عليَّ أن أتوقَّفَ عن الشرب، ولم يكن ذلك سهلًا على الإطلاق، يا رجل.

تخيَّل أنك في حاجة إلى الكحول كما لو كنتَ في حاجة إلى التنفس، لَكِن الحمدُ لله، رمضان الثاني أقلعتُ تمامًا عن الشرب، وبعدَ أن طلبتُ من الله العون، وتحليتُ ببعض العزم، كانت آخر رشفة تناولتها قبلَ رمضان، وامتنعتُ تمامًا عن الشرب منذُ 17 عامًا، والحمدُ لله.

وفي الوقت الذي كان مطاعٌ يكتسبُ فيه المزيدَ من القوة الروحية، ويصبحُ أكثرَ التزامًا في ممارسته للإسلام، لم يتجاهل التزامَه تجاهَ ستيف وفرقة الأوتلو، واستمروا في جولاتهم في جميع أنحاء البلاد، وكان أبرزها مع بون، وثغز -إن- هارموني، وبحلول هذا الوقت، استطاع ستيف أن يُوسِّع انتشار فرقة الأوتلو عالميًّا، وأن يُنَظِّمَ جولاتٍ دوليةً في البلدان الأوروبية مثل ألمانيا وهولندا، ولم يكن مطاع قد زار قبلَ هذه الدول إلَّا بورتوريكو والمكسيك، وبذلك كانت أوروبا تجربةً مختلفةً تمامًا له، وما أذهله على نحوٍ أساسي في أثناء تجوله في جميع أنحاء أوروبا هو مدى إعجاب الأوروبيين بباك وبفرقة الأوتلو، ومدى معرفتهم بجميع أغانيهم، ولقد كان هذا مؤشرًا واضحًا على أن تأثير باك وفرقة الأوتلو قد نما في جميع أنحاء العالم، وهو ما يُعدُّ شهادةً بأن طريقتهم في الراب (راب العصابات)، وموسيقا الهيب هوب عمومًا، قد أصبحَت مقبولةً على المسرح العالمي، ولقد تجاوزَت موسيقاهم كلَّ الألوان، واللغات، والجنسيات، والخلفيات الاجتماعية والاقتصادية، وفي الواقع، أظهرَت بعضُ الدراسات أنه «بدايةً من أواخر التسعينيات فصاعدًا، حقَّقَت مبيعاتُ موسيقا الراب زيادةً كبيرةً ومتناميةً باستمرار؛ ما جعل الراب هو النوع الموسيقي الأسرع نموًّا»، و «بحلول عام 1998م، كانت موسيقا الراب هي أعلى الأنواع الموسيقية مبيعًا»[227]. وبحلول عام 2003م، كانت موسيقا الراب قد قطعَت حقًّا شوطًا طويلًا منذ ظهورها على الساحة في الثمانينيات؛ فقد «تطوَّرَت من حركة سرية في واحدة من أفقر بلديات مدينة نيويورك... إلى صناعة عالمية تُقَدَّرُ بمليارات الدولارات»[228]. وكان مطاع وفرقة الأوتلو يشهدون تجسيدًا لتطور موسيقا الراب في أثناء جولتهم في أوروبا.

وعلى الرغم من استمرار مطاع في موسيقا الراب مع إخوانه في فرقة الأوتلو، ولقاء المعجبين، والذهاب في جولةٍ من الأحداث الترويجية، كان نشاطه الليلي مختلفًا على نحوٍ ملحوظ عمَّا كان عليه سابقًا، فسابقًا كان أعضاءُ فرقة الأوتلو يجدون مطاعًا في الملاهي الليلية، أو سكرانَ في حجرة فندقه، صاخبًا ومضطربًا، وأما الآن فسيجدونه في غرفته بالفندق، يقرأ القرآن الكريم في عزلة هادئة. يقولُ يَنْغ نوبل[229]:

لقد كنتُ سعيدًا بنابليون يا رجل، عندما وجد الإسلام، وأخذ الأمر على محمل الجد، وكان الأمر كما لو أن تلك السحابة السوداء التي كانت تخيم على حياته، قد بدأَت تنقشعُ أخيرًا لتُشرقَ من خلفها الشمس، وأصبح أكثرَ إيجابيةً وتركيزًا وسعادةً، كأنه وجد أخيرًا سلامًا وهدفًا، ولقد تركَ حالةَ الجموح والسُّكْر ليخلوَ بنفسه في غرفته يقرأُ قرآنَه، وكان من الجميل رؤية ذلك التحوُّل، وقد دعمناه، واحترمناه.

ومع مرور الوقت، بدأ التحوُّل الداخلي الذي كان جاريًا في مطاع يكشِف عن نفسه خارجيًّا؛ إذ بدأ الأصدقاء والعائلة يلاحظون تغيراتٍ كبيرةً في سلوكه؛ لقد أصبح مسلمًا الآنَ، ولم يعُد للخمر مكانٌ في حياته، وأصبحَت نوبات غضبه أقلَّ شيوعًا، وممَّا أدهشَ الجميعَ أن مطاعًا بدا كما لو أنه قد تعلمَ مُؤخرًا فنَّ الابتسام؛ فقد أصبحَت ابتسامته أكثرَ تكرارًا، وبدأ ينقل هذا الشعور لغيره، وكان تحوُّل مطاع على وشك الانتهاء، ولكنه لم يكُنْ قد وصلَ بعدُ.

وعندما بدأتُ في إجراء تغييرات كبيرة في حياتي في هذا الوقت، شعرتُ أنني بخيرٍ يا رجل، حيث كان الأمر كما لو أني قد بدأتُ أعيشُ أخيرًا. فمن قبلُ، لم أكن ميتًا، ولكنني لم أكن حيًّا أيضًا، وكنتُ أفكر كثيرًا في القذافي هذه الأيامَ لسببٍ ما؛ لأنه كان دائمًا أولَ من يقولُ: إنه مسلمٌ، وكان فخورًا بذلك، وفي إحدى أغاني باك والقذافي التي خرجَت بعنوان (بمن تؤمنُ؟)[230]. قال باك في أبيات القفل: «بمن تؤمن؟»، وردّ القذافي: «أومن بالله، صدقني»؛ لذا لم يكن القذافي خائفًا من الكشف عن الأمر، وأتساءل: ما الذي كان سيفعله لو رآني أمارسُ الدين، وأتغير كما تغيَّرْتُ؟! كنتُ قد قطعتُ شوطًا طويلًا بحلول هذا الوقت من جهة مجرد الشعور بالإيجابية والشعور بالصفاء، خاصةً بعد صيام رمضان وترك الخمر، ولكنني لم أكن راضيًا، يا رجل، فقد شعرتُ بأن جسدي وروحي في حاجة إلى شيء قوي حتى أُحقِّقَ هذه الدفعة الروحية النهائية، وفي ذلك الوقت اتخذتُ قراري بأن عليَّ أن أذهبَ إلى المملكة العربية السعودية؛ لأداء فريضة الحج، فإذا كان الحجُّ غيَّرَ مالكوم للأفضل، فيمكنه أن يفعلَ الشيءَ نفسَه معي.

دُهِش مطاعٌ من الشوط الذي قطعوه في أوتلو ريكوردس، فقد كانوا يكسبون المال، ويتجولون في جميع أنحاء العالم، وبمساعدة ستيف، دخلوا في التيار السائد في صناعة الموسيقا، وكان أعضاء فرقة الأوتلو سعداء؛ لأنهم كانوا يتحكمون تحكمًا كاملًا في مصيرهم؛ وكانوا حاملي شعلة المستقبل المُشرِق الذي مهَّدُوه لأنفسهم.

ومع ذلك، كان مطاع يبحث عن مصدر إضاءة أكبرَ، وكان يُبلي بلاءً حسنًا في الحياة، حتى إنه ظهر في برنامج قناة بي إي تي (كيف أعيش)[231][232]، وهو برنامج يُلقي نظرةً حصريةً داخلَ منازل المشاهير، ولقد حرص في أثناء الحلقة على أن يُريَهم غرفة الصلاة الخاصة به؛ لتوضيح مدى تغيُّر حياته على نحو جذريٍّ قائلًا: «لقد أقلعتُ عن التدخين، وعن الشرب، ربما كنتُ أدخل في مشاجرات خمسَ مرات في اليوم، والآنَ أنا أصلي، وأجثو على ركبتيَّ خمسَ مراتٍ في اليوم»[233].

وقد كانت حاجات مطاع المادية مشبعةً؛ لأنه كان يعيش في كنف الرفاهية، ولكنه كان يتوق إلى مزيد من الإشباع الروحي، وأراد أن يشبعَ قلبَه وروحه أكثرَ من يديه وجيوبه، وبعد انتهاء شهر رمضان كان موسم الحج قد اقترب، وربما كان الحج هو الذي سيوفر لمطاع الدفعةَ الروحيةَ التي كان يبحث عنها.

وقد قرأ مطاع أنه يجبُ على المسلم أداءُ فريضة الحج مرةً واحدة على الأقل في العمر إذا كان قادرًا جسديًّا وماليًّا، وقد كان قويًّا، وكان لديه المال، والأهم أنه كان يريد زيارةَ بيت الله الحرام، الذي فيه الكعبة المشرفة، وهي بناء كبيرٌ، تكسوه قطعةُ قماش سوداء حريرية رائعة، مطرزة بآيات قرآنية كُتبَت بخيوط الذهب، ووفقًا للعقيدة الإسلامية، فقد بناها إبراهيمُ وابنه إسماعيل عليهما السلام[234]، والكعبةُ مَعْلَمٌ مركزيٌّ في الإسلام؛ إذ يُولِّي المسلمون في جميع أنحاء العالم وجوهَهم شطرَها في صلاتهم، وكان اختيارُ مكة المكرمة لبناء الكعبة فيها مهمًّا أيضًا؛ لأن الله جعلها حَرَمًا وملاذًا آمنًا، لا يحدث فيها قتلٌ، وتكون سلامة الجميع فيها مضمونة[235]، وبالنسبة إلى مطاع، فقد كان وجود مكان على وجه الأرض يكونُ الأمن فيه مضمونًا، ويحرُمُ فيه القتل، ولا يمكن فيه ارتكابُ الجرائم العنيفة، أمرًا لا يمكن تصورُه، وكان عليه أن يرى بنفسه كيف يمكنُ أن يكونَ مكانٌ مثلُ هذا موجودًا على الأرض.

وكذلك قرأ وسمع روايات تدورُ حولَ كون الحج تجربةً روحيةً عميقةً، وكان المقصود من هذه الشعيرة الدينية المهمة إحياء ذكرى أمر الله لإبراهيم عليه السلام بذبح ابنه الوحيد إسماعيل عليه السلام، وقد احتوى الحج على كثير من المناسك؛ مثل الطواف بالكعبة، وذبح الأضحية، وقص الشعر، وبالنسبة إلى مطاع لم يكن أداءُ هذه المناسك يُقرِّب المرءَ من الله فحسب، فقد قرأ جزءًا من حديث يقول فيه النبي ﷺ: «وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ ما كَانَ قَبْلَهُ»[236]. وبعدَ سنوات عدة من ظلمه لنفسه نفسيًّا وجسديًّا بالكحول والتدخين، وبعد وقتٍ طويل من التورُّط في أعمال عنفٍ لا معنى لها، قرَّر أخيرًا الحجَّ في ذلك العام؛ وهو ما سيمنحه الدفعةَ الروحية المُطهِّرة التي يحتاج إليها.

وفي مرحلة ما خلالَ الوقت الذي كان مطاع يسجل فيه في أستوديو 56، التقى بمصور فيديو عمِل مع ميكال يُدعَى عبدالله عميش.

ومع مرور الوقت صار هو وعبدالله صديقَيْن، وأصبحا مقربين جدًّا على المستويَيْن المهني والشخصي، وتصادف أن تحدَّث معه مطاع ذاتَ يوم، وأعلن نيته أداء فريضة الحج في ذلك العام، وهو لا يعرف أن عبدالله كان لديه معرفة مُوَسَّعة بمنظمي رحلات الحج السياحية في أمريكا، وما إن عَلِمَ عبدُالله بخُطَط مطاع، حتى عرض إيصاله بوكالة سياحية من شأنها أن توفر له تجربة للحج على أعلى مستوى، وقبِلَ مطاع العرض بشغف، وسأله عما يجب عليه فعله؟ فلم يكن يعلم شيئًا عن العملية؛ لا عن السفر إلى المملكة العربية السعودية، ولا عن التجهيزات اللازمة، ولكن عبدالله أكَّد له أنه سيكونُ معه في كل خطوة على الطريق، وخلال الأسابيع القليلة التالية، عرَّفه عبدالله بمناسك

الحج، والملابس التي يستطيع (التي لا يستطيع) ارتداءَها، ونمط الحياة في المملكة العربية السعودية، والتحديات التي قد يواجهُها، وما إن تمكَّن عبدُالله من توفير رحلة حج لمطاع على درجة كبار الشخصيات، حتى طلب منه الذهاب للمكتب ليُسدِّدَ كاملَ الرسوم، ويملأ بيانات أوراق السفر اللازمة، فذهب مطاع إلى المكتب، وأنهى الإجراءاتِ الروتينيةَ اللازمة، وضمِنَ رسميًّا مشاركته في حج عام 2003م، وفي طريق العودة من المكتب سار مطاع في صمت رهيب.

لم أُصدِّق أنني ذاهبٌ للحج فعلًا، فقد شعرتُ بأن هذه منحة من الله يا رجل؛ لأن بعض المسلمين يقضُون حياتهم كلها يتمنَّوْن أن يتمكنوا من أداء فريضة الحج، وقد تمكنتُ من فعل ذلك بعدَ أن أصبحتُ مسلمًا ببضعة أشهرٍ فقط، وشعرتُ أن الله يدعوني إلى بيته، وهذا مكانٌ له قداسةٌ خاصةٌ، فقد سار فيه الأنبياء، وبعدَ كل ما فعلتُه في الحياة، وبعدَ كل الآثام التي ارتكبتُها، لقد قَبِلني ومنحني تلك العطيةَ الجميلة، وكانت الدموعُ تتحدَّرُ من عينيَّ طوالَ الطريق؛ لأن تلك المشاعرَ كانت حقيقيةً جدًّا. اللهُ رحيم.

وفي حين كان يستعدُّ للرحلة، ويتلقى التطعيماتِ والفحوصاتِ الطبيةَ، ودَّع كذلك الأصدقاءَ والعائلةَ، وكانت فرقة الأوتلو ستقدمُ عروضًا موسيقية في جولةٍ أخرى، ولكنها كانت جولةً محليةً هذه المرة، وكانت الخطةُ أن يأخذَ مطاع استراحةً قصيرة من الجولات؛ لأداء الحج، وبعدَ أن ينتهي مباشرةً، يطيرُ عائدًا إلى لوس أنجلوس؛ للالتحاق مرةً أخرى بأعضاء فرقة الأوتلو، الذين سيكونون حينَها في جولة في كاليفورنيا، وتطوع هساتشي وكامل لإيصاله إلى المطار، بعد أن جهَّز نفسه لرحلته الجسدية والروحية. يقول هساتشي: إن هذه اللحظة كانَت تأكيدًا واضحًا على أن مطاعًا كان جادًّا في التزامه بدينه الجديد:

عندما سمعتُ لأول مرة أن مطاعًا أصبح مسلمًا، لم أصدقْ ذلك حقًّا، وقلتُ في نفسي: بعدَ مرور نحو 30-60 يومًا سوف يعودُ للشرب ولعاداته القديمة، ولكن مطاعًا أثبت بالتأكيد أني كنتُ مخطئًا، ولقد أصبح حقيقةً رجلًا مختلفًا، ورأيتُ ذلك بمرور الوقت، ورأيتُه عندما قرر الذهابَ إلى المملكة العربية السعودية للحج، وفي ذلك الوقت لم أكن مسلمًا؛ لذلك لم أكن أهتمُّ كثيرًا بما كان يستعدُّ لفعله، ولكن يمكنني القولُ: إنه كان متحمسًا ومتوترًا، وكان سيسافرُ آلافَ الأميال، وحدَه، إلى بلد لا يعرف فيه أحدًا، ولقد كان هذا هو الالتزام يا أخي، فعرفتُ أنه كان جادًّا بشأن إيمانه[237].

وقد ساعده هساتشي وكامل في إجراءات تسجيل الوصول، وتمنَّيا له رحلةً آمنة، وبعدَ ذلك، استقل مطاعٌ الطائرة، وطار آلاف الأميال إلى جدة، بالمملكة العربية السعودية، وكانت أول محطة في جولته زيارة المسجد النبوي بالمدينة المنورة.

لقد كان الأمر صعبًا نوعًا ما في المرة الأولى التي أتيْتُ فيها إلى المملكة العربية السعودية؛ ففي ذلك الوقت لم تكن متطورةً كما هي الآن؛ لذلك عندما وصلنا إلى جدة كانت هناك طوابير طويلة في كل مكان، وهو ما لم أكن معتادًا عليه، ولكن أحدهم قال لي منذ البداية: إن الحج يتطلب الصبرَ، وهذا

من أجمل الأشياء الكثيرة التي تتعلمها عن نفسك؛ فقد علمني الحجُّ الصبرَ، وعلمني التواضع، وطالما أحببتُ أن أكونَ الرجل المتحكم في كل شيء، وقد علمني أنه لا يسعنا إلَّا أن نرجوَ من الله أن يُعينَنا على ذلك؛ فالأمرُ كله بيد الله، وبعدَ أن تحرَّكنا من مطار المدينة المنورة، أدهشني عددُ أشجار النخيل الموجودة، فلقد ذكرني ذلك نوعًا ما بلوس أنجلوس... لكن مع وجود الكثير من الرمال (يضحك) ولقد كانت الصحارى شاسعةً على مد البصر، تمامًا مثلَ ما تراه في الأفلام، وأكثرُ ما لفَتَ نظري في البداية هو عدد الأشخاص المختلفين هناك: من أفارقة، وأوروبيين، وآسيويين، وعرب، وروس، ومن أمريكا اللاتينية... كل هؤلاء الناس مجتمعون في صعيد واحد، بلا عنصرية، وبلا تمييز، والجميعُ يبتسمون، ويتعاونون، ويُقدِّمون الطعامَ، فلقد كان لذلك تأثيرٌ قويٌّ، قويٌّ جدًّا، ولم أكد أُصدِّق ما أراه وأنا القادمُ من أمريكا، واستطعتُ أن أرى كيف تأثر مالكوم حقًّا... مشهد التآخي بين البشر من شأنه أن يمسَّ من كان له قلبٌ.

وصل مطاع أخيرًا إلى المدينة المنورة، وعندما خرج من المطار، واستقلَّ الحافلةَ السياحية التي ستُقِلُّه إلى الفندق، كان متفاجئًا بغياب الحرارة الشديدة، ولقد قيل له: إن حرارة المملكة العربية السعودية لا تُطاقُ في بعض الأحيان، ولكن كان موسم الحج في ذلك العام خلالَ فصل الشتاء في المملكة العربية السعودية، وكان الطقس باردًا ومبهجًا، يُذَكِّرُهُ بأيام بدايات الصيف المعتادة في لوس أنجلوس، وكانت أشجار النخيل الشاهقة تصطفُّ على جوانب الطرق في أثناء توجُّههم بالسيارة من المطار إلى الفندق، وقد أثار هذا المشهدُ حنينَه على الفور إلى الوقت الذي رأى فيه أشجار النخيل لأول مرة في يونيفرسال ستوديوز، عندما حصل باك على أول صفقة لهم باسم (دراماسايدل) ومع عدم وجود أي أمريكي غيره في تلك الحافلة، غرق مطاعٌ في بحرٍ من اللغات والمحادثات غير المألوفة، ولم يكن ذلك مزعجًا على الإطلاق؛ بل كان تذكيرًا بأن العالمَ مكانٌ كبيرٌ للغاية، به أشخاص مختلفون من شتى المشارب، وكلٌّ منهم قادر على أن يُناجي اللهَ بلسانه؛ فقد كان هذا أمرًا مدهشًا.

ومع عدم قدرته على التحدُّث مع أي شخص حتى الآن، لجأ إلى النظر من النافذة؛ فقد كانت هناك مساحاتٌ شاسعةٌ من الكثبان الرملية البيضاء الجبلية؛ ما ذكَّره بالصحارى التي رآها في طريقه إلى لاس فيغاس؛ والفارق الوحيد أن مطاعًا لم يكن هذه المرةَ في حاجة إلى الصحارى لمساعدته على فهم الأشياء؛ بل كان يُحَدِّقُ فيها فحسب، معجبًا بجمالها وغموضها؛ فقد أخفَت كثيرًا من القصص التي لم تُروَ عن القرون الماضية، وعندما وصل أخيرًا إلى الفندق، ودخل غرفته، فرَّغ حقائبَه، واستراح استعدادًا للشعائر الصعبة المقبلة.

وكانَ وقتي في المدينة المنورة جميلًا؛ لقد كان راحةً لا تُوصَفُ، وقد أحبَّ النبيُّ ﷺ المدينة المنورة، ويمكنني معرفة السبب؛ فإنها شديدةُ الهدوء ومريحة، وانطلقتُ على الفور إلى المسجد النبوي، الذي كان مُذهلًا، وكانت الأرضيةُ الرخاميةُ تغطي كاملَ المكان، ومآذن المسجد الشاهقة التي يمكنك رؤيتها من على بُعد أميال، وكان التصميم الداخلي للمسجد جميلًا، وأعتقد أنهم كانوا يشعلون بخور

خشب الصندل في المسجد ما جعل رائحته طيبة، وكنتُ أقولُ في نفسي: إذا كان هذا المسجد بهذا الجمال، فكيف سيكونُ المسجد الحرام في مكة المكرمة، وقد وقعَت لي قصةٌ طريفةٌ؛ إذ كنت أسير خارجَ المسجد، فسمعتُ أحدَهم يقولُ: «السلام عليكم يا أخي، من أين أنت؟». قلتُ: «وعليكم السلام. أنا من إيرفينغتون». فقال: «انتظر لحظةً! مطاع؟ أهذا أنت؟!». اتضح أنه رجل اعتدتُ على التسكع معه في إيرفينغتون؛ واسمه علي ووب، وكان رجل عصابات، ولم أشاهده تقريبًا منذ 10 سنوات! فلا يمكنك تخيل المفاجأة التي ارتسمَت على وجهَيْنا عندما التقينا مجددًا، بعد 10 سنوات، بعدَ أن أصبحنا الآن مسلمَيْن، في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة؛ استعدادًا للحج في العام نفسِه! فلم يكد يُصدِّقُ أني أسلمتُ، ولم أُصدِّق أنه كان كذلك! فتعانقنا على الفور، واطمأنَّ كلٌّ منا على أخبار الآخر، فقد كان ذلك عجيبًا، ولم أرَه مرةً أخرى بعدَ ذلك في أثناء الحج، ولكن تصادفَ أن التقينا بعدَ بضع سنوات.

ومع تأهب مطاع للاستعداد للذهاب إلى مكة المكرمة، لبس ثوبَ الإحرام، وهو ثوبٌ قطنيٌّ أبيض من قطعتَيْن، قطعة للجزء العلوي من الجسم، وقطعة للجزء السفلي، ولا توجد محفظة، ولا سروال فضفاض، ولا أحذية على أحدث صيحة، فليس هناك سوى قطعتَيْن بسيطتَيْن من القِماش الأبيض لجميع الناس: غنيهم وفقيرهم، مشهورهم ومغمورهم، وهناك يتساوى السياسيون، بل الملوك، مع سائقي التاكسي، وفي تلك اللحظة، دُهِش من قوة البساطة، وكيف أصبحَت هاتان القطعتان من القماش وسيلة عظيمة للتسوية بين الناس، ولم تكن المكانةُ مهمةً؛ فالجميعُ هناك فقط من أجل الله وحدَه، والآن كان يستعدُّ لركوب الحافلة لمدة أربع ساعات إلى مكة المكرمة، حيث سيصل أخيرًا إلى المسجد الحرام والكعبة المشرفة، وفي أثناء الرحلة، نظر مطاع مرة أخرى من النافذة، ينظر إلى نفسه في زي الإحرام تارةً، ويُحدِّقُ في الصحراء أخرى، يا رجل، في مثل هذا الوقت من العام الماضي كنتُ في الملهى الليلي، في حالة سُكْر، أُثير المتاعب، وانظر إليَّ الآن؛ في حافلة مليئة بأناسٍ لا أعرفهم ولا يعرفونني، ولا أستطيعُ التحدثَ بلغتهم، ولا يمكنهم التحدُّث بلغتي، ومع ذلك، كلُّ شيء جيد، فالناسُ يبتسمون، ولا أحدَ يخافُ من أحد، وهذا مذهل، وعندما وصلوا أخيرًا إلى مكة المكرمة، نزل الجميعُ، ووصلوا إلى الفندق، وأنزلوا أمتعتهم، وتوجهوا مباشرةً إلى المسجد الحرام، وكانت هذه اللحظة بالنسبة إلى مطاع منقطعة النظير.

ومع اقترابه من المسجد الحرام استطاع من مسافة بعيدة رؤية مآذنَ شاهقةً تشق عنان السماء، وكانت أضخمَ من مآذن المسجد النبوي، واستمرَّ في المشي، ولاحظ شيئًا شديدَ الغرابة؛ لقد رأى سربًا من الحمام، من نحو 30 إلى 40، قادمًا أمامَه، ولم يَرَ قطُّ هذا العدد من الحمام معًا في وقت واحد، وكان متأكدًا من أنه حين يقتربُ منها ستطيرُ بعيدًا، ولكن ما أثار دهشته أن هذا لم يحدث، ولم تتزحزح من مكانها، بل ظل يقتربُ، وهي تتجول حولَه ببساطةٍ سامحةً له بالمرور، ولم تكن خائفةً ولا مذعورةً، ولو أراد أن يُمسكَ بإحداها، ويحملَها لأمكنَه ذلك، فقد كان الأمرُ كما لو أن الحمامَ يُرحِّبُ به، ويؤكدُ أن الجميعَ هنا آمنون مطمئنون، حتى الحمام، وكان كل شيء رائعًا، ولم يُصَدِّق ما

رأته عيناه، ولم يستطِع الانتظارَ للعودة إلى لوس أنجلوس ليخبرَ ريف وكاملًا ومؤمنًا والأصدقاء، ولا شك أنهم لن يُصدِّقُوه.

ومع اقترابه بدأ جلالُ المسجد يتبدَّى له، وغَمَره جمالُه الأخَّاذ؛ بجدرانه وأرضيته الرخامية، وقد كان قصرًا طاهرًا، ولكنه لم يكن لملك، بل كان بيتَ ملك الملوك، ودخل المسجد، وشقَّ طريقَه إلى الكعبة المشرفة، وعلى الرغم من وجود جمع غفير من الناس، غاب عن ناظره مئاتُ الآلاف من المصلين، فكأنهم غير موجودين، وعندما وقعَت عينُه على الكعبة المشرفة التي كان يراها فقط في الصور وفي الفيديوهات، وهو يسيرُ بخفةٍ يبحثُ عن أسهل الطرق للتنقُّل بينَ هذه الأمواج البشرية، وجد نفسَه فجأةً أمامَ الكعبة، وكان يعتقدُ أن لديه فكرةً جيدةً عما سيبدو عليه الشعورُ عندَ النظر إلى الكعبة، ولكنه كان مخطئًا، فقد كانت اللحظة خياليةً، وكانت بحجم مبنى صغير جدًّا من طابقَيْن، مغطاةً بكساء منسوج من الحرير الأسود القاتم، وكُتب عليه اسم الله باللغة العربية.

وكانت الكسوة مُطرَّزةً أيضًا بآيات قرآنية كُتبَت بالخيوط الذهبية، وكان هناك باب ضخم من الذهب الخالص عندَ أحد أركان الكعبة، يقفُ بجواره ضابطُ شرطة مسؤول عن حفظ النظام، وهذا شعورٌ مهيبٌ حقًّا؛ فمحمدٌ ﷺ كان هنا، والأنبياءُ كانوا هنا، وأبوبكر كان هنا، وعمر بن الخطاب كان هنا... كان مالكوم هنا، وكان محمد علي هنا، وأنا الآن هنا، أتى بي الله من إيرفينغتون إلى هنا، فكيف لا أحبه؟

وقف مطاعٌ هنالك في صمت خاشع بضع دقائق، حتى أبلغه مرشدُه السياحي أنهم سيبدؤون مناسك الحج.

وقد قضى مطاعٌ الأيامَ القليلة التالية ينهل من الفيوضات الروحية التي كان يتلقاها، وقد تعلَّم عددًا قليلًا من الكلمات والعبارات العربية الجديدة، والتقى بأشخاص من جميع أنحاء العالم، وتحدث إلى عدد قليل من المعجبين الذين تعرفوا إليه، وفي النهاية أكملَ المناسكَ بعدَ ستة أيام.

ولقد كانت تجربةً لا تُصدَّق، وأنا في غاية السعادة بأني فعلتُ ذلك، وكان هذا بالتأكيد هو ما أحتاج إليه؛ لتصفية ذهني، وتطهير جسدي، وتنقية روحي، وقد قضيتُ أسبوعَيْن دونَ هاتف، ولا توجد إمكانية الوصول إلى البريد الإلكتروني، ولا أي شيء من هذا القبيل، ولم يكن الحال وقتها كالحال الآن، فالآن يمكنك الوصول إلى كل شيء من خلال هاتفك الذكي؛ لذلك أمضيتُ أسبوعَيْن بعيدًا عن كل شيءٍ، قريبًا من الله، ولقد قضيتُ الكثير من حياتي في ضلالٍ، والآن شعرتُ أخيرًا أنني فعلتُ ما يُرضي اللهَ لأول مرة في حياتي، وكان الأمرُ كما لو أني أصبحتُ رجلًا آخر. لا، بل بالفعل أصبحتُ رجلًا آخر، ومنذ ذلك الحين، عرفتُ أن علاقتي بغناء الراب قد انتهَت، وأردتُ فقط أن أعيشَ الحياةَ وفقَ ما يُرضي اللهَ، وأن أُصبحَ شخصًا أفضلَ.

وعندما عاد مطاع إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فوجئ ستيف وفرقة الأوتلو، لمَّا أخبرَهم أنه لا يستطيع العودة إلى الجولة، وقال مطاع: إن رحلته إلى مكة المكرمة هي الدافع الرئيس وراءَ القرار؛ لأنه ببساطة لن يستطيعَ العودة إلى خشبة المسرح، ولا استخدام الألفاظ النابية، والوجود في بيئات يشيع فيها التدخينُ وشرب الخمر، بعدَ التطهير الروحي والعقلي الذي تلقَّاه، فاحترموا موقفَه تمامًا، وتمنَّوْا له الخيرَ، وطلبوا منه البقاءَ على اتصال، وعلى الرغم من أن مطاعًا قد ترك الآن فرقة الأوتلو رسميًّا بوصفها فرقةَ راب، أوضح أن ما بينهم من رابطة الأخوة باقٍ.

ولقد خاضوا المعارك معًا، ونشؤوا معًا، وضحكوا معًا، وتمازحوا معًا، وحزنوا معًا، وسيبقون على اتصال أينما كانوا في العالم؛ وستظل رابطةُ فرقة الأوتلو قائمةً مدى الحياة، وعلى الرغم من مغادرته لفرقة الأوتلو، لن يترك مهنته في موسيقا الراب تمامًا؛ فقد فكر في بدء مسيرة منفردة بعد أن التقى صديقَه القديم، المنتج جوني جيه، ولحل معضلة موسيقا الراب في ضوء روحانيته، ستكون كلمات أغانيه «كلمات نقية»[238]، بلا أي ألفاظ نابية، وسيتبنى رسالةً إيجابيةً.

وسيُطلَق على الألبوم الجديد *Scriptures From a Thug's Point of View* [239] (الكتب المقدسة من وجهة نظر بلطجي)، وكان سيضم بعضًا من أفضل أعماله، وبدأ التسجيل في أستوديو مختلف في كاليفورنيا، حيث سيلتقي كثيرًا بمايك إيبس في طريقه؛ لأن مايك كان يعيش في المنطقة، فأطلعه مطاعٌ على آخر تطورات حياته، وأخبر مايك عن المشروع الفردي الجديد، فسَعِدَ مايك بمعرفة أن مطاعًا كان يفعلُ ما فيه الصالح له، ودعمه في مسعاهُ الجديد، وكان مايك غالبًا ما يأتي إلى الأستوديو، ويتسامر مع جوني جيه، ومطاع في أثناء عملهما على إنهاء الألبوم، وعلى الرغم من أن مطاعًا لم يُصدِر هذا الألبوم، فقد أظهر أنه لا يزال يمتلكُ البراعةَ الغنائيةَ نفسَها التي امتلكها طوالَ حياته، ومن خلال التسامُر في أثناء جلسات التسجيل، عزَّز علاقتَه مع مايك إيبس، وقد أُصيب مايك وجوني بخيبة أمل؛ لأن الألبوم لن يصدر، على الرغم من أنه كان أفضلَ أعمال مطاع، وقال مطاع في النهاية: إنه عرف أن إصدار الألبوم سوف يفتحُ عليه بابَ الإغراءات نفسها التي ترك فرقة الأوتلو من أجلها؛ لذلك كان من الأفضل له الابتعاد تمامًا عن اللعبة، وقد تفهما ذلك، واحترما قراره.

وبحلول هذا الوقت، كان مطاع قد أسس عائلة، وبعدَ أن تخلى عن الراب، بدأ في البحث عن وسيلة بديلة لكسب الرزق، وتواصلَت معه منظمةٌ في المملكة العربية السعودية ليُصبِحَ متحدثًا تحفيزيًّا، وبذلك يستطيعُ أن يلفت أنظارَ الشباب إلى أخطار الانغماس في أسلوب حياة العصابات، وعواقب ذلك الضارة، والمأساوية في كثير من الأحيان، ومع تجربته في الحج التي لا تُنسَى، ومع رغبة مطاع في الاقتراب من مكة المكرمة والمدينة المنورة، قَبِلَ العرضَ، وانتقل بعائلته إلى المملكة العربية السعودية عامَ 2004م، حيث بدأ فصلًا جديدًا في حياته، وإن كان هذا الكتاب سوف ينتهي الآن مع الأسف، فإن قصة حياة مطاع لم تنتهِ بعدُ، وفي الوقت المناسب سوف تُروَى تفاصيل عن

حياته الجديدة وعن أسرته، وستُسرَدُ حكاياتٌ دراميةٌ عن تجاربه بوصفه مسلمًا أمريكيًّا يعيشُ في بلد أجنبيٍّ عنه.

رائع يا أخي! هل فعلناها؟! لا أُصدِّقُ! هل انتهينا؟! لا أجدُ ما أقوله غيرَ أن هذا كان إبحارًا في رحلة حياتي، تذكَّرنا فيها كيف وصلتُ إلى هذه النقطة، فكلُّ شيء يحدث لحكمة، فقد رحل أبي وأمي عندما قضى الله ذلك، وأسأله تعالى أن يتغمدهما بواسع رحمته، وكانت نشأتي في إيرفينغتون شديدة القسوة، ولكنها جعلتني وإخوتي وأهلي على ما نحنُ عليه، ولم أكن لأحقِّق ذلك بأي طريقةٍ أخرى، ولن أنسى ما حييتُ الحبَّ الذي أظهره لي باك وعائلته، ولقد تعلمتُ منه الكثير، وإني ليحزنني أنه رحل، وأنا حزين كذلك لرحيل بيغز، ولرحيل القذافي، وقد فقدنا كذلك بيغ سايك، وفيتل، وأفيني في أثناء رحلة الحياة، وهذا يُظهر لك أن الحياةَ قصيرةٌ وغاليةٌ، وأنا سعيدٌ بتحولي إلى الشخص الذي أصبحتُ عليه اليومَ، ولن أرجعَ إلى الوراء أبدًا، فإما أن تربحَ أو تتعلم... لكنك لن تخسر أبدًا في الحياة، ولا يهم أبدًا كيف تبدأ الحياةَ، المهم هو كيف تُنهيها، وأتمنى أن أكونَ ذكرتُ كلَّ شخص وقف بجانبي هنا، وأعتذرُ بصدقٍ إذا فاتني سهوًا ذكرُ أي شخص، وأؤكد أن ذلك ليس مقصودًا، فمن المؤسف ألَّا أستطيعَ بصدقٍ تذكُّر خمس ما مر في حياتي. (يضحك). حُبِّي للجميع، وتحياتي لإخواني أعضاء فرقة الأوتلو.

مع خالص تقديري لكم جميعًا، ولن تكونَ هذه هي نهاية المطاف؛ فما زال هناك الكثير من الأشياء الأخرى لتُحكى، وعلينا أن نفعلَ ذلك مرةً أخرى؛ لذلك حتى ألقاكم مجددًا، أتمنى لكم التوفيق. والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

القصيدة الختامية:
الحياة قاسية

إذا لم تكونوا متيقظين في الصباح في مناطق الكراك...

حاملين مسدساتكم الغلوك المُعبَّأة...

في أماكن نصب الفِخاخ، سيكون الأمرُ خطيرًا جدًّا...

فرجالُ الشرطة لن يطرقوا عليكم الأبوابَ، ولن يحاولوا إيقافَكم...

وستكونون في وضعٍ لا يسمح لكم بإخباري...

إذا كان الأمر خطيرًا من عدمه...

لأن الحياةَ قاسية...

حاولتُ إخبارَكم بهذا من قبلُ عندما كنتُ عضوًا في فرقة الأوتلو...

كنت معروفًا بأني أولُ من يسحب مسدسَه...

وآخر من يرحل، مسدسي في يدي جاهزٌ للإطلاق...

لكن كان هذا كله في الماضي...

نعم، لقد كان هذا من قبلُ...؛

لأن الحياةَ قاسية...

لن تنجُو مما نجوتُ منه؛ لقد أُطلق عليَّ الرصاص، وأطلقتُ الرصاص...

كنت أتنفسُ اللهيبَ حتى أنجوَ من عقبات الحياة...

ولم يكن لديَّ شيءٌ لأخسرَه...

كنتُ طفلَ الغَضَب، إما الفوز وإما الفوز، ولا مكان للخسارة...؛

لأن الحياةَ قاسية...

نعم، لقد كنتُ خطيرًا كما قال البعض...

حتى أصبحتُ شديدَ الغضب، وكنتُ مدمنًا على الشرب...

وإطلاق الرصاص على أعدائي وخصومي...

كان هدفي في ذلك الوقت أن أراهم مدفونين...

لكن كان هذا كله في الماضي...

إن لم تكن تعيشُه، فلا داعيَ للسؤال عنه...

كنتُ أطلقُ الرصاصَ أولًا، ثم أطرحُ الأسئلة بعدُ...

التسليمُ يدًا بيدٍ، مع محاولة عدم الوقوع...

نعم كان هذا كلُّه في الماضي...؛

لأن الحياةَ قاسية...

مطاع بيل

خاتمة

الدكتور عثمان برناوي

منذ مدة طويلة، وقصصُ تجاوُز تجربة الإيذاء في أدبيات الأمريكيين السود ـ سواءٌ كانت تاريخيةً، أو سياسيةً، أو ثقافيةً، أو اجتماعيةً، أو اقتصاديةً، أو دينيةً، أو أيديولوجيةً ـ تُروَى في أشكال وأنواع مختلفة، من بينها الروايات، والمقالات، والقصص القصيرة، والأفلام، والمقالات النقدية، والكتب، والدراما، والرسومات. ويأتي كتابُ *Life is RAW: The Story of a Reformed Outlaw* (الحياةُ قاسية: قصة عضو فرقة الأوتلو مهتدٍ) ليقدم لنا قطعةً فكرية أخرى تُتيحُ لنا أن نُجَرِّب ـ بوعيٍ وبلا وعي ـ لحظة ترابط جسدنا، وعقلنا، وروحنا، وقلبنا، ويا لها من تجربة إنسانية قدمتُماها لنا يا مطاع بيل ويا سليمان جنكيز!

في مقال بعنوان (نهاية الرواية الأمريكية السوداء: دعواتٌ في القرن الجديد إلى قصص جديدة ترتكز على الحاضر، تاركةً وراءَها التاريخَ المؤلم للعبودية وتبعاتها)، يذُكِّرُنا تشارلز جونسون بأن «القصة الجيدة تكونُ دائمًا ذاتَ معنى (وأحيانًا ذات طبقات من المعنى)؛ ولها أيضًا مهمة معرفية: وهي أنها تُظهر لنا شيئًا ما» (2008م). وهذا الكتابُ الذي بين أيدينا لم يُظهر لنا شيئًا ما فحسب، بل يبدو أيضًا أنه يدعونا، نحن المعلمين، والباحثين، وكُتَّاب القصص، لنكونَ مسؤولين عن الطُّرُق التي أُكِّدَ بها منذ فترة طويلة على سرد الإيذاء في قصص الأمريكيين السود.

وإذا قرأنا وتفاعلنا بعمق مع سرديات الآلام، والقهر، والمكاسب، والشجاعة، والكرامة، والأفراح، والاحتفال، والرغبات، والأحلام، والتوترات، والصراعات، والمفارقات، والوعود، الموجودة في ثنايا محادثات مطاع بيل وسليمان جنكيز، يمكننا النظر إلى ما قدَّماه على أنه «فتراتُ توقف عميقة» (على حد تعبير باتيل، لعام 2016م)؛ وقفاتٌ تُتيح لنا فُرَصًا للتوقف، والتحليل النقدي والتفكيك لكلمات، وقواعد، ونغمات، وأصوات، ولغات، ومفردات، ومواد سردهما؛ بهدف تجاوز السرد السائد للإيذاء في قصص الأمريكيين السود، وهذا الكتاب هو استجابةٌ حقيقيةٌ وحاسمةٌ لدعوات تشارلز جونسون بأنه «في القرن الحادي والعشرين، نحتاج إلى قصص جديدة وأفضل، وإلى مفاهيم جديدة، وإلى مفردات وقواعد جديدة، لا تستندُ إلى الماضي، بل إلى المستقبل الخطير والمثير وغير المُستكشَف». (2008م).

الدكتور عثمان برناوي

أستاذ مساعد، الهيئة المَلَكية بمدينة ينبع الصناعية المملكة العربية السعودية

خاتمة المؤلف

وقع الكثيرُ من الأحداث خلالَ الـ 17 عامًا التي قضاها مطاع في المملكة العربية السعودية، وستكونُ تفاصيل هذه التجربة ضمنَ مشروع كتاب قادم، ومع ذلك، هناك تطوراتٌ ملحوظةٌ، شعرْتُ أن من الأهمية بمكان أن أشاركَها معكم الآن، على الرغم من أنَّنا سنتناولُ تفاصيلَ حياة كلِّ شخصٍ في المستقبل القريب.

مؤمن انتهى به المطاف إلى قبول الإسلام بعدَ أن أظهر في البداية معارضةً شديدةً له.

شريف وكامل أسلما بعدَ أسابيعَ قليلة من إسلام مطاع رسميًّا.

لون أصبح مسلمًا في النهاية، واتخذ لنفسه اسمَ أمير، وقد أصبح هو ومطاع صديقَيْن مقربين بعد أن كانا عدوَّيْن، وبدأ كلاهما يسافر في جولات تحفيزية حولَ العالم، وأمير مسجونٌ حاليًّا، ومطاع يبذلُ كلَّ ما في وسعه للمساعدة على إطلاق سراحه من السجن.

أنهى ليتل سيس، ويَنْغ نوبل، ومطاع ما بينهم من خلافاتٍ بعد أن نضجوا، وأدركوا أن عداءَهم لا يتعلَّقُ بأي شيءٍ ذي أهمية.

حسين فيتل تُوُفِّيَ مع الأسف في 11 يوليو 2015م[240].

أفيني شكور تُوُفِّيَت مع الأسف في 2 مايو 2016م[241].

بيغ سايك تُوُفِّيَ مع الأسف في 5 ديسمبر 2016م[242].

كان عليَّ أن أُخرِجَ قصة مطاع على هيئة كتاب؛ لكي تقرأها؛ لأنك لن تتمكن من قراءة قصته من خلال النظر إلى وجهه، فمطاعٌ لم يكُن يعرفُ الابتسامَ حتى ذلك اليوم المصيري الذي ذهب فيه إلى المسجد، ولم يتوقف عن الابتسام بعدَها، تعلمتُ خلالَ هذه العملية الأدبية المذهلة أنه عند التعامل مع الناس، لا يمكن للمرء أن يعرفَ حقًّا القصصَ الكامنة وراءَ ابتساماتهم وضحكاتهم بمجرد النظر إليهم.

والآنَ، يمكنني القولُ: إنك مررتَ بكل التقلُّبَات التي مررتُ بها، وأنا أكتبُ هذا الكتاب، ولكن من المهم أن نلاحظ أنه على الرغم من أن هذه كانت رحلةً في حياة مطاع، فإنها في الوقت نفسه قصة إنسانية في المقام الأول، ففي معالجته لجميع الأحداث المأساوية والسعيدة التي حدثَت في حياته، ذكَّرني بأن الروحَ البشريةَ - وليست الروح السوداء، ولا الروح البيضاء، وليست الروح الإفريقية،

ولا الروح العربية، ولكن الروح البشرية - خلالَ رحلة الحياة هذه قادرةٌ على تجربة عدد لا يُحصَى من نوبات الألم المخيفة، وهي كذلك قادرة على تجربة عدد لا نهايةَ له من لحظات الإلهام، والتنوير، والسعادة، فنحن نسير دائمًا على حبل الحياة المشدود، مُوازِنين بين الصبر في الضراء، والشكر في السراء.

وستلاحظُ أيضًا أن هناك أسئلة عدة كانت تُطرَح طوالَ الوقت، منها ما هو مجازيٌّ، ومنها ما هو خلاف ذلك، وقد أُجيبَ عن بعض هذه الأسئلة، وبعضها - في رأيي - ما زلنا نبحث عن إجابات له بعد نحو 25 عامًا من طرحه، والعالم ليس مكانًا مثاليًّا، ولسنا مثاليين إلى حدٍّ بعيد، ولكن هذا لا يمنعنا نحن البشر من السعي للتغلب على ما نجده في طريقنا من عقبات، ومن شياطين أنفسنا، لنضطلعَ بدورنا في جعل العالم مكانًا أفضلَ للعيش، وإنه واجبُنا ومسؤوليتنا، وكان مطاع يبحثُ يائسًا عن السلام الداخلي في الوقت الذي كان فيه الغضبُ والارتباكُ يدمرُ روحَه، ولكنه امتلكَ الشجاعةَ لينظُرَ داخلَهُ، ويعلمَ أن التغيير للأفضل كان هو الخيارَ الوحيد، وأنا أدعوكم، إخواني وأخواتي، أبناء وبنات آدم وحواء، أن ينظرَ كلٌّ منكم داخلَه، ويسألَ نفسه: ما الدور الذي يمكنني من خلاله جعلُ العالَم مكانًا أفضل للعيش؟

Sulaiman Jenkins

المصادر والمراجع

حرصًا على صحة الكتاب، تحرَّى المؤلفُ البحثَ بجد عن المعلومات من مصادرها الموثوقة، ومن بينها المقابلاتُ الشخصية، والكتب، ومقاطع الفيديو، والأفلام الوثائقية، ومصادر الإنترنت، وفي حالة العثور على أي تناقضات كبيرة تتعلَّقُ بالأحداث أو الأشخاص ضمنَ هذا النص، ستُجرَى التعديلاتُ اللازمة في الطبعات القادمة من الكتاب.

يُرجى التواصل على ceo@asjventuregroup.com في حالة وجود تصويبات.

المراجع العربية:

ابن كثير، تفسير ابن كثير (مختصر). (الرياض: دار السلام، 2003م). المجلدان 1، 3.

النووي، (رياض الصالحين). (الرياض: دار السلام، 1999م). المجلدان 1، 2.

2Pac. (2011). DearMama (OfficialMusic Video). [Video]. YouTube. Retrieved from https://www.youtube.com/watch?v=Mb1ZvUDvLDY.

2PacLegacy. (2016). Tupac recorded "Ain't Nothin' Wrong," "Black Jesuz," & "Just Like Daddy." 2Pac Legacy. Retrieved from https://2paclegacy.net/tupac-recorded-aint- nothin- wrong-black-jesuz-just-like-daddy/.

2PacLegacy. (2017a). Geronimo Pratt—Tupac's Godfather. Retrieved from https://2paclegacy.net/geronimo-pratt-tupacs-godfather/.

2PacLegacy. (2017b). Tupac signed contract with TNT & Interscope Records. Retrieved from https://2paclegacy.net/tupac-signed-contract-with-tnt- interscope-records/.

2PacLegacy. (2019a). Makaveli—The Don Killuminati (The 7 Day Theory) [Official Album], November 5, 1996. 2PacLegacy. Retrieved from https://2paclegacy.net/tupac- the-don-killuminati-the-7-day-theory/.

2PacLegacy. (2019b). Where did Tupac live? 2Pac Legacy. Retrieved from https://2paclegacy.net/where-lived-tupac-bronx-baltimore-marin-oakland-l-a/.

2PacLegacy. (2019c). Tupac & Mike Tyson friendship. 2PacLegacy. Retrieved from https://2paclegacy.net/tupac-mike-tyson-friendship/.

Abdilla, J. (Director). (2019). Napoleon: Life of an Outlaw [Documentary]. United States: Straight Path Productions.

Abrahamson, A., & Philips, C. (1997). Rap mogul "Suge" Knight sent to prison for 9 years. Los Angeles Times. Retrieved from https://www.latimes.com/archives/la- xpm-1997-03- 01-me-33733-story.html.

Allah, S. B. (2018). Tupac Shakur's 'Don Killuminati: The 7 Day Theory' was released 22 years ago. The Source. Retrieved from https://thesource.com/2018/11/05/today- in-hip- hop-history-tupac-shakurs-first-posthumous-album-don-killuminati-the-7-day- theory- was-released-22-years-ago/.

Allah, S. B. (2019). Today in hip-hop history: Notorious B.I.G. is laid to rest, epic funeral procession held in hometown of Bed-Stuy 22 Years Ago. The Source. Retrieved from https://thesource.com/2019/03/18/today-in-hip-hop-history- notorious-b-i-g-is-laid-to- rest-epic-funeral-procession-held-in-hometown-of-bed- stuy-22-years-ago/.

Anderson, J. (2019). The B-Side that deepened Biggie and Tupac's rift. Retrieved From https://slate.com/culture/2019/11/slow-burn-tupac-biggie-who-shot-ya-vibe- escalation. html.

Berkow, I. (1995). After three years in prison, Tyson gains his freedom. The New York Times. Retrieved from https://www.nytimes.com/1995/03/26/sports/boxing- after-three-years- in-prison-tyson-gains-his-freedom.html?pagewanted=all.

Billboard. (n.d.). Outlawz chart history. Billboard.com. Retrieved from https://www. billboard.com/music/outlawz/chart-history/TLP/song/396780.

Billboard. (2016). Big Syke, Tupac collaborator, dies at 48. Billboard. Retrieved from https:// www.billboard.com/articles/columns/hip-hop/7604016/tupac-big-syke-dead- 48.

Birchmeier, J. (n.d.). Novakane-Outlawz: Songs, reviews, credits. Allmusic.com. Retrieved from https://www.allmusic.com/album/novakane-mw0000591238.

Blair, M. (2018). One of Biggie's final radio appearances is a moment that can never be tuned out (Video). Ambrosia for Heads. Retrieved from https://ambrosiaforheads. com/2018/07/biggie-final-interview-freestyle-video/.

Box Rec. (n.d.) Bruce Seldon vs. Mike Tyson. Box Rec. Retrieved from https://boxrec.com/ media/index.php/Bruce_Seldon_vs._Mike_Tyson.

Box Rec. (n.d.) Frank Bruno vs. Mike Tyson (2nd Meeting). Box Rec. Retrieved from https:// boxrec.com/media/index.php/Frank_Bruno_vs._Mike_Tyson_(2nd_meeting).

Bristout, R. (2018). 14 unearthed facts about 2Pac's "All Eyez On Me." Revolt. Retrieved from https://www.revolt.tv/2018/2/12/20824346/14-unearthed-facts- about-2pac-s-all- eyez-on-me.

Broder, J. (1992). Quayle calls for pulling rap album tied to murder case. Los Angeles Times. Retrieved from https://www.latimes.com/archives/la-xpm-1992-09- 23-mn-1144-story. html.

Brown, J. (2006). Suge Knight: The rise, fall, and rise of Death Row Records. Phoenix: Colossus Books.

Bruck, C. (1997). The takedown of Tupac. The New Yorker, 7, 46-64.

Carroll, J. (2007). Most Americans Approve of Interracial Marriages. Retrieved from https:// news.gallup.com/poll/28417/most-americans-approve-interracial-marriages.aspx.

Chicago Public Library. (2014). 1996 Bulls win NBA Championship. Chicago Public Library. Retrieved from https://www.chipublib.org/blogs/post/1996-bulls-win-nba- championship/.

Clark, S. (2020, April 4). Personal interview.

Coker, C. H. (1996). 2Pac: Bitter, remorseless, brilliant. Los Angeles Times. Retrieved from https://www.latimes.com/archives/la-xpm-1996-02-11-ca-34626-story.html.

Cole, K. (2017). Today in hip-hop: Outlawz drop "Ride Wit Us or Collide Wit Us" LP. XXL Magazine. Retrieved from https://www.xxlmag.com/news/2017/11/today-hip- hop- outlawz-drop-ride-wit-us-or-collide-wit-us/.

Cooper, R. (2020, April 8). Personal interview.

Cornwell, R. (2011). Geronimo Pratt: Black Panther leader who spent 27 years in jail for a crime he didn't commit. Independent. Retrieved from https://www.independent.co.uk/ news/obituaries/geronimo-pratt-black-panther- leader-who-spent-27-years-in-jail-for-a- crime-he-did-not-commit-2297384.html.

Criminal Justice Statistics Center. (1996). Homicide in California in 1996 [PDF File]. Retrieved from https://oag.ca.gov/sites/all/files/agweb/pdfs/cjsc/publications/homicide/ homi96/ho mitoc.pdf.

Curry, G. D., Maxson, C. L., Howell, J. C. (2001). Youth Gang Homicides in the 1990's [PDF File}. Retrieved from https://www.ncjrs.gov/pdffiles1/ojjdp/fs200103.pdf.

Dhaliwal, N. (2009). Big up black role models like Obama, not Notorious BIG. The Guardian. Retrieved from https://www.theguardian.com/film/filmblog/2009/feb/13/ notorious-big-barack-obama.

Domanick, J. (1997, June). Murder was the case. Spin, 51-54.

Ekpo, I. (2019). The Lady of Rage reveals battle with "mystery" illness. The Source. Retrieved from https://thesource.com/2018/08/07/lady-of-rage-mystery- illness/.

Erlewine, S. T. (n.d.). 2Pac: Biography & History. AllMusic.com. Retrieved from https:// www.allmusic.com/artist/2pac-mn0000921895/biography.

Fat Joe. [@fatjoe]. (2020, June 12). Interview between Fat Joe and Mutah Beale. [Instagram Live]. Retrieved from https://www.instagram.com/p/CBUPx0TH2-y/.

Felix Montana. (2014). Suge Knight disses Puffy (The Source Awards). [Video]. YouTube. Retrieved from https://www.youtube.com/watch?v=mv2OMXngkEs.

Fields, K. (2015). Today in hip hop history: Snoop Dogg releases his debut album "Doggystyle" 22 years ago. The Source. Retrieved from https://thesource. com/2015/11/23/today-in-hip-hop-history-snoop-dogg-releases- his-debut-album- doggystyle-22-years-ago/.

Ford, D. (2012). Notorious B.I.G. autopsy released, 15 years after his death. CNN. Retrieved from https://edition.cnn.com/2012/12/07/showbiz/notorious-big-autopsy/index.html.

Fryer Jr, R. G., Heaton, P. S., Levitt, S. D., & Murphy, K. M. (2005). Measuring crack cocaine and its impact. Economic Inquiry, 51(3), 1651-1681.

Glaberson, W. (1997). Crime in region is dropping, but some pockets defy trend. The New York Times. Retrieved from https://www.nytimes.com/1997/02/27/nyregion/crime-in- region-is-dropping-but- some-pockets-defy-trend.html.

Goldstein, A. (2018). Seldon expects fight fireworks but odds favor Tyson to beat WBA champ. Baltimore Sun. Retrieved from https://www.baltimoresun.com/news/bs-xpm- 1996-09-06-1996250027-story.html.

Gorman, S. (2008). "Suge" Knight charged with assault. Reuters. Retrieved from https://www.reuters.com/article/us-knight/suge-knight-charged-with-assault- idUSN2748868420080828.

Gregg, R. (1998). The new African American middle class. Economic andPolitical Weekly, 33 (46), 2933-2938.

Greve, E. (2020). Geronimo Pratt (1947-2011). Black Past. Retrieved from https://www. blackpast.org/african-american-history/pratt-geronimo-1947-2011/.

Guy, J., & Shakur, A. (2004). Afeni Shakur: Evolution of a revolutionary. Simon and Schuster.

Hart, M. H. (2000). The 100: A ranking of the most influential persons in history. Citadel Press.

Hart, R. (2019). 10 Songs that prove Notorious B.I.G. was the greatest. Observer. Retrieved from https://observer.com/2017/03/rapper-notorious-big-10- best-songs/.

Harvard Law School. (n.d.). Charles J. Ogletree, Jr. Bio. Harvard University. Retrieved from https://hls.harvard.edu/faculty/directory/10635/Ogletree.

Hip Hop Wiki. (n.d.). Outlawz. Hip Hop Wiki. Retrieved from https://hip-hop- music. fandom.com/wiki/Outlawz.

History.com Editors. (2018). Machiavelli. History.com. Retrieved from https://www.history. com/topics/renaissance/machiavelli.

Hochman, S. (1989). Compton rappers versus the letter of the law: FBI claims song by N.W.A. advocates violence on police. Retrieved from https://www.latimes.com/archives/ la-xpm-1989-10-05-ca-1046-story.html.

Hosken, P. (2015). 2Pac protégé Hussein Fatal dies in a car accident. MTV. Retrieved from http://www.mtv.com/news/2211578/hussein-fatal-dies-car-accident/.

Hot News Hip Hop. (2019). Angie Martinez speaks on Snoop Dogg-Tupac Beef on the Breakfast Club. Hot News Hip Hop. Retrieved from https://www.hotnewhiphop.com/ angie-martinez-speaks-on-snoop-dogg-tupac-beef- on-the-breakfast-club-news.91610. html.

Hunter-Tilney, L. (2015). The life of a song: "Ice Ice Baby." Financial Times. Retrieved from https://www.ft.com/content/f60d803a-ce64-11e4-86fc- 00144feab7de.

IMDb. (n.d.). Malcolm X Awards. IMDb. Retrieved from https://www.imdb.com/title/ tt0104797/awards?ref_=tt_awd.

IMDb. (n.d.). Training Day Soundtrack. IMDb. Retrieved from https://www.imdb.com/title/ tt0139654/soundtrack.

IMDb. (1996). 1996 Soul Train Awards. IMDb. Retrieved from https://www.imdb.com/ event/ev0005174/1996/1/.

IMDb. (1996). "Saturday Night Live" Tom Arnold/Tupac Shakur. IMDb. Retrieved from https://www.imdb.com/title/tt0694692/.

James, G. (1995). Rapper faces prison term for sex abuse. The New York Times. Retrieved from https://www.nytimes.com/1995/02/08/nyregion/rapper-faces- prison-term-for-sex- abuse.html.

James, N. (2018). Recent violent crime trends in the United States [PDF File]. Retrieved from https://fas.org/sgp/crs/misc/R45236.pdf.

Jankiewicz, E. (2014). Middle Village crematorium to commemorate famous people it cremated. QNS. Retrieved from https://qns.com/story/2014/06/27/middle-village- crematorium-to-commemorate-famous-people-it-cremated/.

Jordan, A. (2020, March 29). Personal interview.

Kamil, M. (2020, April 4). Personal interview.

Kautz, J. (2018). N.W.A. Retrieved from https://www.britannica.com/topic/NWA.

Kovacs, K. (2014). From grassroots to commercialization: Hip hop and rap music in the USA. Anchor Academic Publishing.

Krogstad, J. M. (2015). Gun homicides steady after decline in '90s; suicide rate edges up. Pew Research. Retrieved from https://www.pewresearch.org/fact- tank/2015/10/21/gun- homicides-steady-after-decline-in-90s-suicide-rate-edges-up/.

Lane, T. (2020, April 4). Personal interview.

Last.fm. (n.d.). Gonzoe age, hometown, biography. Retrieved from https://www.last.fm/ music/Gonzoe/wiki

Lobdell, W. (2003). A rapper's spiritual journey. Los Angeles Times. Retrieved from https:// www.latimes.com/archives/la-xpm-2003-feb-08-me-mecca8-story.html.

Lobel, S. (2020, March 29). Personal interview.

Lopez, R. J. (2000). Injunction issued against 2 gangs in Harbor City. Los Angeles Times. Retrieved from https://www.latimes.com/archives/la-xpm-2000-jan-13-me- 53565-story. html.

Los Angeles Department of Public Health. (2011). Gang homicides in Los Angeles County, 1980-2008 [PDF File]. Retrieved from http://www.publichealth.lacounty.gov/ivpp/ injury_topics/GangAwarenessPreventio n/Gang%20Homicide%20Chart%20Apr%20 21%202011%20chart.pdf.

Los Angeles Police Department. (1996). Los Angeles Police Department Annual Report [PDF File]. Retrieved from http://assets.lapdonline.org/assets/pdf/1996_annrprt.pdf.

Los Angeles Times. (2002). Death Row-Bad Boy Feud. Los Angeles Times. Retrieved from https://www.latimes.com/archives/la-xpm-2002-sep-07-gr-tupacfeud7- story.html.

McLaughlin, E. C. (2016). Afeni Shakur Davis, Tupac's mother, dies at 69. CNN. Retrieved from https://edition.cnn.com/2016/05/03/entertainment/tupac-mother- afeni-shakur- davis-dead/index.html.

Madden, S. (2016). Today in hip-hop: 2Pac and the Outlawz drop "Still I Rise" album. XXL Magazine. Retrieved from https://www.xxlmag.com/news/2016/12/2pac- outlawz-still-i- rise-album/.

Massey, M. (2020, June 17). Personal interview.

Maxwell, T. (2019). Shelved: Tupac and MC Hammer's promising collaboration. Long Reads. Retrieved from https://longreads.com/2019/05/14/shelved-tupac-and-mc- hammers-doomed-collaboration/.

Mazzola, J., & Yi, K. (2017). 50 years ago Newark burned. Retrieved from https://www. nj.com/essex/2017/07/what_you_need_to_know_about_the_1967_newark_riots.html.

McQuillar, T. L., & Johnson, F. L. (2010). Tupac Shakur: The life and times of an American icon. Da Capo Press.

Michel, S. (2015). Last exit from Brooklyn: The Notorious B.I.G. Spin. Retrieved from https://www.spin.com/1997/05/last-exit-brooklyn-notorious-big/.

Miller, M. (2017). I spent six days protecting Tupac on his deathbed. Esquire. Retrieved from https://www.esquire.com/entertainment/music/a48539/tupac- shakur-death-gobi- rahimi/.

Moffatt, A. (2020). Snoop's NY radio interview praising Biggie turned Tupac into a rage. O4L Online. Retrieved from https://www.o4lonlinenetwork.com/tupacs- reaction-to- snoops-ny-radio-interview-praising-biggie/.

Monjauze, M., Cox, G., & Robinson, S. (2008). Tupac remembered: bearing witness to a life and legacy. San Francisco: Chronicle Books.

Moore, R. (2020, May 15). Personal interview.

Morris, W. (2019). Why is everyone always stealing black music? The New York Times. Retrieved from https://www.nytimes.com/interactive/2019/08/14/magazine/music- black-culture- appropriation.html.

MTV News Staff. (2013). Mariah, Jane's, TLC, Busta For MTV's 20th. MTV. Retrieved from https://www.billboard.com/articles/news/79141/mariah-janes-tlc-busta-for-mtvs- 20th.

MTV News Staff. (2014). Here's why Tupac is still winning with "All Eyez On Me." MTV. Retrieved from http://www.mtv.com/news/1887092/tupac-all-eyez-on- me-diamond/.

Muhtaqim, F. (2020, April 4). Personal interview.

O'Flaherty, B., & Sethi, R. (2010). Peaceable kingdoms and war zones: preemption, ballistics and murder in Newark. In The economics of crime: Lessons for and from Latin America (pp. 305-353). University of Chicago Press.

Ott, T. (2019). Inside Notorious B.I.G.'s final days and drive-by murder in Los Angeles. Biography.com. Retrieved from https://www.biography.com/news/notorious-big- murder- final-days.

Paybarah, A. (2019). "Notorious B.I.G." Way and 8 other public spaces named for rappers. The New York Times. Retrieved from https://www.nytimes.com/2019/06/13/nyregion/ newyorktoday/nyc-news-notorious- big.html.

Philips, C. (1996). Rapper Dr. Dre to part ways with Death Row, start new record label. Los Angeles Times. Retrieved from https://www.latimes.com/local/la-fi- dredeathrow22march2296-story.html

Philips, C. (2018). Paper links Shakur slaying to L.A. gang wars. Chicago Tribune. Retrieved from https://www.chicagotribune.com/news/ct-xpm-2002-09-06- 0209060236-story. html.

Philips, C., & Abrahamson, A. (1996). Rapper leaves tangled financial, legal legacy. Los Angeles Times. Retrieved from https://www.latimes.com/local/la- me- shakurlegacy24dec2496-story.html.

Pierznik, C. (2018). The day hip-hop died: The longreaching effects of the 1995 Source Awards. Retrieved from https://hiphopgoldenage.com/day-hip-hop- died-longreaching- effects-1995-source-awards/.

Ramirez, E. (2018). Suge Knight: A timeline of his legal troubles. Billboard.com. Retrieved from https://www.billboard.com/articles/columns/the-juice/6458098/suge-knight- legal-timeline.

Ruiz, M. (2016). Tupac Shakur's most socially conscious lyrics: 10 times he was at his most woke. Billboard. Billboard. Retrieved from https://www.billboard.com/articles/columns/ hip-hop/7573536/tupac-shakur-2pac- most-woke-songs-lyrics-changes-dear-mama.

Sack, K. (1996). Bomb at the Olympics: The Overview; Olympics Park blast kills one, hurts 111; Atlanta games go on. The New York Times. Retrieved from https://www.nytimes. com/1996/07/28/us/bomb-olympics-overview-olympics-park- blast-kills-one-hurts-111- atlanta-games-go.html.

Santhanam, L., & Crigger, M. (2015). Out of 30,000 Hollywood film characters, here's how many weren't white. PBS.org. Retrieved from https://www.pbs.org/newshour/ nation/30000-hollywood-film-characters-heres- many-werent-white.

Scott, C. (1996). Shakur shooting witness found dead in N.J. Las Vegas Sun. Retrieved from https://lasvegassun.com/news/1996/nov/13/shakur-shooting- witness-found-dead-in- nj/.

Scott, C. (2015). The killing of Tupac Shakur. Las Vegas: Huntington Press.

Schulman, M. (n.d.). World History 1994-1995. History Central. Retrieved from https:// www.historycentral.com/dates/1994.htmlAnchor-100.

Shakur, T. (1995). Dear Mama. On Me against the world [CD]. Interscope Records.

Shakur, T. (1997). Lost souls. [Recorded by the Outlawz]. On Gang related—The soundtrack [CD]. Death Row Records.

Shakur, T. (1997). Made niggaz. [Recorded by the Outlawz]. On Gang related—The soundtrack [CD]. Death Row Records.

Siegel, A. (n.d.). History of Irvington. Township of Irvington. Retrieved from https:// irvington.net/township-maps/history/.

Steez Vault. (2017). Nas on Tupac Beef. [Video]. YouTube. Retrieved from https://www. youtube.com/watch?v=nn9rz0uRuc8.

Stop The Breaks. (2013). Hip-Hop Gem: 2Pac thought Nas was dissing him on "The Message." Stop The Breaks. Retrieved from https://www.stopthebreaks.com/gems/tupac- nas-the-message/.

Strauss, N. (1996). At the MTV Awards, all the world's a stage. The New York Times. Retrieved from https://www.nytimes.com/1996/09/06/arts/at-the-mtv-awards-all- the- world-s-a-stage.html.

Successories. (n.d.). 71 Niccolo Machiavelli quotes from Successories Quote Database. Successories. Retrieved from https://www.successories.com/iquote/author/490/niccolo- machiavelli-quotes/1.

The Guardian. (2000). Life and death in South Central LA. The Guardian. Retrieved from https://www.theguardian.com/theobserver/2000/jan/09/life1.lifemagazine4.

The New York Times. (1995). Rapper is freed on bail. The New York Times. Retrieved from https://www.nytimes.com/1995/10/14/nyregion/rapper-is-freed-on- bail. html?searchResultPosition=1.

The Recording Industry Association of America. (n.d.). Gold & Platinum (Ready to Die— The Notorious B.I.G.). Retrieved June 23, 2020, from https://www.riaa.com/gold- platinum/?tab_active=default-award.

The Recording Industry Association of America. (n.d.). Gold & Platinum (All Eyez on Me—Tupac Shakur). Retrieved June 25, 2020, from https://www.riaa.com/gold- platinum/?tab_active=default-award&se=all+eyez+on+mesearch_section.

Tristam, P. (2019). How Malcolm X became a real Muslim. ThoughtCo.com. Retrieved from https://www.thoughtco.com/malcom-x-in-

mecca-2353496.

Turner, D. (2017). Crack epidemic. Encyclopedia Britannica. Encyclopedia Britannica, Inc. Retrieved from https://www.britannica.com/topic/crack-epidemic.

uDiscover Team. (2019). Let's talk about the female rappers who shaped Hip-Hop. uDiscover Music. Retrieved from https://www.udiscovermusic.com/stories/the- female-rappers- who-shaped-hip-hop/.

uDiscover Team. (2020). "Strictly 4 My N.I.G.G.A.Z": The album that turned 2Pac into a rap icon. uDiscover Music. Retrieved from https://www.udiscovermusic.com/stories/ strictly-4-my-album-made-2pac-icon/.

Ugwu, R. (2011). Tupac's godfather Geronimo Pratt dead at 63. Black Entertainment Television. Retrieved from https://www.bet.com/news/music/2011/06/03/tupac-s- godfather-geronimo-pratt-dead-at-63.html.

Unknown Knoedel. (2010). 2 Pac feat. Snoop Dogg—2 Of Amerikaz Most Wanted (House Of Blues Live). [Video]. YouTube. Retrieved from https://www.youtube.com/watch?v=Gh_ TqIjri6Y.

Walker, R. (2018). "I'm back": The day Michael Jordan announced his return to the NBA. The Undefeated. Retrieved from https://theundefeated.com/features/the-day- michael- jordan-announced-his-return-to-the-nba/.

Wallace, C. (1994). Juicy. On Ready to die [CD]. Bad Boy Records.

Walters, R. (1989). Children's story. On Theadventures of Slick Rick [CD]. Def Jam/ Columbia.

Waxman, S. (1996). Rapper acquitted of murder charges. Washington Post. Retrieved from

https://www.washingtonpost.com/archive/lifestyle/1996/02/21/rapper-acquitted-of- murder-charges/823b3fd6-9487-4ba6-bc3f-b792ba06368d/.

Waxman, S. (1997). Rap giant gets nine years after assault. Washington Post. Retrieved from https://www.washingtonpost.com/archive/lifestyle/1997/03/01/rap- giant-gets-nine- years-after-assault/c2de8e8c-e081-4604-851b-c7c0458fc0d2/.

West Dawn Media. (2018). Mutah Beale Napoleon—How I'm Living—Full BET Clip. [Video]. YouTube. Retrieved from https://www.youtube.com/watch?v=swFJGrpxS7A.

We TV. (2019). Untoldstories of hip hop [Video]. YouTube. Retrieved from https://www. youtube.com/watch?v=hvrcDhgWsbI.

Wicked408. (2012). The Notorious B.I.G. on the Wake Up Show. [Video]. YouTube. Retrieved from https://www.youtube.com/watch?v=-sW1kBUPViI.

Wild, D. (2018). Interscope Records: Inside the hit factory. Rolling Stone. Retrieved from https://www.rollingstone.com/music/music-news/interscope-records-inside-the-hit- factory-118720/.

Williams, S. (2013). Remembering B.I.G.: Biggie Smalls' 10 greatest lyrical performances. Rolling Out. Retrieved from https://rollingout.com/2013/05/21/remembering-b-i-g- biggie-smalls-10-greatest- lyrical-performances/.

Zirm, J. (2018). The best rap-rock songs. Complex. Retrieved from https://www.complex. com/music/best-rap-rock-songs/.

Ziyad, H. (2018). Before Black Lives Matter, Tupac took on the police. Complex. Retrieved from https://www.complex.com/life/2016/09/tupac-black-lives-matter- police-brutality.

Notes

[1←]

Robert Gregg, “The New African American Middle Class,” Economic and Political Weekly, 1998.

[2←]

Joseph Carroll, Most Americans Approve of Interracial Marriages, 2007.

[3←]

Jessica Mazzola and Karen Yi, 50 Years Ago Newark Burned, 2017.

[4←]

Alan E.Siegel, Esq., History of Irvington, Township of Irvington.

[5←]

الفيلم الوثائقي :نابليون :حياة (خارج على القانون)،2019 م.

[6←]

Deonna Turner, Crack Epidemic, 2017.

[7←]

Fryer et al., Measuring Crack Cocaine and Its Impact, 2005.

[8←]

Alan E.Siegel, Esq.History of Irvington, Township of Irvington.

[9←]

O'Flaherty & Sethi, Peaceable Kingdoms and War Zones: Preemption, Ballistics, and Murder inNewark, 2010.

[10←]

Philip Lentz, Newark Blacks Say Irvington Police Way Out of Bounds, 1986.

[11←]

Slick Rick, "Children's Story" 1988.

[12←]

مجموعة راب عصابات من كومبتون، كاليفورنيا (Niggaz Wit Attitude)

[13←]

Matthew Ruiz, "Tupac Shakur's Most Socially Conscious Lyrics: 10 Times He Was at His Most Woke," 2016.

[14←]

المصدر السابق.

[15←]

Hari Ziyad, "Before Black Lives Matter, Tupac Took on the Police," 2016.

[16←]

Anjuli Sastry and Karen Grigsby Bates, "When LA Erupted in Anger: A Look Back at The Rodney King Riots," NPR, 2017.

[17←]

Matthew Ruiz, "Tupac Shakur's Most Socially Conscious Lyrics: 10 Times He Was at His Most Woke," 2016.

[18←]

المصدر السابق.

[19←]

Connie Bruck, "The Takedown of Tupac," The New Yorker, 1997.

[20←]

Jasmine Guy & Afeni Shakur, Afeni Shakur: Evolution of a Revolutionary, 2004, p.127.

[21←]

Black Panther Party Members Freed After Being Cleared of Charges, Edith Evans Asbury, The New York Times, 1971.

[22←]

Afeni Shakur, in Tupac Shakur's "Dear Mama," YouTube.

[23←]

Wesley Case, "Tupac Shakur in Baltimore: Friends, Teachers Remember the Birth of an Artist," Baltimore Sun, 2017.

[24←]

Gustavo Solis and Murray Weiss, "Black Panther Convicted of Trying to Kill 6 Officers Released From Prison," DNA Info, 2014.

[25←]

"Quayle Calls for Pulling Rap Album Tied to Murder Case," Los Angeles Times, 1992.

[26←]

"Where Did Tupac Live?" 2Pac Legacy.net, 2017.

[27←]

"Killing Fields," Dramacydal, 1993.

[28←]

David Wild, "Interscope Records: Inside the Hit Factory," RollingStone, 1997.

[29←]

"Tupac Signed Contract with TNT & Interscope Records," 2Pac Legacy.net, 2017.

[30←]

"'Strictly 4 My N.I.G.G.A.Z': The Album that Turned 2Pac into a Rap Icon," uDiscover Team, 2020.

[31←]

"Tupac's Shooting, New York," 2Pac Legacy, 2Pac Legacy.net, 2015.

[32←]

Connie Bruck, "The Takedown of Tupac," The New Yorker, 1997.

[33←]

"Tupac's Shooting, New York," 2Pac Legacy, 2Pac Legacy.net, 2015.

[34←]

"Rap Artist Tupac Shakur Shot in Robbery," The New York Times, 1994.

[35←]

"Tupac's Shooting, New York," 2Pac Legacy, 2Pac Legacy.net, 2015.

[36←]
المصدر السابق.

[37←]
"Jasmine Guy Tells What She Secretly Did for Tupac When He Was Shot & What He Said about Shooters," ILove OldSchoolMusic, 2019.

[38←]
Connie Bruck, "The Takedown of Tupac," The New Yorker, 1997.

[39←]
Connie Bruck, "The Takedown of Tupac," The New Yorker, 1997.

[40←]
George James, "Rapper Faces Prison Term for Sex Abuse," 1995.

[41←]
Frannie Kelley, "Biggie Smalls: The Voice That Influenced A Generation," NPR, 2010.

[42←]
المصدر السابق.

[43←]
Gold & Platinum, Ready to Die, The Recording Industry Association of America.

[44←]
"Biggie Smalls Biography," Biography.com, 2017.

[45←]
"Tupac's Shooting, New York," 2Pac Legacy, 2Pac Legacy.net, 2015.

[46←]
المصدر السابق.

[47←]
Connie Bruck, "The Takedown of Tupac," The New Yorker, 1997.

[48←]

Stephen Thomas Erlewine, "2Pac Artist Biography," 2020.

[49←]

"Big Syke (Rapper)," United Gangs, 2020.

[50←]

Charles Ogletree, Jr., Harvard Law School.

[51←]

Connie Bruck, "The Takedown of Tupac," The New Yorker, 1997.

[52←]

المصدر السابق.

[53←]

المصدر السابق.

[54←]

المصدر السابق.

[55←]

Connie Bruck, "The Takedown of Tupac," The New Yorker, 1997.

[56←]

"Machiavelli," History.com, 2018.

[57←]

"Machiavelli Quotes," Successtories.

[58←]

"Machiavelli," History.com, 2018.

[59←]

Kiah Fields, "Today in Hip Hop History: Snoop Dogg Releases His Debut Album 'Doggystyle' 22 Years Ago," The Source, 2015.

[60←]

Ludovic Hunter-Tilney, "The Life of a Song: 'Ice Ice Baby,'" Financial Times, 2015.

[61←]

Sharon Wixman, "Rapper Acquitted of Murder Charges," Washington Post, 1996.

[62←]

Chuck Philips and Alan Abrahamson, "Rapper Leaves Tangled Financial, Legal Legacy," Los Angeles Times, 1996.

[63←]

المصدر السابق.

[64←]

Rhiannon Walker, "'I'm Back': The Day Michael Jordan Announced His Return to the NBA," Undefeated, 2017.

[65←]

Marc Schulman, "World History 1994-1995," History Central.

[66←]

المصدر السابق.

[67←]

Joel Anderson, "The B-Side that Deepened Biggie and Tupac's Rift," Slate, 2019.

[68←]

"Stakes is High," Vibe Magazine, 1996.

[69←]

المصدر السابق.

[70←]

Tupac Shakur featuring the Outlawz, Made Niggaz, Gang Related Soundtrack.

[71←]

Christopher Pierznik, "The Day Hip-Hop Died: The Longreaching Effects of the 1995 Source Awards," Hip Hop Golden Age, 2018.

[72←]

Suge Knight Disses Puff Daddy [The Source Awards], YouTube.

[73←]

Tupac Shakur featuring the Outlawz, "All Out," Until the End of Time.

[74←]

Ralph Bistrout, "14 Unearthed Facts About 2Pac's 'All Eyez On Me,'" Revolt.tv, 2018.

[75←]

Helen Regan, "Lyrics That Tupac Wrote in Prison Are Expected to Fetch Over $50,000 at Auction," Time.com, 2015.

[76←]

"Let's Talk About the Female MCs Who Shaped Hip-Hop," uDiscover Music, 2019.

[77←]

المصدر السابق.

[78←]

Ime Ekpo, "The Lady of Rage Reveals Battle with 'Mystery' Illness," The Source, 2019.

[79←]

Ralph Bistrout, "14 Unearthed Facts about 2Pac's 'All Eyez On Me'," Revolt.tv, 2018.

[80←]

المصدر السا.بق.

[81←]

Cheo Coker, "2Pac: Bitter, Remorseless, Brilliant," Los Angeles Times, 1996.

[82←]

"Here's Why Tupac Is Still Winning with All Eyez on Me," MTV, 2014.

[83←]

Jens Krogstad, "Gun Homicides Steady after Decline in '90s; Suicide Rate Edges Up," Pew Research Center, 2015.

[84←]

Nathan James, "Recent Violent Crime Trends in the United States," Congressional Research Service, 2018.

[85←]

Tom Arnold/Tupac Shakur, Saturday Night Live, IMDb, February 17, 1996.

[86←]

1996 Soul Train Awards, IMDb.

[87←]

Matt Miller, "I Spent Six Days Protecting Tupac on His Deathbed," Esquire, 2016.

[88←]

"2 of Amerika's Most Wanted" Music Video, Death Row Records, 1996.

[89←]

Napoleon: Life of an Outlaw, 2019.

[90←]

"Stakes is High," Vibe Magazine, 1996, p.100.

[91←]

Napoleon: Life of an Outlaw, 2019.

[92←]

Kevin Sack, "Bomb at the Olympics: The Overview; Olympics Park Blast Kills One, Hurts 111; Atlanta Games Go On," The New York Times, 1996.

[93←]

"1996 Bulls Win NBA Championship," Chicago Public Library, 2014.

[94←]

Justin Kautz, "N.W.A.," Encyclopedia Brittanica, 2018.

[95←]

المصدر السابق.

[96←]

Steve Hochman, "Compton Rappers Versus the Letter of the Law," Los Angeles Times, 1989.

[97←]

المصدر السابق.

[98←]

Gonzoe Biography, Last.fm.

[99←]

2Pac featuring Snoop Dogg, "2 Of Amerikaz Most Wanted" (House of Blues Live), YouTube.

[100←]

William Glaberson, "Crime in Region Is Dropping, but Some Pockets Defy Trend," The New York Times, 1996.

[101←]

The Notorious B.I.G.featuring Jay-Z, "Brooklyn's Finest," Reasonable Doubt, Roc-a-fella Records.

[102←]

"Stakes Is High," Vibe Magazine, 1996, p.104.

[103←]

Pac & the Outlawz, "Lost Souls," Gang Related: The Soundtrack, 1997.

[104←]

Tupac, "Ain't Nothin' Wrong," "Black Jesuz," and "Just Like Daddy," 2Pac Legacy, 2016.

[105←]

Makaveli - The Don Killuminati (The 7 Day Theory) [Official Album], 2Pac Legacy, 2Pac Legacy.net, 2015.

[106←]

At the MTV Awards, All the World's a Stage, Neil Strauss, The New York Times, 1996.

[107←]

المصدر السابق.

[108←]

Molly Monjauze, Gloria Cox, and Staci Robinson, Tupac Remembered: Bearing Witness to a Life and Legacy, 2008.

[109←]

Hao Nguyen, "Hip-Hop Gem: 2Pac Thought Nas Was Dissing Him on 'The Message,'" Stop The Breaks, 2013.

[110←]

"Nas on Tupac Beef," Steel Vaultz, YouTube, 2017.

[111←]

Andrew Moffat, "Tupac's Reaction to Snoop's NY Radio Interview Praising Biggie," O4L Online Network, 2019.

[112←]

Big Pun, short for Big Punisher (aka Christopher Lee Rios), was a talented Puerto Rican rapper who died in 2000 after suffering a heart attack.

[113←]

Fat Joe interviews Mutah Beale via Instagram Live, fatjoe, mutahbeale, 2020.

[114←]

Ira Berkow, "BOXING; After Three Years in Prison, Tyson Gains His Freedom," The New York Times, 1995.

[115←]

"Frank Bruno vs.Mike Tyson (2nd meeting)," BoxRec.

[116←]

Alan Goldstein, "Seldon Expects Fight Fireworks but Odds Favor Tyson to Beat WBA Champ," Baltimore Sun, 1996.

[117←]

"Tupac & Mike Tyson Friendship," 2Pac Legacy, 2Pac Legacy.net, 2017.

[118←]

المصدر السابق.

[119←]

Connie Bruck, "The Takedown of Tupac," The New Yorker, 1997.

[120←]

"Mike Tyson vs.Bruce Sheldon," BoxRec.

[121←]

"Life and death in South Central LA," Guardian, 2000.

[122←]

Joe Domanick, "Murder was the Case," Spin, 1997.

[123←]

"Death Row-Bad Boy Feud," Los Angeles Times, 2002.

[124←]

المصدر السابق.

[125←]

على الرغم من تضارب التقارير في المصادر الإعلامية حولَ ما إذا كانت سلسلة تري قد سُرقت بالفعل أم لا، فقد تراسل المؤلف مباشرةً مع تري، الذي أكد له أن السلسلة لم تُسرَق؛ لذلك يتبنى المؤلف هذا الموقف، وسوف يتناول تري بالتفصيل سردَ روايته الشخصية للحوادث التي تتعلق به على وجه التحديد في المشروعات القادمة.

[126←]

من مراسلة شخصية مع المؤلف.

[127←]

Tayannah Lee McQuillar and Fred L.Johnson, Tupac Shakur: The Life and Times of an American Icon, 2010.

[128←]

Rob Marriott, "Ready to Die," The Vibe, 1996.

[129←]

"Gold & Platinum, All Eyez on Me," The Recording Industry Association of America.

[130←]

Tayannah Lee McQuillar and Fred L.Johnson, Tupac Shakur: The Life and Times of an American Icon, 2010.

[131←]

Connie Bruck, "The Takedown of Tupac," The New Yorker, 1997.

[132←]

مراسلة شخصية من مطاع بيل حولَ محادثة له مع شوغ نايت.

[133←]

Rob Marriott, "Ready to Die," The Vibe, 1996.

[134←]

Rob Marriott, "Ready to Die," The Vibe, 1996.

[135←]

Cathy Scott, The Killing of Tupac Shakur, 2014, p.39.

[136←]

Rob Marriott, "Ready to Die," The Vibe, 1996.

[137←]

المصدر السابق.

[138←]

المصدر السابق.

[139←]

Rob Marriott, "Ready to Die," The Vibe, 1996.

[140←]

Cathy Scott, The Killing of Tupac Shakur, 2014, p.38.

[141←]

Rob Marriott, "Ready to Die," The Vibe, 1996.

[142←]

"Tupac Shakur, 25, Rap Performer Who Personified Violence Dies," The New York Times, 1996.

[143←]

Chuck Philips, "Paper Links Shakur Slaying to L.A.Gang Wars," Chicago Tribune, 2002.

[144←]

Connie Bruck, "The Takedown of Tupac," The New Yorker, 1997.

[145←]

Connie Bruck, "The Takedown of Tupac," The New Yorker, 1997.

[146←]

"Angie Martinez Speaks on Snoop Dogg-Tupac Beef on The Breakfast Club," Hot New Hip Hop, 2019.

[147←]

Untold Stories of Hip Hop, YouTube, 2019.

[148←]

على الرغم من تضارب التقارير حولَ ما إذا كان أورلاندو أندرسن قد ارتكب جريمة القتل بالفعل، فقد تبنى المؤلفُ رواية وسائل الإعلام الرسمية التي نشَرَت القصةَ في البداية.

[149←]

"Life and Death in South Central LA," The Guardian, 2000.

[150←]

من مراسلة شخصية مع المؤلف.

[151←]

Sha Be Allah, "Tupac Shakur's First Posthumous Album 'Don Killuminati: The 7 Day Theory' Was Released 22 Years Ago," The Source, 2018.

[152←]

المصدر السابق.

[153←]

Outlawz, Hip Hop Wiki.

[154←]

Cathy Scott, "Shakur Shooting Witness Found Dead in N.J.," Las Vegas Sun, 1996.

[155←]

Cathy Scott, The Killing of Tupac Shakur, 2014.

[156←]

المصدر السابق.

[157←]

Chuck Philips, "Rapper Dr.Dre to Part Ways with Death Row, Start New Record Label," Los Angeles Times, 1996.

[158←]

Tom Maxwell, "Shelved: Tupac and MC Hammer's Promising Collaboration," Longreads, 2019.

[159←]

Sharon Waxman, "Rap Giant Gets Nine Years After Assault," Washington Post, 1997.

[160←]

المصدر السابق.

[161←]

Connie Bruck, "The Takedown of Tupac," The New Yorker, 1997.

[162←]

Los Angeles Police Department Annual Report, 1996.

[163←]

Los Angeles County Department of Public Health, 2011.

[164←]

"Youth Gang Homicides in the 1990s," Department of Justice, 2001.

[165←]

"Homicide in California 1996," Criminal Justice Statistics Center, State of California.

[166←]

لقبٌ آخر لـ ذا نوتوريوس بي.آي.جي (المعروف أيضًا بـ بيغي سمولز).

[167←]

Tim Ott, "Inside Notorious B.I.G.'s Final Days and Drive-By Murder in Los Angeles," Biography.com, 2019.

[168←]

Michael Blair, "One of Biggie's Final Radio Appearances Is a Moment That Can Never Be Tuned Out," Ambrosiafor Heads, 2018.

[169←]

Sharon Waxman, "Rap Giant Gets Nine Years After Assault," Washington Post, 1997.

[170←]

Alan Abrahamson and Chuck Philips, "Rap Mogul 'Suge' Knight Sent to Prison for 9 Years," Los Angeles Times, 1997.

[171←]

The Notorious B.I.G.on the Wake Up Show, YouTube, 1997.

[172←]

المصدر السابق.

[173←]

Michael Blair, "One of Biggie's Final Radio Appearances Is a Moment That Can Never Be Tuned Out," Ambrosia for Heads, 2018.

[174←]

Sia Michel, "Last Exit from Brooklyn: The Notorious B.I.G.," Spin, 1997.

[175←]

المصدر السابق.

[176←]

Dana Ford, "Notorious B.I.G.autopsy released, 15 years after his death," CNN, 2012.

[177←]

Sia Michel, "Last Exit from Brooklyn: The Notorious B.I.G.," Spin, 1997.

[178←]

المصدر السابق.

[179←]

Stereo Williams, "Remembering B.I.G.: Biggie Smalls' 10 Greatest Lyrical Performances," Rolling Out, 2012.

[180←]

Ron Hart, "10 Songs That Prove Notorious B.I.G.Was the Greatest," Observer, 2017.

[181←]

Frannie Kelley, "Biggie Smalls: The Voice That Influenced A Generation," NPR, 2010.

[182←]

The Notorious B.I.G., "Juicy," 1994.

[183←]

Nirpal Dhaliwal, "Big Up Black Role Models Like Obama, Not Notorious BIG," Guardian, 2009.

[184←]

Out of 30,000 Hollywood Film Characters, Here's How Many Weren't White, Laura Santhanam and Megan Crigger, PBS, 2015.

[185←]

Wesley Morris, "Why Is Everyone Always Stealing Black Music?" The New York Times, 2019.

[186←]

"'Notorious B.I.G.' Way and 8 Other Public Spaces Named for Rappers," Azi Paybarah, The New York Times, 2019.

[187←]

Sha Be Allah, "Notorious B.I.G.Is Laid to Rest, Epic Funeral Procession Held in Hometown of Bed-Stuy 22 Years Ago," Source, 2019.

[188←]

"Middle Village crematorium to commemorate famous people it cremated," QNS, 2014.

[189←]

Eric Grieve, "Geronimo Pratt," Blackpast.org, 2012.

[190←]

المصدر السابق.

[191←]

Rupert Cornwell, "Geronimo Pratt: Black Panther Leader Who Spent 27 Years in Jail for a Crime He Did Not Commit," Independent, 2011.

[192←]

Eric Grieve, "Geronimo Pratt," Blackpast.org, 2012.

[193←]

Reggie Ugwu, "Tupac's Godfather Geronimo Pratt Dead at 63," BET, 2011.

[194←]

"Geronimo Pratt — Tupac's Godfather," 2Pac Legacy, 2Pac Legacy.net, 2017.

[195←]

المصدر السابق.

[196←]

Jake Brown, Suge Knight: The Rise, Fall, andRise of Death Row Records, 2002.

[197←]

Connie Bruck, "The Takedown of Tupac," The New Yorker, 1997.

[198←]

Sidney Madden, "2Pac and the Outlawz Drop 'Still I Rise' Album," XXL Magazine, 2016.

[199←]

Kairie Coe, "Outlawz Drop 'Ride Wit Us or Collide Wit Us,'" XXL Magazine, 2017.

[200←]

"Chart History, Outlawz," Billboard.com, 2000.

[201←]

Robert Lopez, "Injunction Issued Against 2 Gangs in Harbor City," Los Angeles Times, 2000.

[202←]

هناك خلافٌ حولَ ما إذا كانَت العقوباتُ الردعيةُ في هذا الوقت هي العوامل الوحيدة التي أدت إلى انخفاض الجريمة في لوس أنجلوس.

[203←]

من مراسلة خاصة مع المؤلف.

[204←]

"Grammy Awards, Seal," Recording Academy Grammy Awards, 1995.

[205←]

Jordan Zirm, "The Best Rap-Rock Songs," Complex, 2017.

[206←]

"Michael Jackson's Top Rap Collabos," The Launch Magazine, 2012.

[207←]

"Mariah, Jane's, TLC, Busta For MTV's 20th," Billboard.com, 2001.

[208←]

William Lobdell, "A Rapper's Spiritual Journey," Los Angeles Times, 2003.

[209←]

William Lobdell, "A Rapper's Spiritual Journey," Los Angeles Times, 2003,.

[210←]

"Malcolm X Awards," IMDb.com.

[211←]

Pierre Tristam, "Malcolm X in Mecca," Thoughtco.com, 2019.

[212←]

Jason Birchmeier, "All-Music Review: Novakane," Allmusic.com.

[213←]

Training Day Soundtrack, IMDb.com, 2001.

[214←]

من مراسلةٍ شخصية مع المؤلف.

[215←]

«تفسير ابن كثير»، دار السلام،051/3.

[216←]

«تفسير ابن كثير»، دار السلام،551/3 .

[217←]

أصح كتب الحديث هما صحيح البخاري، وصحيح مسلم.

[218←]

Michael Hart, The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History, 1992.

[219←]

المصدر السابق.

[220←]

(رياض الصالحين) حديث 936، 055/1.

[221←]

من مراسلة شخصية مع المؤلف.

[222←]

من مراسلة شخصية مع المؤلف.

[223←]

من مراسلة شخصية مع المؤلف.

[224←]

من مراسلة شخصية مع المؤلف.

[225←]

William Lobdell, "A Rapper's Spiritual Journey," Los Angeles Times, 2003.

[226←]

Erika Ramirez, "Suge Knight: A Timeline of His Legal Troubles," Billboard.com, 2015.

[227←]

Karl Kovac, "From Grassroots to Commercialization: Hip Hop and Rap Music in the USA," 2014, p.1.

[228←]

المصدر السابق.

[229←]

من مراسلة شخصيةٍ مع المؤلف.

[230←]

Tupac Shakur and Yafeu Fula, "Who You Believe In," Better Dayz, Amaru Entertainment, Death Row Records, and Interscope Records, 2002.

[231←]

Mutah Napoleon Beale—How I'm Living BET, YouTube, 2018.

[232←]

لم يستطع المؤلف الوقوف على هذه الحلقة إلَّا على موقع يوتيوب، وجميعُ حقوق برنامج (كيف أعيش) محفوظةٌ لمالكها الأصلي، قناة بي إي تي.

[233←]

Mutah Napoleon Beale-How I'm Living BET, YouTube, 2018.

[234←]

يمكن الاطلاع على قصة بناء الكعبة في سورة البقرة، الآيات :125-129.

[235←]

«تفسير ابن كثير»، دار السلام، 1/283-083 ..

[236←]

«رياض الصالحين»، حديث 117، 1/016 ..

[237←]

من مراسلة شخصيةٍ مع المؤلف.

[238←]

William Lobdell, "A Rapper's Spiritual Journey," Los Angeles Times, 2003.

[239←]

المصدر السابق.

[240←]

Patrick Hosken, "2Pac Protégé Hussein Fatal Dies in a Car Accident," MTV.com, 2015.

[241←]

Elliot McLaughlin, "Afeni Shakur Davis, Tupac's Mother, Dies at 69," CNN, 2016.

[242←]

"Tupac Collaborator Big Syke Dies at 48," Billboard.com, 2016.